الأدب الإسلامي

٨١

مجلة فصلية تصدر عن «رابطة الأدب الإسلامي العالمية» - العدد (٨١) ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م

ترجمة أدب الطفل.. سؤال الشكل والمضمون

د. أحمد عبد العظيم محمد

الإبداع بين الرجل والمرأة.. قضية للمناقشة

محمد عبد الشافي القوصي

سيرة الشاعر..

هل تؤثر في الحكم النقدي عليه؟

د. وليد قصّاب

ظاهرة الأقلام الواعدة في مجلة الأدب الإسلامي

فهد إبراهيم سعد البكر

بسم الله الرحمن الرحيم

الأدب العربي والأدب الإسلامي

منذ بدأ طرح مصطلح الأدب الإسلامي أشكلت العلاقة بين الأدب العربي والأدب الإسلامي على بعض المهتمين بالشأن الأدبي والنقدي، فظن أنهما متعارضان، وظن آخرون أنهما واحد، ولا حاجة لمصطلح الأدب الإسلامي. ودعاة الأدب الإسلامي يرون أنهما يلتقيان ويختلفان، وبينهما تكامل في أغلب الطريق، ووجود أحدهما لا يلغي بالضرورة وجود الآخر. بل هما موجودان في الواقع اتفقنا على المصطلح أم اختلفنا. وقد سئلنا من قريب عن الموضوع، فنقول بعيدا عن مصطلحات النقد وجدلياته:

إن الأدب العربي ينتمي إلى اللغة العربية فصاحة وبلاغة وبيانا وقدرة على تلبية حاجة أهلها في التعبير. وقد يكون إسلاميا، أو غير إسلامي، وغير الإسلامي قد يكون كفرا في العقيدة، أو مخالفة للشريعة.

والأدب الإسلامي ينتمي إلى الدين الإسلامي عقيدة وخلقا وشمولا للحياة، وصلاحا للإنسان. ويكون بحسب لغته عربيا، وتركيا، وفارسيا، وأرديا.. فيتعدد بعدد لغات الشعوب الإسلامية على الأرض. فلكل شعب إسلامي أدبه الذي يعبر به عن شخصيته الإسلامية، ورؤيته الحضارية في الحياة. وقد يكون بإحدى اللغات العالمية كالإنكليزية والفرنسية والروسية والإسبانية لأدباء مسلمين يتكلمون تلك اللغات.

والأدب العربي أيضا قد يكون من نتاج أدباء غير عرب يكتبون وينظمون باللغة العربية، سواء من أدباء مسلمين في الهند وباكستان وتركيا وغيرها، أو من أدباء يتعلمون اللغة العربية ويتكلمون بها من غير العرب والمسلمين ممن نسميهم المستشرقين مثلا.

فساحة الأدب العربي تمتد بامتداد البلاد التي يتكلم أهلها اللغة العربية، وساحة الأدب الإسلامي تتسع باتساع البلاد التي يقطنها المسلمون. ومن هنا يظهر أن الأدب الإسلامي أوسع من الأدب العربي، ويشمل قسما وافرا منه، بينما الأدب العربي لا يشمل من الأدب الإسلامي إلا المكتوب بالعربية منه.

فالأمر من البداهة بحيث لا يحتاج إلى أمثلة وإيضاحات، وشروحات وتفسيرات. والقضية ليست اختيارا بين الأبيض والأسود، فساحة الأدب ساحة واسعة متنوعة فيها ألوان الربيع وأزهاره وأشواكه، ففيها الورد الذي معه الشوك، والشوك الذي معه الورد. والنباتات والأزهار التي يصنع منها النحل العسل، وفيها النباتات السامة التي تقتل من يتناولها. والحصيف الأريب الأديب يأخذ ما ينفع ولا يضر، ويدع ما يضر ولا ينفع!.

وقد نشرنا في العدد الأول من هذه المجلة في الصفحة (٣٤) مقالا للدكتور عبده زايد نائب رئيس التحرير آنذاك بعنوان: «من الأدب العربي إلى الأدب الإسلامي» يمكن الرجوع إليه لمزيد من الاطلاع.

التحرير

مجلة فصلية تصدر عن
رابطة الأدب الإسلامي العالمية
المجلد (٢١) العدد (٨١)
ربيع الأول - جمادى الأولى ١٤٣٥هـ
كانون الثاني (يناير) - آذار (مارس) ٢٠١٤م

رئيس التحرير
د . عبد القدوس أبو صالح

نائب رئيس التحرير
د . ناصر بن عبدالرحمن الخنين

الإخراج الفني
عيسى محمد الهلال

المراسلات باسم رئيس التحرير
المملكة العربية السعودية
الرياض ١١٥٣٤ ص ب ٥٥٤٤٦
هاتف: ٤٦٢٧٤٨٢ - ٤٦٣٤٣٨٨
فاكس: ٤٦٤٩٧٠٦
جوال: ٠٥٠٣٤٧٧٠٩٤

Web page address
www.adabislami.org
E-mail
info@adabislami.org

الاشتراكات
للأفراد في البلاد العربية
ما يعادل ١٥ دولارا
خارج البلاد العربية
٢٥ دولارا
للمؤسسات والدوائر الحكومية
٣٠ دولارا

أسعار بيع المجلة
دول الخليج ١٠ ريالات سعودية أو ما يعادلها، الأردن دينار واحد، مصر ٣ جنيهات، لبنان ٢٥٠٠ ليرة، المغرب العربي ٩ دراهم مغربية أومايعادلها، اليمن ١٥٠ريالاً، السودان ٢,٥ جنيه، الدول الأوربية ما يعادل ٣ دولارات.

من كُتّاب العدد

د. شفيق أحمد خان الندوي

عبدالعزيز الرفاعي

د. محمد رضوان الداية

محمد ياسر أمين الفتوى

شروط النشر في المجلة

- تستبعد المجلة ما سبق نشره
- موضوعات المجلة تنشر في حلقة واحدة.
- يرجى كتابة الموضوع على الحاسوب أو بخط واضح مع ضبط الشعر والشواهد وألا يزيد عن عشر صفحات.
- يرجى ذكر الاسم ثلاثيا مع العنوان المفصل.
- ترسل نبذة قصيرة عن الكاتب.
- توثيق البحوث توثيقا علميا كاملا.
- الموضوع الذي لاينشر لايعاد إلى صاحبه.
- إرسال صورة غلاف الكتاب،موضوع الدراسة أو العرض، أوصورة الشخصية التي تدور حولها الدراسة أو المجرى معها الحوار.

مدير التحرير
د . وليد إبراهيم قصاب

سكرتير التحرير
أ . شمس الدين درمش

هيئة التحرير
د . سعد أبو الرضا
د . عبد الله بن صالح المسعود
د . محمد عبدالعظيم بن عزوز
د . علي بن محمد الحمود

مستشارو التحرير
د . عبدالعزيز الثنيان
د . عبدالباسط بدر
د . حسن الهويمل
د . عبدالله العريني
د . رضوان بن شقرون

في هذا العدد

دراسات ومقالات

❖ **الافتتاحية:**

- الأدب العربي والأدب الإسلامي — التحرير — ١
- سيرة الشاعر.. هل تؤثر في الحكم النقدي عليه؟ — د.وليد قصاب — ٤
- ظاهرة الأقلام الواعدة في مجلة الأدب الإسلامي — فهد إبراهيم سعد البكر — ١٦
- ترجمة أدب الطفل.. سؤال الشكل والمضمون — د.أحمد عبد العظيم محمد — ٤٠
- العبرة من موت هرة — د.محمد رضوان الداية — ٦٦
- هل العقل مصدر الشعر والإلهام أم القلب والوجدان؟ — محمد ياسر أمين الفتوى — ٧٠
- الإبداع بين الرجل والمرأة قضية للمناقشة — محمد عبد الشافي القوصي — ٧٦
- إضاءة على رواية موضي.. حلم يموت تحت الأقدام — د. عبدالباسط بدر — ٨٠

❖ **الورقة الأخيرة:**

- في السيرة الذاتية — د.عماد الدين خليل — ١١٢

الشعر

- هكذا تكلم الشعر — طاهر العتباني — ١٢
- على سفر — د.حسن الأمراني — ١٥
- السفر في مراكب الشمس — أسامة كامل الخريبي — ٣٨
- سبحان ربي في علاه — فوزي سالم الأسيوطي — ٤٧
- فرح كامل — مصطفى أحمد النجار — ٥٠
- فاكهة الشتاء وشتاء العمر — فيصل محمد الحجي — ٥١
- عزوف — محمد أحمد فقيه — ٦٥
- زورق — أشرف محمد قاسم — ٦٩
- ذاكرة المرايا — محمد جلال قضيماتي — ٧٥
- حصاد السنين — محمد حسن داود — ٧٩
- أبو نواس يعظ — د.حيدر الغدير — ٨٧
- حمامة الحرم — خير الدين الزركلي — ٩٠
- صدى ذكرى — وحيد حامد دهشان — ٩١
- أطلع دمي — مصطفى عكرمة — ٩٧

القصة والمسرحية

- رتاج — ابتسام شاكوش — ٢٨
- انتظار — محمود حسين عيسى — ٤٨
- الحب أشكال وألوان للأديب الباكستاني سيد جاويد أختر — ترجمة: د.سمير عبد الحميد — ٥٦
- جحا والسلطان – مسرحية — نوال مهني — ٨٢
- الحل — ياسين أبو الهيتم — ٨٦

الأبواب الثابتة

❖ **لقاء العدد:**

- مع د.شفيق أحمد خان الندوي — حوار: شمس الدين درمش — ٣٠

❖ **تراث الأدب الإسلامي:**

- في صفة النبي ﷺ — هند بن أبي هالة — ٥٢

❖ **ثمرات المطابع:**

- حديث هند بن أبي هالة من الناحية الأدبية — عبد العزيز الرفاعي — ٥٣

- **تعقيب:**
- الرؤية التنويرية في نص «وإن زحفوا فلدنيا هدير» للشاعر محمود مفلح — د.حسين علي الهنداوي — ٨٨

❖ **رسالة جامعية:**

- جهود نقاد رابطة الأدب الإسلامي في نقد الشعر العربي الحديث — الباحث عادل إبراهيم العبدالله — ٩٢

❖ **مكتبة الأدب الإسلامي:**

- الآمال صارت آلاماً رواية نور الله كنج، ترجمة عوني لطفي أوغلو — التحرير — ٩٨

❖ **أخبار الأدب الإسلامي** — إعداد: شمس الدين درمش — ١٠٠

❖ **بريد الأدب الإسلامي** — ١٠٨

❖ **ترويح القلوب:**

- المزارع العظيم — محمد سعيد المولوي — ١١٠

د. وليد قصاب

سيرة الشاعر..
هل تؤثر في الحكم النقدي عليه؟

إن من ملامح الالتزام الأدبي الإسلامي توافق القول مع العمل، وإن أي انفصام بينهما هو علامة من علامات النفاق. قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ (الصف).

وعندما استثنت الآيات الكريمات من الغواية طائفة من الشعراء، وهم شعراء الإيمان؛ كان من علامات هؤلاء الشعراء أنهم ﴿ ... الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢٢٧﴾ ﴾ (الشعراء) أي اقترن قولهم بعملهم. وأما شعراء السفه والغواية فهم يقولون كل ما يخطر في بالهم سواء أكان حقا أم باطلاً، صفتهم الهيمان في كل واد، وانفصال قولهم عن عملهم ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ (الشعراء)، ولعله انطلاقا من هذا التصنيف القرآني للشعراء – اهتمت طائفة من النقاد العرب بالحديث عن أخلاق الشعراء ودينهم وأفعالهم، في محاولة للربط بين شخصية الشاعر وشعره، بين فعله وقوله، لتلمس عنصر الصدق الواقعي.

وقد احتل الحديث عن أخلاق الشعراء، وعقيدتهم، وسلوكهم الاجتماعي حيزاً غير قليل من اهتمام هؤلاء النقاد، وأثرت عنهم آراء كثيرة حول ذلك، وقد أخذت هذه الآراء عدة اتجاهات؛ بعضها نظري، وبعضها تطبيقي .

فمن الجانب النظري نجد:

◁◁ التشهير بأصحاب السلوك السيئ:

شهّر بعض النقاد بشعراء عُرفوا بالنفاق الاجتماعي، أو السلوك المنحرف، وعُدّ ذلك من المآخذ على هؤلاء الشعراء، ومن النقائص في شخصيتهم.

أخذ المرزباني على البحتري أنه «هجا نحوا من أربعين رئيسا ممن مدحه، منهم خليفتان، وهما المنتصر والمستعين، وساق بعدهما الوزراء ورؤساء القواد، ومن جرى مجراهم من جلة الكتاب والعمال ووجوه القضاء والكبراء، بعد أن مدحهم وأخذ جوائزهم»[١] وعقب على ذلك قائلا: «وحاله في ذلك تنبئ عن سوء العهد، وخبث الطوية»[٢].

وتحدث المظفر العلوي عن نفاق أبي نواس، وقلة وفائه لبني برمك الذين مدحهم ثم ذمهم[٣].

وتحدث المظفر العلوي كذلك عن عدم وفاء المتنبي لكافور الإخشيدي، حيث وفد عليه «مستميحاً، وقدم عليه يُوسعه ثناء ومديحاً، فمن جملة قوله فيه:

قواصدَ كافورٍ، توارك غيره
ومن قصد البحر استقل السواقيا

فلما وصله كافور بصلاته، وأسرف في بذل أمواله وأعطياته؛ كرَّ راجعاً عليه بذمه، نافثاً في فم عرضه قواتل سمه. وقد قال رسول الله ﷺ: حرام على النفس الخبيثة أن تخرج من دار الدنيا حتى تسيء إلى من أحسن إليها..»[٤].

إن هذه الأقوال وأمثالها تنتقص من قدر الشاعر، وتعيب شخصيته، وتسفّه سلوكه وأخلاقه، ولكنها لا تربط ذلك بشاعريته، ولا تشير إلى تأثيرها في هذه الشاعرية، أو تنتقص منها؛ فهي أقوال نظرية، ولكنها تحذّر من أمثال هؤلاء الشعراء حتى لا يُغتر بأقوالهم.

◁◁ دعوة الشاعر إلى الصدق:

وأُثرت عن النقاد أقوالٌ دعت الشاعر إلى الصدق، وأن يتصف بما يدعو إليه؛ فلا يَدّعي الكرم وهو بخيل، أو الشجاعة وهو جبان، أو مكارم الأخلاق وهو خسيس الفعال، سيئ الأخلاق حتى يكون في دائرة الصدق الواقعي.

وكانت العرب منذ الجاهلية قد أخذت على المهلهل كذبه، وأنه كان يّدعي في شعره، ويتكثّر في قوله أكثر من فعله. «وقالوا أكذب بيت قوله:

فلولا الريحُ أسمع أهلَ حَجْرٍ
صليل البيض تقرعُ بالذّكور

وكان منزله على شاطئ الفرات، وحجر هي اليمامة ..» (الموشح: ٩٤-٩٥).

يقول ابن الأثير: «يُستحب للشاعر أن يكون حسن الأخلاق، حلو الشمائل، مأمون الجانب، طلق اليدين. وإلا كان كما قال ابن أبي فنن:

«وإن أحق الناس باللوم شاعرٌ
يلوم على البخل الرجالَ ويبخلُ

فإن اتصف بذلك كان أملأ في العيون، وألوط في القلوب»[٥].

وقال الكلاعي: «ومما يُستحب للكاتب أن يهذب أفعاله كما يهذب أقواله»[٦].

وينصح ابن قتيبة الكاتب بقوله: «ونحن نستحب لمن قبل عنا، وائتم بنا، أن يؤدب نفسه قبل أن يؤدب لسانه، ويهذب أخلاقه قبل أن يهذب ألفاظه، ويصون مروءته عن دناءة الغيبة، وصناعته عن شين الكذب..»[٧].

ويشير أبو العلاء إلى ما قيل عن عدم تدين أبي تمام، ويعيب ذلك، فيقول: «وأما أبو تمام فما أمسك من الدين بزمام.. فإن قُذف في النار حبيب، فما تغني المدَح ولا التشبيب.. وإن كان حبيب ضيع صلواته، فإنه ضالّ بفلواته.. فليت حبيباً قرن بين الصلاتين، فجعلهما كهاتين، كما قال القائل:

قرن الظهر إلى العصر كما
تقرن الحِقةُ بالحق الذكر[٨]

فليته كان كالجعدي، أو سلك به مسلك عدي، أو كان مذهبه مذهب حاتم؛ فقد كان متألِّها، ومن الخشية متولِّها..»[٩].

كما هاجم أبو العلاء طائفة من الشعراء الذين «لا ينبئ نطق لسانهم عن اعتقادهم»، منهم دعبل بن علي الخزاعي، قال عنه:«لم يلحقني الشك في أن دعبل بن علي لم يكن له دين، وكان يتظاهر بالتشيع، وإنما غرضه التكسب..»[١٠].

إن هذه الأقوال وأمثالها تنطلق من النعي القرآني على من يقولون ما لا يفعلون. وهي كلام نظري صادر عن تصور إسلامي تريد أن يتحقق في القول الصدق الواقعي، ولا شك أن مثل هذا الصدق إذا انطلق منه القائل كان أحظى عند المخاطب، وأدعى للقبول عنده، بل ربما كان أكثر حميمية، وأقرب إلى الدفء، وأبعد له عن النفاق والكذب.

ولكن هذا يبقى كلاما نقديا نظريا، يدفع إليه الورع والحرص على تحقيق قاعدة إيمانية، وهي الصدق، واتساق الشخصية، وتبرئتها من النفاق، ولكنه لا يتخذه معيارا في الحكم النقدي على فنية القول، فالفنية – كما سبق أن ذكرنا – لا تعتد بشخصية القائل، ولا تحفل أن يكون على أية عقيدة أو سلوك أو صفة، إن الحكم على السيرة غير الحكم على الشعر. والحكم على الشخص غير الحكم على النّص.

ولذلك فإن بعض أصحاب هذا القول لن يثني على شعر ضعيف وإن كان قائله صالحاً أو دّيناً، إنه يحبِّذ – من غير شك- أن يصدر شعر الحق والجمال عن مبدع يتصف بالحق والسيرة الطيبة، أن يكون الشعر صورة عن شخصية قائله كما يقول أصحاب المنهج النفسي، ولكنه إذا لم يتحقق ذلك فليس أمامه للحكم النقدي إلا النص وحده.

إن هذه الأقوال نظرية تدعو الشعراء إلى التزام إيماني صادق، ولكن هذا البحث معني – بصورة أساسية – بآراء النقاد الذين اتخذوا من عقيدة الشاعر، أو خلقه وسلوكه الاجتماعي معياراً في الحكم النقدي التطبيقي عليه.

ولا يتحدث هذا البحث عمن أخره النقاد، أو لم يحتجوا بشعره بسبب ما يصدر عنه من قول سفيه يتجافى مع الدين أو الأخلاق، مثل عدم احتجاج أبي عمرو الشيباني بشعر أبي نواس – مع جودته اللفظية- بسبب ما في معانيه من الفحش والسفه.

قال أبو عمرو: «لو لا ما أخذ فيه أبو نواس من الرفث لاحتججنا بشعره، لأنه محكم القول»[١١].

وفي رواية: «لو لا أن أبا نواس أفسد شعره بهذه الأقذار – يعني الخمور – لاحتججنا بشعره؛ لأنه

محكم القول لا يخطئ» [١٢] وكتأخير الأصمعي للسيد الحميري بسبب ما في شعره من معان قبيحة كسب السلف بسبب عقيدته الشيعية.

يقول الأصمعي: «قبّحه الله! ما أسلكه لطريق الفحول! لولا مذهبه، ولولا ما في شعره ما قدمت عليه أحدا من طبقته»[١٣].

وفي رواية: «قاتله الله! ما أطبعه، وأسلكه لسبيل الشعراء! والله لولا ما في شعره من سب السلف لما تقدمه من طبقته أحد»[١٤].

إن مثل هذه الأقوال هي من صميم النقد، ومن صميم الحكم النقدي، لأنها تحتكم إلى معيار ديني خلقي في الحكم على المعاني وتقديرها، والمعنى هو جزء من جمالية النص.

فأبو نواس مجيد لفظاً، وهو محكم القول، ولكنه يفحش في المعاني فذاك يؤخره.

والسيد الحميري شاعر مطبوع، يجيد صنعة الشعر اللفظية، ولكنه يجنّد ذلك في خدمة معان غير نبيلة، فهو – من وجهة نظر نقدية – جدير أن يؤخر، فالشعر بلفظه ومعناه، والحكم عليه يكون بهما معا.

ولكن هذا البحث كما قلنا لا يبحث في هذا الجانب، بل هو حول سيرة الشعراء، وموقف النقاد منهم، وتأثيرها في أحكامهم.

وقد اتخذ ذلك – كما أشرنا – عدة صور.

◂◂ الحكم النقدي لا علاقة له بخلق الشاعر أو دينه.

قد يكون القاضي الجرجاني صاحب كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه من أبرز من عرض لهذه القضية، وقال فيها كلاماً حمله بعضهم على غير وجهه.

اتهم بعضهم المتنبي برقة الدين، أو ضعف العقيدة في بعض أبيات شعره، واتخذ من ذلك وسيلة للطعن في فنية شعره ذاته، وللانتقاص من شاعريته، فقال الجرجاني عبارة حاسمة تفصل بين الأمرين، قال: «لو كانت الديانة عاراً على الشعر، وكان سوء الاعتقاد سبباً لتأخر الشاعر، لوجب أن يُمحى اسم أبي نواس من الدواوين، ويحذف ذكره إذا عدت الطبقات، ولكان أولاهم بذلك أهل الجاهلية، ومن تشهد الأمة عليه بالكفر. ولوجب أن يكون كعب بن زهير، وابن الزبعرى وأضرابهما ممن تناول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وعاب من أصحابه، بُكماً خُرساً، وبِكاء مفحمين، ولكن الأمرين متباينان، والدين بمعزل عن الشعر»[١٥].

إن عبارة الجرجاني هذه لا تعني إبعاد الدين عن الشعر، ولا تعني الفصل بينهما، أو إلماعاً إلى أنهما نشاطان متنافران، أو أن اتصالهما قد يؤدي إلى إضعاف الشعر أو لينه كما فهم ذلك بعض الباحثين المعاصرين[١٦]، ولكنه فصل بين الحكم على الشاعرية وسلوك صاحبها أو عقيدته.

إن الشاعرية موهبة من المواهب، وقد يؤتاها البرّ والفاجر، والمؤمن والكافر، ولن تمنعنا عقيدة شاعر أو أخلاقه من الإقرار بموهبته، ومن إنزاله مُنزله النقدي.

وهاهم النقاد يستشهدون بأشعار أهل الجاهلية، وبأشعار فسقة أو فجرة أو يهود، أو نصارى ما دامت جيدة معتبرة، تدعو إلى قيم الحق والخير.

وبين يدي عدد من أقوال النقاد التي تجعل الحكم على شاعرية الشاعر أمراً مستقلاً عن سلوكه وخلقه.

يقول الأصمعي عن أبي الطمحان القيني: «كان شاعراً مجيداً، وكان – مع ذلك – فاسقاً»[١٧].

وكان يقول عن الحطيئة: «كان الحطيئة جشعاً سؤولاً، دنيء النفس، كثير الشر، بخيلاً، قبيح المنظر، رث الهيئة، مغموز النسب، فاسد الدين، وما تشاء في شعر شاعر عيباً إلا وجدته فيه، وقلما نجد ذلك في شعره..»[١٨].

وكذا ما قاله أبو عبيدة عن الحطيئة: «كان الحطيئة متين الشعر، وكان دنيء النفس»[١٩].

وجاء في شرح شواهد المغني: كان أبو حية النميري «فصيحاً راجزاً من سكان البصرة، وكان أهوج جباناً، بخيلاً كذاباً..»[٢٠].وقال الثعالبي عن أبي رياش: «كان باقعة في حفظ أيام العرب وأنسابها.. مع فصاحة وبيان، وإعراب وإتقان، ولكنه كان عديم المروءة، وسخ اللبسة،كثير التقشف، قليل التنظف..»[٢١].

حسن السلوك لا يشفع لضعف الشاعرية:

وإذا كان سوء سلوك الشاعر، أو ضعف عقيدته، أو قبح أفعاله وأخلاقه لا يقدح في شاعريته، أو يكون سبباً للانتقاص من موهبته وشعره، فإن الصورة المعاكسة هي كذلك في هذا السياق.

إن حسن السلوك ليس مسوغا لحسن الشاعرية، وإن دين الشاعر، أو صحة عقيدته، أو جمال أفعاله وأقواله، لا يشفع له أن يحظى عند النقاد، أو يرقى به إلى منزلة فنية أعلى من المنزلة التي يستحقها. من ذلك مثلا ما قالته طائفة من النقاد عن لبيد ابن ربيعة- رضي الله عنه – الذي كان متديناً عفيفاً صالحاً، ولكن ذلك لا يقدّمه عندهم، ولا يبوِّئه منزلة الفحول من الشعراء.

روى الأصمعي عن أستاذه أبي عمرو بن العلاء قال: سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: «ما أحد أحبّ إلي شعراً من لبيد بن ربيعة، لذكره الله – عز وجلّ – ولإسلامه، ولذكره الدين، ولكن شعره رحى بَزْر..»[٢٢] أي هو كأنه بزر، ولكنه لم ينضج أو يثمر.

ويتبنى الأصمعي رأي أستاذه، فيقول لأبي حاتم – وقد سأله عن شعر لبيد: «شعر لبيد كأنه طيلسان طبري، يعني أنه جيد الصنعة، وليست له حلاوة»، ويسأله أبو حاتم: «أفحل هو؟ فيقول: ليس بفحل» قال أبو حاتم: وقال لي مرة: «كان رجلاً صالحاً، كأنه ينفي عنه جودة الشعر..»[٢٣].

ومثل ذلك ما قاله حسان بن ثابت – رضي الله عنه – عن شعر عمرو بن العاص: «ما هو شاعر، ولكنه عاقل»[٢٤].

ومثل ذلك قول الأصمعي عن أبي دواد الإيادي- وقد سأله عنه أبو حاتم-: «صالح، ولم يقل: إنه فحل..»[٢٥].

وفي موطن المقارنة بين شاعر صالح وشاعر أقلّ صلاحاً، يقدم الثاني إذا كانت فنيته أعلى، ويؤخر الأول إذا كانت شاعريته ليست على المستوى المطلوب، ولم يشفع لأي منهما في الحكم النقدي سلوكه أو خلقه، أو سيرته.

وهذا ما عبر عنه أبو عمرو بن العلاء وهو يقارن بين لبيد والأعشى مفخماً شأن الأعشى: «شاعر مجيد، كثير الأعاريض والافتتان. وإذا سئل عنه وعن لبيد قال: لبيد رجل صالح، والأعشى رجل شاعر..»[٢٦].

ومن هذا القبيل تقديم بعض النقاد الأخطل النصراني على صاحبيه المسلمين: الفرزدق وجرير.

«كان أبو عمرو بن العلاء ويونس وحماد يقدمون الأخطل في الشعر على جرير والفرزدق»[٢٧].

ولا أحسب أن هناك أي حرج في أي من هذين الموقفين السابقين؛ ذلك أن «الشاعرية» – كما سبق أن أشرنا – لا ترتبط بعقيدة أو سلوك أو خلق، ومن الإنصاف والعدل أن نشيد بفنية القول أيا كان منشئها: صالحاً أم فاسداً، مؤمناً أو كافراً.

كما أن من غير الإنصاف أن نعطي أحداً ما ليس له، أن نلصق به موهبة، أو عبقرية، بسبب دينه أو سلوكه. إن مقولة الجرجاني هنا: «الدين بمعزل عن الشعر» هي الحكم العادل في هذه القضية.

تأخير الشاعر بسبب سوء سيرته:

ولكن هناك طائفة من النقاد ربطت الحكم النقدي على الشاعر بعقيدته وخلقه، ورأت أن سوء السلوك، ودنيء الفعال، حريان أن يؤخرا الشاعر عن طبقته، وأن يؤثرا في الحكم عليه.

ويبدو أن أصحاب هذه الآراء كانو يدعون الشاعر إلى التزام مثالي، وهو التزام يعتنق فيه القول بالعمل، ويصدق فيه الفعل الكلام.

كان خلق الشاعر السيئ أو رقة دينه، أو قبح فعاله، سبباً في تأخيره عند طائفة من النقاد، وقد قدموا عليه – بسبب من ذلك – من هو أكرم فعالاً، وأصح ديناً، وأفضل خلقاً.

ذكر أبو الفرج أن ابن سلام جعل الأحوص وابن قيس الرقيات ونصيباً وجميلا طبقة واحدة، ولكنه جعل الأحوص بعد ابن قيس وبعد نصيب، وذلك أن الأحوص – لولا ما وضع نفسه به من دنيء الأخلاق والأفعال – أشد تقدماً منهما عند جماعة أهل الحجاز وأكثر الرواة، وهو أسمح طبعاً، وأسهل كلاماً، وأصح معنى منهم.. وكان قليل المروءة والدين، هجاء للناس، مأبوناً فيما يروي عنه..»[٢٨].

وذكر البغدادي عند ترجمته للأحوص أن «الأحوص مقدم عند أهل الحجاز، وأكثر الرواة، لولا أفعاله الدنيئة؛ لأنه أسمحهم طبعاً، وأسلسهم كلاماً.. وكان يشبب بنساء المدينة، ويشيع ذلك في الناس..»[٢٩].

إن الأحوص أجود شعراً، وأسلس قولاً، وأسمح طبعاً من جميع الشعراء المذكورين، ولكن ابن سلام يؤخره في الطبقة عنهم بسبب أفعاله الدنيئة، ورقة دينه، وسوء أخلاقه، وكان يمكن لهذا الشاعر المجيد فنياً أن يكون كذلك مقدماً عند أهل الحجاز لولا صفاته السلوكية المذكورة وقبح سيرته.

ومن هذا القبيل تأخير أبي عمرو بن أبي العلاء الأعشى - مع شاعريته المتميزة - بسبب دناءة نفسه.

يقول أبو عمرو: «هو أشعر القوم، إلا أنه وضعه إلحافه بالسؤال»[٣٠].

واتكأ عمر بن عبد العزيز – رضي الله عنه – على هذا المعيار الديني الخلقي، سيرةِ الشاعر وأخلاقه – في حكمه بين المشهورين: جرير والفرزدق، فقدم جريراً على صاحبه لما رأى من عفته، ولما عرف عن الفرزدق من قبح الفعال، وقد بلغه أن الفرزدق زنى فنفاه، فقال – بعد أن حدث الناس بفعال كل منهما: «عجباً لقوم يفضلون الفرزدق على جرير مع عفة بطنه وفرجه»[٣١].

وأورد أبو عبيدة حجة من قدم جريراً بقوله: «يحتج من قدم جريراً بأنه كان.. وكان ديناً عفيفاً».

ويؤخر الوزيرَ الكاتبَ أبا الحسن يوسف بن محمد سوءُ سيرته، ولو حسنت هذه السيرة لذاع أمره واشتهر[٣٢].

يقول ابن بسام عنه: «أبو الحسين هذا كان من أسنى نجوم سعدهم، وأسمى هضاب مجدهم، ولولا ما خلا به من معاقرة العُقار، وتمسك بأسبابه من قضاء الأوطار، لملأ ذكره البلاد، وطبق نظمه ونثره الهضاب والوهاد..»[٣٣].

سلوك الشاعر بين القاضي والناقد:

إن السلطان يحاسب الشاعر على القول والعمل، وإن كانت العقوبة في كل منهما مختلفة؛ فالشاعر الذي ذكر في شعره أنه شرب الخمر، أو أنه زنى، أو أنه قتل، ولكن لم يثبت أنه فعل ذلك لا يقام عليه حدّ الخمر، أو الزنى، أو القتل، ولكنه – عند قاض مسلم – قد يُعَذّر، أو يتوعّد لأنه أشاع الفاحشة، أو زيّنها، أو حرّض عليها.

وانطلاقاً من هذه القاعدة درأ بعض الشعراء عن أنفسهم عقوبة الحد، محتجين بأن الشعراء: –بحسب الوصف القرآني لهم – (يقولون ما لا يفعلون).

لما بلغ عمر بن الخطاب – رضي الله عنه– قول سحيم عبدِ بني الحسحاس:

توسّدني كفاً وتثني بمعصم
عليّ، وتحوي رجلها من ورائيا

وقوله:

ولقد تحدّر من كريمة بعضهم
عرق على جنب السرير وطيب

هدده بالقتل، قال له: «ويلك! إنك لمقتول»[٣٤].

فعمر يهدد سحيماً بالقتل لأنه ذكر الفاحشة في شعره؛ فهو يذيع المنكر، ويزين الفحشاء، ولو ثبت أنه قد فعل هذا الذي يقول لكان له عقاب آخر عند عمر؛ فهو – السلطان القاضي – يحاسب على القول والفعل.

كان الأحوص يشبب بنساء الأشراف في المدينة، فنُهي فلم ينته، فشُكي إلى عامل سليمان بن عبد الملك، فأمر سليمان بضربه مئة، وأن يقيمه على البُلُس[٣٥] للناس، ثم يسيره إلى دهلك. وظل منفياً إلى أيام عمر بن عبد العزيز، فاستأذنه الأحوص في

القدوم، فلما أسمع شيئا من شعره الماجن أبى رده، وقال: «لا رددته ماكان لي سلطان».

وعندما بلغ عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – أن والي ميسان قال:

فمن مبلغ الحسناء أن حليلها
بميسان يُسقى في زجاج وحنتم
إذا شئت غنتني دهاقين قرية
ورقاصةٌ تجثو على كل منسم
فإن كنتَ ندماني فبالأكبر اسقني
ولا تسقني بالأصغر المتثلِّم
لعل أمير المؤمنين يسوؤه
تنادُمنا في الجوسق المتهدم

قال: «وايم الله إنه ليسوؤني، وقد عزلتك». وقال النعمان: «والله يا أمير المؤمنين ما شربتها قط. وما ذاك الشعر إلا شيء طفح على لساني»؛ فصدق عمر أنه قال ولم يفعل، ولكنه عاقبه على القول. قال له: «أظن ذلك، ولكن والله لا تلي لي عملا ما بقيت وقد قلت ما قلت..»[٣٦].

إن عمر القاضي السلطان يحاسب الشاعر على قول منحرف، ولو ثبت له أن شرب الخمر، أو فعل ما قال لكان هنالك عقاب يتناسب ونوع الفعل.

ذلك هو سلطان القاضي أو الحاكم، يحاسب على القول والعمل، ولكلٍّ عقاب من نوع معين. ولكن الناقد يعتمد على النص، ويحكم على صاحبه من خلاله. الناقد سلطان على النص، وليس له سلطان على الشخص، بل ليس ذلك من مهمته، ولا في مقدوره، وحكمه على أديب ما بأنه ملتزم قائم على ما يقوله لا على ما يفعله، على إبداعه لا على سيرته.

ولو صدرت الحكمة عن فاسق، أو ماجن، أو كافر، أو مجنون، فإنه لا شيء يمنع من أخذها، والإشادة بها، بل تبنيها والدعوة إليها.

وإن أرقى أنواع الالتزام عند الأدباء وغيرهم أن يقترن بالقول العمل، وأن يصدق الفعلُ الكلام، ولكن الناقد لا يملك إلا النص الذي بين يديه ■

الهوامش:

(١) الموشح: ٥١٦.
(٢) السابق نفسه.
(٣) نضرة الإغريض: ٣٦٦.
(٤) السابق، ص٣٦٩.
(٥) كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب: ابن الأثير: ص٤٣.
(٦) إحكام صنعة الكلام: الكلاعي، ص٢٤٩.
(٧) أدب الكاتب: ص١٤.
(٨) الحقة: الناقة التي استحقت الحمل.
(٩) رسالة الغفران: ص٤٨٠.
(١٠) السابق: ص٤٢.
(١١) طبقات الشعراء لابن المعتز: ص٢٠٢.
(١٢) السابق، وخزانة الأدب، ٣٤٨/١.
(١٣) الأغاني: ٢٣٢/٧.
(١٤) السابق: ٢٣٦/٧.
(١٥) الوساطة: ص٦٤.
(١٦) انظر مثلا عزالدين إسماعيل في «الأسس الجمالية في النقد العربي»، ص١٨١، ص١٨٣، ص١٨٥، ومحمود الربيعي في «في نقد الشعر»، ص٦٥، وعبدالله الغذامي في «النقد الثقافي»، ص٩٨.
(١٧) العقد الفريد: ٣٧/٦.
(١٨) خزانة الأدب للبغدادي: ٤٠٨/٢، الأغاني: ١٦٣/٢.
(١٩) الأغاني: ١٦٥/٢.
(٢٠) شرح شواهد المغني للسيوطي: ٧٢١.
(٢١) يتيمة الدهر للثعالبي: ٣٥١/١.
(٢٢) الموشح للمرزباني: ص١٠٠.
(٢٣) السابق.
(٢٤) فحولة الشعراء للأصمعي، ص٣٧.
(٢٥) الموشح، ص١٠٠.
(٢٦) خزانة الأدب: ١٧٦/١.
(٢٧) شرح شواهد المغني: ١٢٣/١.
(٢٨) الأغاني: ٢٣٣/٤.
(٢٩) خزانة الأدب: ١٨/٢.
(٣٠) جمهرة أشعار العرب: ٢٠١/١.
(٣١) الممتع في علم الشعر وعمله، لعبدالكريم النهشلي: ١٥٦.
(٣٢) الأغاني: ٥/٨.
(٣٣) الذخيرة لابن بسام: القسم الثاني: ص٥٥٦.
(٣٤) الأغاني: ٣٠٥/٢٢، والشعر والشعراء: ٤٠٩.
(٣٥) البلاسُ: ثوب من الشعر غليظ، وجمعه: بُلُس.
(٣٦) كنز العمال: ٤٨٧/٣، وطبقات ابن سعد: ١٤٠/٤، والإصابة: ١٦٥/١٠.

هكذا تكلم الشعر

(١)

طاهر العتباني - مصر

أنا الشعر...
لا أعرفُ المستحيلا
ولا أرتضي بالدخيل دخيلا
أنا الشعر...
حاربْتُ كل الرياح...،
وحاورْتُ هذي الفصولا
وأترعْت بالعطر كأسي،
وأطلعْت هذا النخيلا
أنا الشعرُ..
لا أقبض الجمرَ إلا...
وفي قلبه
أستحيل احتراقاً نبيلا

ولا أعرف الخيل مسرجةً
للأسى،
فاقدات لظاها
ولا أرتضيها صهيلا
أنا الشعر...
روّيْت بالدمع روح المُحارب...،
حتى تظل البطولة صامدة...،
والصمود فتيلا
أنا الشعر...
أرَّخْت للؤلؤ العذب في شفتيها
وحاورت فيها الدلالَ الجميلا
وأذْكيْت ليلَ الأغاريد...
بالمستحيلات من سجْعها،
وشربتُ النُّحولا
كذا لغتي...
تشرب اليأس حينا...
وحينا تصبُّ انهمارَ الينابيع..
عطرا ذَهُولا
وحينا تروّي السواسن...
في رُدْهة البيْت،...
تُجَري الخميلا
أنا الشعر...
سيَّدة البيت تنْكرني
وهْي تعرفني
منذ كنت الصبيَّ الخجولا
ومنذ رسمتُ

على خافقات الطيور... مواسمَها
ونقشتُ الفصولا
ومنذ تعتقتُ في وردة فتَّحتْ...
فارتدتْني عطراً وفاحت ذبولا
ومنذ سَرَتْ بعض هذي البلابل،
في ساحة الأغنيات...
وأثكلت الدارُ أمي البتولا
ومنذ خططت على دفتري وجهها
وارتديت الذهولا
ومنذ أفقتُ على وجْه قريتيَ....
المُستحمَّة بالموت..
أذْرَتْ على طفلة خفقةً من دماها
وهامت ثُكُولا
ومنذ أتانيَ عذباً هديلُ الحمام...
ليرْسمني صادحاً سلسبيلا

أنا الشعر...

يكتمني الليل في وجْنة الوجْد...
يسرقني العشقُ من ناظريّ...،
وإذ ما أحدق...
أبصر صبحَ الصبابات نيلا
وأبصر هذا الندى الأقحوانيّ...
والنرجس المختبي...،
في حدائق هذي العيون...
لظىً مستحيلا

أنا الشعر...

لو شق صدري عمّا به...
لأبى أن يقولا
ولو جاسَ بين مرايا اللظى
لانتضى الروح في أوجها
والمدى والتلولا
ولو صبغته جميع الدروب بأوجاعها
ما أحب القفولا

❊ ❊ ❊

أنا الشعر...

ذا عالمي لم تهيئه
هذي الحماقات...
لا... لم تشيِّدْهُ جيلا فجيلا
أنا، عالمي
لم يمت فيه طفل يتيم...،
ولم يسكب الحقد فيه الأسى والأفولا
أنا، عالمي
وردة ليس تذبلُ إلا لتطلعَ...
وردا أصيلاً
أنا، عالمي
للفراشات فيه انبثاق...،
وللعطر فيه انطلاق...،
وللحب فيه انعتاق لئلا يحُولا
أنا، عالمي
خطرات المحبين...،
همسهمُ...،
وجدهمْ...،
وانتظاراتهمْ للقطارات...،
تعبر هذا الأسى
ثم تبكي الطلولا
أنا، عالمي غيركم....،
إنني في حرير الشغاف...،
أفاكهُ صبية قلبي،
وأجْلو السبيلا
لماذا أخبئ بين حدائق روحي....
ابتساماتها؟
ولماذا أدل عليها الربيع الجميلا؟
أنا، عالمي فوْضويٌّ...

وأنتم لكم عالم...
في تعقُّله، قد أباد العقولا

❊ ❊ ❊

أنا الشعر...،
قد أتدثَّر بالوهج حينا
وحينا أرُودُ أناملها أو أكون القتيلا
فهاهي ذي حانياتٌ أصابعها....
مترعات عيون المها....،
وسنابلها الخضر صارت حقولا
وفي مرفأ الليل تنشدني
كي أرود القرون وأحكي الطلولا
أنا الشعر....
لا أعرف المستحيلا

(٢)

أطارحك الشعر...
يا سيد الشعر....
يامن جعلت البطولات نيلا
فإني الحواريُّ....
حين تكون النبوءةُ صادقة...
والكتاب على الصدق فيها دليلا
وإني الحواريّ...
حين تكون المواجد متْنا..
تكون الشروح =المواجع...
ليست بديلا
عقدت لنا رايةً فارتقبنا....
سنأتيك بالنصر، يا فارسا....
مستحيلا
عقدت لنا راية... لا تُرَعْ...
«خيبر»
سوف تسقى المهانة من كفنا...،
والحسامَ الصقيلا
ومن نارك المشرئبة في الليل...
نقبس ما يتلظى بأضلاعنا كي نقولا
هو الفتح يا سيدي....، فارتقبنا
فهذي «فلسطين» تصرخ فينا
وهذي مواجع «بغداد» صارت
جنونا
فكن راية للمدى....،
للمرافئ موجا سؤولا
وكن لمحبيك صدرا رحيبا
وثغرا قؤولا
وكن مثل «يوسف»...
حين أبى أن يعاذل إخوته...،
وارتضى أن يقولا:
«لا تثريب عليكم»

(٣)

قم الليل إلا قليلا
ورتل طويلا طويلا
حروفك من عسجد الليل.... منسوجةٌ،
ولسانك أقوم قيلا
وإن كنت أدْلجْتَ
حتى بلغتَ النزولا
وإن كنت جُبْتَ البلاد، السهول، التلولا
فقد كان بلّوْر كأسك عطرا..
وقد مزجت زنجبيلا
قم الليل إلا قليلا
وسبح طويلا طويلا
وضم جناحك...، ألق العصا
فالثعابين من حولها لن تطيلا

❊ ❊ ❊

على سفر

د. حسن الأمراني - المغرب

نعم، نعم، نحن على سفر
يحدو بنا القدر
وليس من مفر
وليس..ليس ينفع الحذر
نحن البشر
على سفر
وليست الدنيا سوى جسرٍ
يقوم بين الموت والحياهْ
فرطِّبِ الشفاهْ
بمحكم الذّكْـرِ
يا صاحبي، نحن بني البشر
لسنا حديدا لا ولا حجر
نسعى إلى مقر
(إما إلى الجنة أو سقر)
فما لنا في غفلة عن زاد؟
كأننا ننفخ في رماد...
يا هول منتظر!
يقول لي شيخي وقد رافقته:
يا ولدي، الناس إلا العالمون هلكى
(والله يشهد بأني ما أقول إفكا)
والعالمون فاعلم الا العاملون هلكى
والعاملون، قال، إلا المخلصون هلكى
والمخلصون أيها الصاحب في السفر
أكثرهم على خطر....
قلت له: يا شيخ، أين واحة الغفران والعفو
إذا غفر؟؟

ظاهرة الأقلام الواعدة في مجلة الأدب الإسلامي

«دراسة أدبية نقدية لخطاب الشباب المعاصر»

تعدّ ظاهرة «الأقلام الواعدة» في مجلة الأدب الإسلامي من الأعمدة الرئيسة الثابتة في محتويات أعدادها منذ نشأتها؛ فلقد أخذت المجلة على عاتقها الاهتمام بهذه الأقلام الواعدة، ورعاية المواهب الأدبية المتنوعة سواء أكانت في مجال الشعر أم النثر.

فما زالت المجلة منذ نشأتها قبل حوالي عقدين من الزمن مهتمةً بخطاب الشباب المعاصر من خلال هذه الأقلام الواعدة التي شكلت تميزا عرفت به، فقليل هي الصحف والمجلات والملتقيات التي تهتم بالأقلام الواعدة وتتبناها، وتشد من أزرها، وتأخذ بيدها توجيهاً إلى طرق الإبداع ومسالك الانطلاق والتميز.

فهد إبراهيم سعد البكر(*) السعودية

(*) محاضر بقسم اللغة العربية وآدابها ، كلية الآداب والفنون، جامعة حائل، المملكة العربية السعودية

وليس بالضرورة أن يكون القلم الواعد شابا، أو أن تكون الانطلاقة في مرحلة الشباب، ولعل مما تميزت به هذه المجلة أنها استطاعت استقطاب الشباب والبنات ممن يمثلون مرحلة عمرية لا تتجاوز الثلاثين عاماً أو تزيد بقليل، ولهذا سنجد أن كثيراً من الأقلام الواعدة في هذه المجلة تنضح بخطاب شبابي معاصر، ولا يعني ذلك إغفال الأقلام الواعدة التي لا تمثل فئة الشباب، فالمجلة لديها اهتمام كبير بالأقلام المبتدئة، سواء أكانت دون مرحلة الشباب (أدب الطفل) أم أعلى من مرحلة الشباب (الأقلام البواكير المبتدئة) التي تكتب لأول مرة، وهذه قد يكون لها موضع آخر للدراسة غير ما نحن بصدده الآن.

◁◁ خطاب الشباب الأدبي في مجلة الأدب الإسلامي:

أ – أنواع الخطاب وفنونه: «قراءة إحصائية»

حين نتصفح أعداد هذه المجلة الغراء كاملةً[1] منذ أول عدد صدر في شهر رجب من العام ١٤١٤هـ فإننا نجد للأقلام الواعدة فيها حظاً وافراً من الاهتمام، ونجد أنفسنا بإزاء كمٍّ وافر من التنوع، ففي الاتجاه الشعري يعبر خطاب الشباب في هذه المجلة عن اهتمام بالغ، ولعل اللافت للانتباه أن المجلة شجعت على الشعر بنوعيه العمودي منه والتفعيلي (الشعر الحر)[2]، وهذا يحسب لها في كونها تمد جسور التواصل بين الخطاب والمبدع إذا كان ممن يستهويه الاتجاهان.

ويتضح اتجاه الخطاب الشعري في أعداد المجلة متفاوتاً بين الشعر العمودي والشعر الحر، وقد تراوح هذا الخطاب الشعري الذي أبدعه الشباب في هذه المجلة على نطاق الأعداد كاملة، فوصل إلى حوالي ٥٣ قصيدة يمثل النمط العمودي منها حصة كبيرة؛ حيث يبلغ مجموع القصائد ٤١ قصيدة عمودية، في حين بلغت نصوص شعر التفعيلة ١٢ قصيدة على مستوى الأعداد، وهذه النظرة الإحصائية إنما بنيت على أساس ورود النصوص كاملة، بمعنى أن النصوص التي اخترناها هي تلك التي تم اعتمادها نصوصا قابلة للنشر[3].

إن مثل هذه القراءة الإحصائية تعطي مؤشراً مهماً، وهو أن الخطاب الشعري الذي أبدعه هؤلاء الشباب لم يكن لينحو منحى واحداً تقليدياً، ولكنه في الحقيقة زاوج بين الشكل المتوارث (العمودي) والشكل التجديدي (الحر)، وفي هذا دليل على أن الخطاب الشعري جاء متنوعاً من حيث الاتجاه كما يدل على انفتاح المجلة على الآخر، وسعة أفقها، فهي تمزج بين الأصالة والتجديد.

أما الخطاب النثري فقد جاء هو الآخر غزيراً ومتنوعاً؛ إذ شكّل ما يقارب ٤٣ نصاً كان للخواطر منه الجزء الأوفى، كما كان للخطاب القصصي – بأنواعه وأشكاله– نصيبه الوافر من الحضور، يلي ذلك الخطاب المسرحي، والمقالي، ثم يأتي بعد ذلك الخطاب الرسائلي أقل أنواع الخطاب حضوراً.

ويمكن أن نصف ورود هذه الأنواع مرتبة كما يأتي:

الخواطر: ١٣ نصاً. القصة القصيرة: ١٢ نصاً. القصة: ٦ نصوص. المسرحية والمقالة: ٤ نصوص لكل جنس، ويصبح المجموع: ٨ نصوص. القصة القصيرة جداً والرسالة: نصان لكل جنس، ويصبح المجموع: ٤ نصوص.

وبهذا يتضح التنوع الذي حفل به الخطاب النثري، كما يتضح الحجم الخطابي الذي زخر به إبداع الشباب، ففي كل فنٍّ تجد كتّاباً، وهو الأمر الذي يشير إلى أن الحجم الخطابي النثري لم ينأَ عن الحجم الخطابي الشعري، فالفارق بين حجمي

الخطابين ليس حجماً بعيداً يلفت الانتباه إنما هو حجم قريب الشبه، وهنا يبدو لنا دور المجلة الرائد في المزاوجة بين الشعري والنثري.

ب – قضايا الخطاب ومضامينه:

ناقش خطاب الشباب الأدبي المعاصر قضايا متنوعة، ومضامين عديدة على صعد ثلاثة: دينية، واجتماعية، ووجدانية، وهو ما يجعل من هذا الخطاب أثراً ذا تماس مع الواقع، وتواصل مع المجتمع، فلم يغرّد خطاب الشباب خارج سرب المعاناة الواقعية، ولم يبتعد عن خوض الآلام المعيشة.

القضايا الدينية في خطاب الشباب:

وتعدّ القضايا الدينية هاجساً يشغل كثيراً من كتاب الأقلام الواعدة في هذه المجلة، ونعني بالقضايا الدينية: النصوص ذات الهموم المرتبطة بالدين والعقيدة، والتي تبعث على الحث والاستنهاض وتدعو إلى إيقاظ الهمم من سباتها وبعثها من رقدتها.

وتحتل القضية الفلسطينية حجماً كبيراً من خطاب الشباب المعاصر، حيث يصوّر هذا الخطاب تفاعله مع حال إخوتنا المسلمين في فلسطين وما يعانونه من كيد الصهاينة المحتلين، وما ينتج عن ذلك من قتل المسلمين أطفالاً وشيوخاً ونساءً، وتشريدهم ونفيهم وحصارهم.

يقول سليمان السناني في قصيدة اختار لها اسم طفلة وهي (صبرا)[٤] تشخيصاً لأبعاد القضية في اسم هذه الطفلة:

وتــرُ قلـبـي وأهــدابــي سـفـينْ
وبـأحـداقـي بـحـارٌ مـن أنـيـنْ
شعبُ إبـراهـيـم[٥] أمسى جذوةً
من بكاءٍ «من مضاء» من حنين
لـسـت أدري أي جـرحٍ أشـتـكي
جرحٌ (صبرا) أم جراح المبعدين[٦]

ويرمز الخطاب كثيراً إلى الحجارة التي هي رمز الدفاع والصمود والاستبسال؛ لذا نجد توظيف قضية الدفاع من خلال تلك الحجارة واضحاً في الخطاب الشبابي المعاصر.

يقول عمرو أحمد عبد العزيز في قصة قصيرة تجسد هذه القضية يفتتحها بقوله: «وقف الشرطي يتابع حركة السير في الطريق، ينظر إلى السماء، فإذا بسحابة كبيرة قد حجبت الشمس، ينظر إلى الأرض فإذا بالحجارة تملأ المكان، يتذكر أيام النضال»[٧] وهكذا يسير في خطابه مستهلماً من الحجارة معاني الصمود والثبات.

ويدور الخطاب الشبابي ليصل إلى الموضوع الرئيسي في هذه القضية الشائكة وهو استنهاض الهمم وحث الأمم، ويغلف هذا الموضوع خطاب الشباب بكل وضوح. تقول إيمان الشيخ في رسالة لها بعنوان (عذراء القدس): «سلامٌ عليك يا فلسطين ألفُ سلام، سلام عليك يا عذراء القدس، حماك الله من أيدي الأنجاس اللئام (...) فيا أمة الإسلام أفيقي مما أنتِ فيه وهبّي، قفي على قدميك ولنقل لعدونا في كل مكان: موتوا بغيظكم..»[٨].

على أن القضايا ذات الهمّ الديني التي شغلت أمة الإسلام تداعت من كل حدب وصوب لهذا نجد خطاب الشباب لم يقتصر على القضية الفلسطينية

وحدها، بل تعداها إلى القضية البوسنية، ومنها إلى القضية الكوسوفية والشيشانية، وقد برزت أغراض الرثاء والحسرة على خطاب الشباب حيال هذه القضية. يقول علي فريد في قصيدة طويلة عنوانها (صبراً سراييفو)[٩]:

كُسِرَ اليراعُ وغُيّبَ الصمصامُ
وعَدَت على أُسدِ الشرى الأنعامُ
هذي(سراييفو) تئنُ من الأسى
والمسلمون عن الجهاد نيامُ
كم أُهرقتْ فيها الدماءُ زكيةً
وكم استبيح العِرضُ وهو حرامُ[١٠]

ومما يدل على تأثير هذه القضية والقضية الفلسطينية على الخطاب الشبابي أن الكاتب قد يمزج القضيتين بثوب حزين. يقول سليمان السناني في قصيدة له بعنوان (القدس والبوسنة):

غريبانِ
وايم الله يا أختي غريبانِ
نلوك الحزن أغنيةً
نروم الأمن أمنيةً
(...)
أُخيّةُ خففّي اللوما
كرهت الكره والقوما
أعادوا نفس ذا التأبين
نفس اللفظ والفحوى
وقالوا: لن يضيع القدسُ
غير القدسِ لن نهوى...[١١]

ويدخل ضمن إطار القضايا الدينية موضوع الزهد، والإيمان، والصبر، والجد والمثابرة[١٢] والحث على الطاعة، والأعمال الصالحة كبر الوالدين[١٣]، وحب الأطفال[١٤]، والأبناء والبنات[١٥] ورعايتهم والاهتمام بهم.

القضايا الاجتماعية في خطاب الشباب:

أما القضايا الاجتماعية التي تبرز في مضامين الخطاب الأدبي فهي تمثل جزءاً كبيراً من الهاجس الذي يشغل طاقات الكتاب والشعراء الشباب، ويلاحظ أن الخطاب وفق هذه القضية يدور في فلك إصلاح المجتمع وتوجيهه، ومحاولة تشخيص بعض الأعراض والعلل التي يعاني منها المجتمع، ووضع بعض السبل لحلها وعلاجها. يقول ثويني محمد الدوسري في قصة قصيرة جداً بعنوان (دفتر الشيكات): «حان موعد الزيارة التي أعدّها والدي، وأقام البيت وأقعده، وجهّز ما جهز، وأحضر ما أحضر من لوازم الضيافة، يُقرَعُ جرس البيت إنه أبو عبد الرحمن (...) فلقد بدا لناظري من أول وهلة شاب في العشرين من عمره (...) حتى كادت يدي تنطلق لتصفع هذا العجوز المتصابي الذي يريد أن يتزوج فتاة في الثامنة عشرة»[١٦] ويتضح من مضمون الخطاب هنا بأنه يعالج قضية اجتماعية، وهي تزويج القاصرات من كبار السن، وهي قضية من القضايا الاجتماعية التي ما زالت تثير تساؤلات المجتمع وفضوله حتى يومنا هذا.

ولأنّ قضية المرأة هاجسٌ آخرُ فإنها لم تخرج من نطاق الخطاب الشبابي، وقد جاءت مضامين تلك القضية هادفة تحثّ على العفة والاحتشام. يقول موسى محمد الزهراني في قصيدة له بعنوان (خدعوها):

خدعوها بالفن قالوا سموٌّ
جهلوا أنه سمو البغاءِ
أنتِ رمزُ العفافِ رمز النقاء
أنتِ أخت الصحابة الأتقياءِ
ارفعي الرأس عالياً واستجيبي
لنداء الرحمن للعلياءِ[١٧]

القضايا الوجدانية في خطاب الشباب:

ومن القضايا التي نطق بها خطاب الشباب المعاصر القضايا الوجدانية، وهذه تمثل مساحة كبيرة أيضاً في نصوص الكتاب والشعراء، ومضامينها وأغراضها أكثر من أن تحصى، لكننا سنختزل ما يمكن اختزاله، ونوجز ما يمكن إيجازه.

ويعدّ موضوع الحب من الموضوعات التي يستهلكها خطاب الشباب في المجلة، لكنه وفق غرض الغزل العفيف ذي المعاني السامية، والعواطف الجياشة، دون إفحاش أو مجون، بل نجد فيه الحبّ الصادق القائم على الاعتراف والمكاشفة والاعتذار، وأحياناً التلهف والشوق والحنين ونحو ذلك. يقول طارق أحمد شوقي متلهفاً ومتشوقاً، ومعتذراً لزوجته في قصيدة بعنوان (متى نعود؟):

تعالي نعود لسحر الليالي
فدفء الليالي سريع الفرارِ
تعالي نزيل هموم الزمان
ونمحو بقلبي بقايا انكسارِ
أحبكِ دفئاً وقلباً غدا
إلى المستحيل بدون اختيارِ
تعالي فما عاد دربي غناءً
وما عاد قلبي يطيق انكساري[١٨]

قراءة نقدية لقصيدة صبرا

ويضفي الكتّاب أحياناً على خطابهم النثري لوناً من الاستدعاء التراثي في ذكر شخصيات الغزل العربية القديمة كقصة المجنون، وكثير عزة، وجميل بثينة، ونحوهم. يقول ثويني محمد الدوسري في قصة قصيرة له بعنوان: (ويحك يا ليلى): «ظلام الليل الدامس الذي يخنق المكان لم يفتح شهية العين للنوم (...) نعم هذا مجنون ليلى قيس بن الملوح لسان الحب العذب (...) قلت لكثير عزة والدمعة تحرق المجنون: صاحبك هذا قد رفع عنه القلم (...) يأسٌ يجري في العروق آه ويحك يا...»[١٩].

ومن القضايا الوجدانية وأغراضها: الرثاء ويشكل أثراً ملموساً في الخطاب الشبابي حيث نراه يتكرر في أكثر من عدد، ويخوض الخطاب وفق هذا الغرض في موضوعات التلهف والحزن واللوعة والتأبين. يقول عبد الرحمن الفيفي متفجعاً:

ألا هل جفون للبكاءُ تعارُ
وهل في بكائي للأحبة عارُ
وفي الذكر إما أبكينَ سويعةً
على جدث للمكرمات نجَارُ
سنبكي عليكم ما ترنّم طائرُ
ونسفك أجفاناً وهنّ غِرارُ[٢٠]

ومن موضوعات القضايا الوجدانية وأغراضها أيضاً: العتاب الذي يزداد حدة أحياناً، وتخفّ وطأته أحياناً أخرى، وعادة ما يغلّف بلون من التشاؤم يغلب عليه، وبخاصة إذا كانت العاطفة متأججة، أو كان الموقف الدافع للعتاب التعجب والانبهار. تقول فوزية العمري في خاطرةٍ لها بعنوان: (لا جدوى)

من صداقة تتسربل يأساً، وتختبئ ملامحها في أعطاف اللامبالاة، أصداقة تلك التي لا تجد لها ممراً تصل منه إلى اللقاء!؟ أصداقة تلك التي تبخل بذرات صفاء!؟ أصداقة تلك التي تنأى بعيداً عن فرن العطاء؟..»[٢١].

أغراض التأمل في خطاب الشباب:

وتكثر أغراض التأمل ومعانيه في خطاب الشباب الأدبي، وهو أمرٌ يعدّ سمة لافتة للانتباه في أعداد كثيرة من المجلة، ولعل مناجاة النفس، ومحاسبة الضمير، والتفكير في الواقع، والإحساس بالجمادات والنباتات أحياناً كلها تعلي من شأن الخطاب الأدبي، فيأتي التأمل ناطقاً بالحكمة، ومعبراً عن الأسرار الكامنة وراء الأحاسيس والمشاعر. تقول هناء علي البّواب في رسالة لها بعنوان: (سأحمل نهراً على ظهري): «دعيني أسألك سؤالاً واحداً: في هذا الزمن المعدني أيّ قيمة للوردة حين لا يكون هناك قلب؟ (...) نعم، يجب أن نحفر مكاناً في الزمن الذي أمامنا، يجب أن نترك مقعداً للأمل بجانب مقاعدنا (...) هكذا أحلم، وإلا ففي نهاية النفق قد لا نجد العمر، بل نجد عظامنا وبعدها دموعنا».[٢٢]

قراءة في بريد «الأقلام الواعدة»
إشراف د. حسين علي محمد
ثلاثة نصوص من الأدب الإسلامي

ويقول هشام القاضي في قصيدة له بعنوان (حدائق السراب):

أشقى التوجس والإشفاق أفكاري
فعدتُ بالنور خوفاً من لظى النارِ
ركبتُ بحراً أرى في أفقه أملاً
يرنو إلى زورقي من عين غدّارِ
أجدّف الماء في لهوٍ تشاركني
فيه الصّبا حينما طافت بأشعاري
فما وصلتُ إلى شيءٍ وما وصلت
عيني إلى غير أفقٍ ضج بالنارِ[٢٣]

ولا يمكن أن نلم بقضايا الخطاب الأدبي المعاصر الذي أبدعه كتاب مجلة الأدب الإسلامي في ركن «الأقلام الواعدة»، فالموضوعات والأغراض أكثر من أن يجمعها بحث موجز، وبخاصة أن جل القضايا والمضامين الدينية أو الاجتماعية أو الوجدانية تتفرع عنها أغراض وموضوعات عديدة، هذا إضافةً إلى حصرنا مضامين الخطاب وقضاياه بثلاثة صعدٍ فقط، وإلا فقضايا هذا الخطاب تتعدد إلى موضوعات كثيرة منها على سبيل المثال: السياسية، والنفسية، والتاريخية ونحوها، لكننا حصرنا الدينية والاجتماعية والوجدانية لعلاقتها الوثيقة أولاً بالشباب، ولصوقها بهمومهم، ولكثرة تدفق الخطاب بها ثانياً.

ج – أشكال الخطاب:

سبقت الإشارة إلى تنوع مضامين الخطاب الشبابي في المجلة، وتعدد قضاياه حسب اهتمام الشباب ورغباتهم، وظروف الوقت وأحوال المجتمع، إلا أن ذلك التنوع قد تبعه تنوع فني بدا واضحاً على أشكال الخطاب سواء أكان ذلك التنوع منسجماً مع الألفاظ والتراكيب، أم مع العاطفة، أم مع الصورة الفنية، واللوحات الإبداعية، أم مع الروافد النصية التي يستقي منها الخطاب جماله.

الألفاظ والتراكيب في خطاب الشباب:

فأما الألفاظ والتراكيب فقد تنوعت ما بين البسيطة السهلة التي تمثلها مرحلة البدايات، والجريئة التي تمثلها مرحلة التجارب المتكررة، والمتميزة القوية التي أخذت طريقها نحو التألق والإبداع.

أما النص الذي يحمل خطابه بساطة في ألفاظه وتراكيبه فعادة ما يكون ممهداً بعنوان يومي بهذه البساطة والسهولة. يقول علي حافظ كريري في قصيدة له بعنوان: (نداء):

يـا روضـة الماضـي الخصيـ
ـب ويـا غنـاء البلبـلِ
ألهبتِ أشجاني وفا
ضتْ أدمعي كالسلسلِ
يا ظبية الأيك الأغن
ويا خرير الجدول
أظمأتِ روحاً للهوى
عودي إليّ وأقبلي[٢٤]

ويلاحظ في ألفاظ هذه المقطوعة السهولة المعتادة، والمعاني المألوفة، والتراكيب المبتذلة التي تجعل من النص نشيداً، وإن حاول الشاعر هنا توظيف بعض المفردات الغزلية التراثية مثل (يا روضة – الخصيب – يا ظبية – الأيك) ونحوها إلا أن النص بألفاظه وتراكيبه نصٌّ عادي مستهلك في عنوانه وفكرته وألفاظه.

ويأتي الخطاب أحياناً بألفاظٍ وتراكيبَ أرفع درجة من السابق، وبخاصة في بعض الكتابات التي تعيد نفسها مرة أخرى، حيث تجعل من الأولى نقطة انطلاق لها، وتتقدم بفضل دعم المجلة وتوجيهها؛ ومن هنا فإننا نجد بعض الألفاظ والتراكيب أحياناً تأتي جريئة مقبولة تقترب من التميز، ولهذا يلجأ الخطاب الشبابي إلى طريقة التقليد والمحاكاة، واستخدام التقليد (المعارضة) كمنطلق نحو الإبداع إيماناً بأن في ذلك ضخّاً للموهبة الأدبية بما تتطلبه من إبداع. يقول محمد مصطفى رزق السواحلي في قصيدة له بعنوان: (عنترة يبكي على أطلال القدس):

هل غادر الباكون من متندم
أم هل عرفتَ القدس بعد المأتمِ
يا دار قدس بالبلاء تكلمي
وعمي مساءً مستكين الأنجمِ[٢٥]

العاطفة في خطاب الشباب:

أما عن العاطفة التي ينضح بها خطاب الشباب في هذه المجلة فيمكن القول بأنها جاءت متدفقة بما تطفح به نصوص الشباب، معبرة عن الآمال والآلام، سواء في القضايا الدينية أم الاجتماعية أم الوجدانية.

قراءة في إبداعات الأقلام الواعدة

ويلاحظ أن الغيرة والغضب مرتبطان في النص الذي يتحدث عن القضية الفلسطينية أو البوسنية أو الشيشانية ونحوها مما هو من واقع المسلمين المؤلم، وبخاصة حين يعرض الخطاب لآثار القتل والتشريد والدمار المصاحبة لتلك الحال الأليمة، ولهذا يجنح الخطاب بالأديب أحياناً إلى حيث الحزن والتفجع والرثاء فيتحدث عن الصبر متسلياً. يقول علي فريد في قصيدته (صبراً سراييفو):

صبراً سراييفو فكلُّ مُملّكٍ
يفنى ويبقى المالكُ العلامُ
زعموكِ أرضاً للصليب وأهله
فمشى إليكِ الظلم والإجرامُ[٢٦]

على أن عاطفة الحزن نجدها بشكل واضح في الخطاب الرثائي ذي المضامين الوجدانية، وهي عاطفة يلفها الصبر والأمل أحياناً، والتفجع والتشاؤم أحياناً أخرى.

فمثال الأول رسالة كتبتها فطيمة حديدان بعد وفاة أبيها بعنوان: (كل شيء كان يوحي بالنهاية) تقول في عرض أسطرها: «يا ليت القبر يفتح لي بابه لأراك، وليته يصغي لحديثي وليتني أسمع جوابك، إذ أتحدث إليك (...) وسنذكرك حتماً ولن ننساك، يا من أنت عندنا بالحياة كلها، ولكن أين هي هذه الحياة..»[٢٧].

ومثال الثاني أبيات من قصيدة لوداد محسن الردادي بعنوان (ويقتلنا الألم) تقول فيها:

أبكي فما تدرون سرّ بكائي
والحزن يقتل فرحتي وهنائي
رفقاً طبيبي ما عهدتك قاسياً
أشكو إليك فما تجيب ندائي
آتي إليك فما تريح جوانحي
آتي إليك ممزّق الأشلاءِ[٢٨]

ولسنا نبالغ إذا قلنا بأن الخطاب الشبابي في هذه المجلة بشقيه الشعري والنثري فاضت عاطفته كثيراً بالنبرة الحزينة سواء أكان الخطاب دينياً (القدس – البوسنة) أم كان اجتماعياً (أحوال المجتمع وواقعه) أم كان وجدانياً (رثاء – عتاب – غزل).

ولكننا على الجانب الآخر لا نستبعد وجود عاطفة مشربة بالأمل، مترعة بالتفاؤل، مشرقة بالمحبة والمودعة. يقول عيسى علي جرابا في قصيدة له بعنوان: (جازان ولهيب الأشواق):

إني ذكرتك ألحاناً وأغنيةً
على الشفاه تغني تبعث الطربا
عشقتفيكِالسرىوالبحرقدرقصتْ
أمواجه، وعشقت الماء والسُحُبا[٢٩]

وهي قصيدة جياشة العاطفة، ملتهبة الأشواق، فيها نصيب من الشكوى والشجن والحنين.

الصورة الفنية في الخطاب الشبابي:

وإذا انتقلنا إلى الحديث عن الصورة الفنية في الخطاب الشبابي المعاصر في هذه المجلة فإننا بإزاء صور عديدة متنوعة تتكئ على التشبيهات أحياناً، والاستعارات أحياناً أخرى، كما تعتمد على المجاز والكنايات، ما يعني أن حظّ الخطاب من حيث الوجوه البيانية لم يكن قليلاً، ففي كل نصٍّ نجد تشبيهاً، أو استعارة، أو كناية، أو مجازاً، وهو الأمر الذي يعلي من شكل النص فنياً وجمالياً.

ولعل الصورة الفنية المتنوعة لها ارتباطٌ وثيق بتنوع العاطفة؛ إذ نجد الصورة الحزينة في ثنايا الخطاب الشبابي واضحة جلية لاسيما أن الحزن كان سائداً في الخطاب الشبابي كما أشرنا سابقاً؛ لهذا نجد مثلاً بعضهم يرسم صورة الاغتراب والهجرة بشكل يوحي بالحزن والحسرة، فيستوحي من صورة الطير معاني التشريد والفراق. تقول أماني مسعد الفلاحة في قصيدتها (قلب في مهب الريح):

كأني كنت عصفوراً شريداً
وقد أُخذت أماني الصمت مني
وصرنا كالطيور بغير عشٍّ
نهاجر حيث يلقينا التدني
ونبني حلمنا يوماً فيوماً
ويهدمه الفراق بلا تأنٍ[٣٠]

كما يستلهم الخطاب من صورة الطير أحياناً ما يوحي بالقلق والتفكير، وما يتبع ذلك من السهر والتعب، ولذلك نجد أحدهم مثلاً يستخدم صورة

الطير للتعبير عن الحيرة والنصب. تقول ميسون عبد الملك في نصٍّ لها بعنوان: (المحافظة على الوقت): «في هذه الليلة الشاعرية طال بي السهر، فقد كانت الأيام هي أيام اختبارات وامتحانات، شعرت بقليل من الحرج والضيق، فطائر الكرى أخذ يحلّق فوق أجفاني، شعرت برغبة لا تقاوم في النوم والاستلقاء..»[٣١].

الروافد النصية في خطاب الشباب:

وإذا انتقلنا إلى الحديث عن الروافد النصية في خطاب الشباب فإننا أمام نصوص لا تخلو من التناص سواء أكان ذلك اقتباساً من القرآن الكريم، أو الحديث النبوي الشريف، أم كان ذلك تضميناً من الشعر، وسنشير إلى بعض النماذج فقط حتى لا نطيل.

فأما الرافد القرآني فإنه الشكل الأوفر نصيباً، ولعل مما يمثل ذلك سليمان السناني في قصيدته: (صبراً) حيث يقول:

كيف ترجو مقلةٌ نوماً وفي
أرض إبراهيم مقهورٌ سجين
أشعلوا النيران كي يلقوه في
جمرها فارتاح في ذاك الكمين
إذ غدا برداً سلاماً رحمةً
لخليل الرب يُصلي الحاقدين[٣٢]

ولاشك في أن الشاعر هنا استفاد من قوله تعالى: «قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم»[٣٣].

وهذا اقتباس من القرآن إلا أن الخطاب الشبابي في هذه المجلة لم يخل من الاقتباس من فيض الهدي النبوي الشريف والسنة المطهرة، ولعل مما يمثل ذلك قصيدة لعبد العظيم فوزي بعنوان: (أرحنا بها يا بلال) يقول في مطلعها:

أرحنا بها يا بلال
فقد طوحتنا الطريق
وصرنا كأرجوحةٍ في مهب الرياح
أرحنا بها يا بلال
فكل الوجوه مخيفةٌ
وكل الوحوش محيطة[٣٤]

وواضح اقتباس الشاعر من قوله صلى الله عليه وسلم: «يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها»[٣٥].

وإذا كان الخطاب الشبابي قد نهل من فيض القرآن الكريم، ومن وحي الحديث النبوي الشريف فإننا نجده متأثراً أيضاً بالرافد الشعري، وهو ما يسميه البلاغيون: التضمين.

فكثير من النصوص اعتمد فيها أصحابها على ذائقةٍ شعرية لها جذور ثقافية، وامتداد معرفي بالشعر العربي قديمه وحديثه، هذا إذا استثنينا شكل التقليد الذي اعتمد على ما يسمى بالمعارضة.

ويمكن أن نلمح أثر التضمين في الخطاب الشبابي من أول كلمة تطالعنا في النص. من ذلك مثلاً ما كتبه موسى محمد الزهراني في قصيدته (خدعوها) التي يقول فيها:

خدعوها بسفسطات[٣٦] الهراء
أوردوها موارد الأغبياء[٣٧]

وواضح أنه استفاد من قول أمير الشعراء شوقي:

خدعوها بقولهم حسناءُ
والغواني يَغُرُّهُنَّ الثناءُ[٣٨]

وقد لجأ الشاعر الزهراني إلى تضمين هذه الكلمة من بيت شوقي هذا بدليل إكثاره هذه المفردة في قصيدته إلى حد تكرارها أربع مرات.

دور المجلة في توجيه خطاب الشباب «الملمح النقدي»:

كان للمجلة سهم بارز في تفعيل دور النقد وتطويعه لخدمة الخطاب الشبابي، واتخذ هذا النقد أشكالاً متباينة ظل يمارسها في تنمية هذا الخطاب بدءاً بالنقد الانطباعي العفوي الذي يعتمد على التشجيع والتحفيز، ومروراً بالنقد الوصفي الذي يمرّ مروراً عابراً، ويركز على النقاط الرئيسة التي يحتاجها الخطاب من التوجيه، إلى أن نصل إلى النقد التحليلي الذي يقف وقوفاً متأملاً فيشرح ويحلل، ويسهب ويفصل، ويعطي الخطاب حقاً من النقد والتحليل.

ولعلنا نختار نماذج من الأشكال النقدية الثلاثة لنبرهن على دور المجلة النقدي في توجيه هذا الخطاب وتنميقه.

أما **النقد الانطباعي** مثلاً فنلاحظه في مثل نقد المجلة لقصة فتاة الشهباء التي عنونتها بـ(ذكرى قديمة)[٣٩] حيث قالت المجلة في تعليق عليها: «عندكِ قدرة من القصّ، والإحاطة بالهدف وتصوير النفس، لكن عنايتكِ الشديدة بالتفصيلات توحي بمقدرتك في المستقبل إن شاء الله على كتابة الرواية..»[٤٠].

أما **النقد الوصفي** الموجز فنلحظه في مثل نقد المجلة لقصيدة: (صرخة في زمن الصمت)[٤١] لعواطف الحجيلي حيث علقت المجلة بقولها: «قصيدتكِ (صرخة في زمن الصمت) تشي بأنكِ وضعت قدمك على الطريق، وأنك أصبحتِ شاعرة على طريق الشعر الصعب، الذي يمسك بالجمر، والذي ينتمي إلى هموم الأمة وعذاباتها، ويدافع عن مقدساتها، ويصون عقيدتها وتراب أرضها. الخطاب في قصيدتكِ عالي النبرة، يقترب من النثر في جهره، وفي صياغة جمله، ورغم وجود بعض الصور عندكِ فإننا نحس أن علو النبرة يكاد يخنقها، فضلاً عن أنها لم توظف لتصير صورة كلية تضيء النص كله وتثريه»[٤٢].

أما **النقد التحليلي** فنجده مثلاً في قصيدة (صبرا)[٤٣] لسليمان سالم السناني حيث خصصت المجلة لها ثلاث صفحات أشبه ما تكون بدراسة كاملة للقصيدة، وقد خصصت المجلة لهذه الدراسة مقدمةً حول العنوان، ثم مدخلاً للقصيدة، ثم تناولت بالتحليل أسلوب القصيدة، والبناء الفني، والغرض وأدوات الشاعر الفنية، والعاطفة، وأخيراً شخصية الشاعر[٤٤].

ويتضح مما سبق دور المجلة النقدي في منح هذا الخطاب قيمة علمية وأدبية تجعل منه خطاباً ذا نبرة عالية، وصوت مسموع، لا يكتفي بأن يحقق هدف المشاركة بقدر ما يرسم للأمل آفاقاً واعدة.

لقد أضحت هذه المجلة الغراء بدورها الأدبي والنقدي الرائد ولادة للشعراء والكتاب؛ فلم تكن لتكتفي بدور التوجيه والتحليل، لكنها تعدت ذلك إلى صناعة كتّاب وكاتبات، وشعراء وشاعرات فرض بعضهم اسمه على الساحة الأدبية المعاصرة، ولعلنا نستشهد بذلك مثلاً ببعض الأسماء منها على سبيل المثال من الشباب: عيسى علي جرابا، سليمان سالم السناني، صالح علي العمري، فواز اللعبون، حسن أحمد الفيفي، ثويني محمد الدوسري، عبد الرحمن الفيفي، هشام القاضي، وغيرهم كثر.

ومن البنات: مؤمنة أديب صالح، عواطف الحجيلي، منى الحجيلي، أماني الفلاحة، وداد الردادي، ميسون عبد الملك، هناء البواب، أسماء اليوسف، وغيرهن كثيرات.

وبعض أولاء سلك مسلكاً إبداعياً صرفاً[٤٤]، وبعضهم سلك طريقا (أكاديمية)[٤٦]، وبعضهم ظلّ يفتقر إلى إكمال المشوار، فبات مقلاً في حدود معينة.

ولم تكن هذه الأسماء البارزة في تألقها حبيسة الأقلام الواعدة، بل تحول أكثرها إلى النضج بحيث أصبحت أقلاماً راسخةً متميزةً.

لقد حرصنا في هذه الوريقات أن تكون تبياناً لظاهرة الأقلام الواعدة التي تختزل هذا الخطاب

الهوامش:

(١) بلغت أعداد المجلة كاملة منذ بدايتها حتى كتابة هذه السطور سبعين عدداً، وهي الأعداد التي بنيت عليها تلك الإحصائيات.

(٢) للتعرف أكثر على بدايات هذا الشعر وظروفه وجذوره وقضاياه ينظر مثلاً: الملائكة، نازك: قضايا الشعر المعاصر، ط/٣، بغداد، منشورات مكتبة النهضة، ١٩٦٧م.

(٣) اعتمدنا في القراءة الإحصائية على أعداد المجلة قاطبة، وهي تبلغ – حتى كتابة هذه السطور – ٧٠ عدداً، وسنركز من خلال ذلك على ما اعتمد نشره، ونستثني من ذلك النصوص الواردة فيما تسميه المجلة (بريد الأقلام الواعدة) حيث تعلق على بعض المشاركات التي هي دون مستوى النشر نظراً إلى عدم وصولها إلى مستوى القبول والقناعة، علماً بأننا استبعدنا بعض الأعداد التي لم يرد بها نصّ وهي قليلة جداً.

(٤) اسم طفلة جريحة.

(٥) إبراهيم الخليل عليه السلام.

(٦) السناني، سليمان: صبرا، مجلة الأدب الإسلامي، العدد الأول، رجب١٤١٤هـ، ص: ٥٦، وانظر نصوصاً شعريةً أخرى في العدد ١٧ د.ت، ص: ٩٥، والعدد:١١، ١٤١٧هـ، ص: ٩٩ .

(٧) أحمد عبد العزيز، عمرو: المصدر السابق، العدد:١١، محرم – صفر– ربيع الأول، ١٤١٧هـ، ص:٩٦، وانظر نصوصا نثرية أخرى في العدد: ١٨، ١٤١٩هـ، ص: ٩٦، ٩٧.

(٨) العدد:٣٦، ١٤٢٤هـ، ص:٨٧.

(٩) سراييفو: عاصمة البوسنة.

(١٠) – فريد، علي: صبرا سراييفو، العدد:٢، ١٤١٤هـ، ص: ٨٢.

(١١) السناني، سليمان: القدس والبوسنة، العدد:٢، ١٤١٤هـ، ص: ٨١.

(١٢) انظر: العبودي، صالح عبد الكريم: صاحب الهمة، العدد:١٨، ١٤١٩هـ، ص:٩٥.

(١٣) انظر: البواب، هناء: الدائرة المغلقة، العدد نفسه، ص: ٩٧.

(١٤) انظر: الإسماعيل، أديب: إلى فاطمة، العدد:٤٨، ١٤٢٦هـ، ص: ٩٣، وانظر أيضاً: الهدى، نور، تلك الطفلة، العدد٣٢، ١٤٢٣هـ، ص: ٩٩.

(١٥) انظر: الشمري، فهد فهيد: ثلاث جواهر، العدد:١٤، ١٤١٧هـ، ص: ٩٤.

(١٦) الدوسري، ثويني، محمد: دفتر الشيكات، العدد: ٤، ١٤١٥هـ، ص: ٧٥، وانظر نصاً نثرياً آخر في عدد غير هذا يتحدث عن قضية العجزة في دار المسنين، والنص بعنوان (جزاء سنمار) لنوير العنزي، العدد: ٢٩، ١٤٢٢هـ، ص: ٩٢، ومثل ذلك يومية بعنوان (يوم كنت في السوق) تحدث فيها سعد عبد الله العمري عن بعض العادات السيئة لدى الناس من الاستهتار بالآخرين والتندر بهم . العدد: ١٤، ١٤١٧، ص: ٩٥.

(١٧) الزهراني، موسى محمد: خدعوها، العدد: ٣٨، ١٤٢٤هـ، ص: ٩٨، وقد فازت القصيدة يومها بالجائزة الثانية في مسابقة الشعر في موقع لها أون لاين، وهي طويلة.

(١٨) أحمد شوقي، طارق: متى نعود، العدد: ١٤٢٤،٣٨هـ، ص:٩٩، والقصيدة فازت يومها بالمركز الثالث في مسابقة الشعر في موقع لها أون لاين الإلكتروني.

(١٩) الدوسري، ثويني محمد: ويحك ياليلى، العدد:٥، ١٤١٥هـ، ص:٩٧.

(٢٠) الفيفي، عبد الرحمن: ألا هل جفون ..؟، العدد:١٤، ١٤١٧هـ، ص:٩٧، وانظر مرثية أخرى لعلي فريد بعنوان: (إضاءة في خيمة الليل) في العدد:١١، ١٤١٧هـ، ص:٩٧، وأخرى لسعود سليمان اليوسف بعنوان: (وقفة على قبر شاعر) في العدد:٣٢، ١٤٢٣هـ، ص:٩٨.

(٢١) العمري، فوزية: لا جدوى، العدد: ٣٦، ١٤٢٤هـ، ص:٨٩، وانظر خاطرة أخرى لها في نفس العدد، وفي نفس الغرض بعنوان: (تيار المشاعر) نفسه، ص:٨٩.

(٢٢) البواب، هناء علي: سأحمل نهرا على ظهري، العدد:٣٣، ١٤٢٣هـ، ص:٨٨، وانظر مثل هذا النص النثري يحاكي موضوعه وغرضه، وهو خاطرة لزهراء حسين الظفيري بعنوان: (في عيادة العيون) نفسه، ٨٩، وللكاتبة خاطرتان تنطقان بالتأمل والحكمة في العدد: ٢٢، ١٤٢٠هـ، ص:٨٩ بعنوان: (حوائط وبشر)، والأخرى بعنوان (للغربة حسنات).

الأدبي الشبابي المعاصر، وتظهر مدى ارتباط الخطاب بالشباب في شتى العلائق الزمنية منها، والكمية والنوعية، وتبين لنا المضامين التي ينطق بها الخطاب، وأهم القضايا التي تعبر عن أهدافه ورؤاه.

ولا شكّ في أن دور المجلة واضح في تعزيز أهداف الإبداع، ونصرة تطلعاته، وقد كان للمجلة فضل الاستقطاب، والنشر، والتوجيه، وهو ما ألمحنا إليه سلفاً ■

(٢٣) القاضي، هشام: حدائق السراب، العدد:٢٥، ١٤٢١هـ، ص:١٠٠.

(٢٤) كريري، علي حافظ: العدد: ١٣، ١٤١٧هـ، ٩٧.

(٢٥) مصطفى رزق السواحلي، محمد: عنترة يبكي على أطلال القدس، العدد: ٢٢، ١٤٢٠هـ، ص: ٨٨، ومثل هذا الشكل خاطرة لأسماء عبد العزيز اليوسف بعنوان: (ارتقاء بلا حساب) في العدد: ٢٥، ١٤٢١هـ، ص: ٩٨، وقصيدة لعبد العظيم فوزي بعنوان: (أرحنا بها يا بلال) في العدد: ٢٤، ١٤٢٠هـ، ص: ٨٣.

(٢٦) فريد، علي: صبرا سراييفو، العدد: ٢، ١٤١٤هـ، ص: ٨٣، وانظر مثل هذه العاطفة الحزينة المفعمة بالغيرة والغضب والصبر في قصيدة (القدس والبوسنة) لسليمان السناني في العدد نفسه، ص: ٨١ .

(٢٧) حديدان، فطيمة: كل شيء يوحي بالنهاية، العدد: ١٥، ١٤١٨هـ، ص: ١٠١.

(٢٨) محسن الردادي، وداد: العدد نفسه، ص: ١٠٣، ومثل هذه العاطفة نجدها في قصيدة لبكر موسى هوساوي بعنوان: (مرآة في وجه الزمن) في العدد: ٢٤، ص، ٨٤، ٨٥.

(٢٩) علي جرابا، عيسى: جازان ولهيب الأشواق، العدد: ٥، ١٤١٥هـ، ص: ٩٦.

(٣٠) مسعد الفلاحة، أماني: قلب في مهب الريح، العدد: ٦، ١٤١٥هـ، ص: ٧٧.

(٣١) عبد الملك، ميسون: المحافظة على الوقت، العدد: ١٥، ١٤١٨هـ، ص: ١٠٢.

(٣٢) السناني، سليمان: صبرا، العدد:١، ١٤١٤هـ، ص:٥٦

(٣٣) الأنبياء، ٦٩.

(٣٤) فوزي، عبد العظيم: أرحنا بها يابلال، العدد: ٢٤، ١٤٢٠هـ، ص: ٨٣.

(٣٥) الحديث صحيح، وينظر: الألباني، محمد ناصر الدين: صحيح الجامع الصغير وزيادته، ط/٣، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٨هـ، ص: ١٣٠٧، والحديث رقمه: ٧٨٩٢.

(٣٦) جمع، والواحد: سفسطة، والفعل: سَفسَطَ أي غالط وأتى بحكمةٍ مضلّلة، والسفسطة: قياس مركب من الوهميات الغرض منه إفحام الخصم وإسكاته . ينظر: المعجم الوسيط، ط/٤، القاهرة – مصر، مكتبة الشروق الدولية ١٤٢٦هـ، ص: ٤٣٣ مادة (سفسط).

(٣٧) موسى الزهراني، محمد: خدعوها، العدد: ٣٨، ١٤٢٤هـ، ص: ٩٨.

(٣٨) شوقي، أحمد: الشوقيات، د.ط، ج /٢، بيروت، دار العودة، ١٩٨٨م، ص: ١١٢.

(٣٩) فتاة الشهباء: ذكرى قديمة، العدد: ٤، ١٤١٥هـ، ص: ٧٦.

(٤٠) نفسه، ص: ٧٨، ومثل ذلك رأي المجلة في قصيدة لراشد صالح آل شريم بعنوان: (على الشاطئ) حيث علقت المجلة بقولها: « قصيدتك (على الشاطئ) جيدة ننشرها في هذا العدد، وجمالها في سذاجة صورها، وقربها من المخيلة، وفي لغتها السهلة، وفي تأملها الصادق » العدد: ١٢، ١٤١٧هـ، ص: ٩٢.

(٤١) الحجيلي، عواطف: صرخة في وجه الزمن، العدد: ١١، ١٤١٧هـ، ص: ٩٩.

(٤٢) نفسه، ص: ١٠٠، ومثل ذلك أيضاً رأي المجلة في قصة (الشرطي) لعمرو أحمد عبد العزيز في العدد نفسه ص: ١٠٠، حيث جاء النقد وصفاً موجزاً.

(٤٣) السناني، سليمان سالم: صبرا، العدد: ١، ١٤١٤هـ، ص: ٥٦.

(٤٤) نفسه، ص: ٥٧ – ٥٩.

(٤٥) من أولئك مثلاً: عيسى علي جرابا، فله ديوان شعر مطبوع بعنوان (ويورق الخريف) من إصدارات مكتبة العبيكان بالرياض ١٤٢٥هـ، كما أتابع له مشاركات عديدة فاعلة على الشبكة العنكبوتية، فهو من المكثرين، ومنهم: سعود سليمان اليوسف، له ديوان شعري مطبوع بعنوان (غروب زمن الشروق) ط/١، الرياض، النادي الأدبي، ٢٠٠١م.

(٤٦) من أولئك مثلاً: فواز اللعبون، عضو هيئة تدريس بقسم الأدب في كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية بالرياض، وله مؤلَّف بعنوان فائت الأمثال «مقاربة أدبية ساخرة» من إصدارات نادي الأحساء الأدبي ١٤٣٠هـ .

ومثله: أسماء اليوسف، عضو هيئة تدريس بقسم النحو والصرف، في كلية اللغة العربية بجامعة الإمام بالرياض.

رتاج

ابتسام شاكوش - سورية

الطفلة تبكي.. وتبكي، شهرها الخامس لم يكتمل بعد، صدر أمها صحراء جافة، لا يجود بقطرة لبن. تجول الأم الشابة بنظرها في أرجاء الخيمة الخاوية الخالية من الزاد، تتفقد أثاثها.. فراش إسفنجي رقيق، وملاءة لا تكاد ترد بردا ولا حرا.

أرضية الخيمة مرفوعة بقدر كف عن التراب بألواح خشبية ربما تقي هذا الأثاث خطر الانجراف بماء السيل بعد كل عاصفة مطرية، مفروشة بطبقة من النايلون تعلوها طبقة من اللباد الرقيق، المصنوع من بقايا أقمشة وخيوط مندوفة، وفي الزاوية تقبع قدر صغيرة من المعدن الرخيص بجانب طبق واحد وملعقتين، مع إبريق وكوبين من البلاستيك، هذا كل شيء.

بكاء الطفلة الجائعة يثير أعصاب الأم، يغضبها، يبكيها، يشعرها بالعجز، طوال عمرها كانت تحلم بالأمومة، لكنها لم تتخيل يوما أن تبتدئ أمومتها في مخيم اللاجئين، بعيدة عن أهلها وصديقاتها، غريبة ضائعة، لا أم قريبة منها ترشدها، ولا أخت تستشيرها، ولا عمة ولا خالة، جهازها في بيتها تركته بحاله، معظم الأشياء لم تستعملها بعد، هربت سالمة بروحها وعرضها مع من نزحوا، لتتنقل من قرية إلى قرية، ولتطاردها النيران حيثما حلت، نازلة من الطائرات، أو قادمة من راجمات الصواريخ البعيدة، استقر بها المقام في هذا المخيم، نعم.. هنا وجدت الأمان، لكنها افتقدت كل ما عداه.

الطفلة تبكي، طعام المخيم يأتي مطبوخا، ولا يكاد صنف يخلو من الفلفل الحار، لا شيء منه يصلح لغذاء طفلة في شهورها الأولى، ولا تفهم الصغيرة معنى الصبر فتكف عن بكائها، احتضنت ابنتها بحنان وقهر، ضمتها لصدرها وراحت تتمشى داخل الخيمة، تهدهدها، تشاركها البكاء وهي عالمة أن هذه الحركات لن تسكت الجوع، الجوع كافر!! كانت أمها تقول هكذا، لكن هذا الكافر قد عقد صداقة دائمة مع أمعاء هذه الصغيرة منذ مولدها، حصص الحليب الناشف التي توزع بين فينة وأخرى لا تكاد تكفيها أسبوعا واحدا، ترضع خلاله من الزجاجة وتغفو بأمان، ثم تصحو مشرقة باسمة، تناغي فتملأ روح والديها بالفرح والأمل، الحليب نفد منذ الصباح، والعلبة الفارغة غسلتها الأم لتستخدمها في سكب الماء من القدر حين تغسل الصغيرة.

أمها كانت تردد باسمة بحنان ورضا، حين ترى امرأة حاملا: (الحبل غوا.. والولادة نسمة هوا.. لكن عذاب التربية مع عذاب طلوع الروح سوا!) تتذكر كلام أمها وتبتسم بهزء، أين (الغوا) من حملها بهذه الطفلة؟ شهور حملها التي كانت تأمل أن تمضيها مثل أختها، في الدلال بين أمها وعماتها وخالاتها، يتسابق الجميع على تقديم النصح وعلى تأمين الراحة وتلبية اشتهاءات الوحام، أما هي.. فجاء حملها الأول بعد بداية الثورة بقليل، الأشهر أمضتها متنقلة من دار إلى دار، من

قرية إلى أخرى، ترى جراح الجرحى بأم عينها، تسمع أنين المرضى وبكاء الثكالى، فتخجل من نفسها أن تذكر أحدا ممن حولها بأنها حامل، لذلك لم يكد أحد يشعر بحملها.

أما الولادة التي تشبهها أمها بنسمة الهواء لقصر مدتها، فقد كانت زوبعة، بل عاصفة، اجتمعت حولها نساء المخيم، وهي غارقة بآلامها، كل واحدة منهن تبدي رأيا وتقدم نصيحة، ألم المخاض يزداد حدة، والنساء من حولها تزيد آلامها وخوفها، حتى جاءت سيارة الإسعاف، أخذتها إلى أقرب مشفى، وهنالك انتهت نسمة الهواء، وعلا بكاء الصغيرة، فأنساها الوجع وأعاد لنفسها الأمل، حملت ابنتها وعادت للمخيم يحدوها الفرح، لتصطدم ببقية قول أمها: (عذاب التربية مع طلوع الروح سوا)

بين خيمتها وخيام جاراتها من الجهات الثلاث يفصل شبر من الهواء، وجدران من الكتان الرقيق هما جدارا الخيمتين، كل همسة وعطسة، كل ضحكة وشهقة، تدور في فضاء إحدى الخيام مسموعة في الخيام الأربع، بكاء الطفلة يزعج الجيران، يرفع الشاب الجريح من الخيمة الشمالية صوته متوسلا راجيا إسكات الصغيرة، جرحه يؤرقه طوال الليل، وحين يدنو النوم من حدود عينيه يطرده هذا البكاء المتواصل، يرجو، ثم يرجو، ثم يرفع صوته بالشتائم،ألا تكفيه أوجاعه ليزيد عليها حرق الأعصاب من هذا البكاء المتواصل؟؟

انتصف الليل، جاءت أم الجريح، ترجوها إسكات ابنتها بأية وسيلة، شكت لها جوع الطفلة وخلو اليد من أية نقود يشتري بها الحليب، نصحتها بالاستعاضة عن الحليب بالشاي، تسحق فيه بعض القطع الصغيرة من الخبز حتى تصبح كالحساء، قامت الجارة تساعد الأم في تحضير طعام الصغيرة، فما وجدت خبزا ولا سكرا، خرجت قليلا ثم عادت تحمل قطعة خبز وحفنة سكر، أعدت كوبا من الشاي، وراحت تسحق فيه فتات الخبز اليابس، وهي تحدثها وتطمئنها، وما زالت الطفلة تبكي.

من خارج الخيمة سمع الزوج حديث زوجته مع جارتها، عاد للخيمة بعد جولة شاقة، بذل فيها ماء وجهه مرة تلو مرة، للحصول على كمية من الحليب تكفي ابنته ليوم واحد، ولكن.... كل البيوت مثل بيته، وكل الجيوب مثل جيبه، خالية خاوية، عاد ذاهلا يجرجر ذيول خيبته، سعل بقوة يستأذن بالدخول، فلا باب هنا ليطرقه، ولا جرس ليضغط على مفتاحه.. هي ستارة رقيقة تفصل داخل الخيمة عن خارجها، تركت الجارة ما في يدها وانصرفت، دخل، فانفجرت زوجته الباكية في وجهه تؤنبه وتلومه بعنف، ملقية كل ضعفها وعجزها في وجهه، متهمة إياه بالإهمال والكسل، تذكره بأنه أب لهذه الطفلة، ورب لهذه الأسرة، لم يتمالك أعصابه المشدودة طوال النهار، فانهال عليها ضربا وشتائم، تدخل الجريح من خيمته، تدخل الجيران كل من مكانه، هدأ الرجل فجأة كآلة انقطع عنها التيار الكهربائي، وجلس على الأرض ينتحب.

ذهلت الزوجة، نسيت ذلها وآلام صفعاته، جلست بجانبه تلاطفه وتخفف عنه، تمسح على رأسه وكتفيه معتذرة، تشاركه البكاء، تشاركه القهر والعذاب، الآن فقط عرفت سبب إصراره على تسمية ابنتهما (رتاج) ربما كان يتمنى أن تكون ولادتها رتاجا لبؤسه، لتشرده، لعيشة الخيام التي ما تمناها ولا سعى إليها، بل أجبره عليها عكازان يحملهما تحت إبطيه، يستعيض بهما عن ساق فقدها في المعركة، فأقعدته مؤقتا عن مواصلة الجهاد، كانت الطفلة قد تعبت من البكاء فاستسلمت للنوم، وظل كوب الشاي مع فتات الخبز، ينتظر استيقاظها، أمام دموع الزوجين المتعانقين■

أحد طلبة (ندوة العلماء) النجباء، أخلص لعلمه، وأعطاه جهده ووقته ففاز بحظ وافر منه. له أثر بارز في تعليم اللغة العربية ونشرها في الهند. تتلمذ على الشيخ أبي الحسن الندوي - رحمه الله -، وعلى الشيخ محمد الرابع الندوي حفظه الله، رحل إلى مراكز العلم داخل الهند وخارجها في السودان والسعودية متعلما ومعلما، تولى رئاسة المكتب الإقليمي للرابطة في نيودلهي بعد د. محمد اجتباء الندوي، وسيد محمود الحسن الندوي.. كان للمجلة معه هذا اللقاء:

الدكتور شفيق أحمد خان الندوي لـ (الأدب الإسلامي):

موقف النقد الأدبي في الهند من إبداعات الأدباء المسلمين ليس مشجعا

ولدينا نقاد معروفون!

■ في البداية نرجو إفادة القارئ بأبرز المحطات التربوية والعلمية والأدبية التي مررتم بها في حياتكم.

■ أنا من مواليد عام ١٩٤٧م بمديرية راي بريلي في قرية معروفة بـ رسته مؤ/ انهونه، ولاية أوتار براديش، الهند، على بعد ٥٠ كيلو مترا من لكنؤ شرقا. قابلت سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي في انهونه عام ١٩٥٦م، وكنت ابن ١٠ سنوات من عمري، وتأثرت بحديثه الديني المثير للعاطفة والوجدان، والذي ألقاه الشيخ

حوار: شمس الدين درمش

في جامع انهونه، بعدها عرفت عنه بأنه رجع حديثا من سوريا بعد إلقائه محاضرات في جامعة دمشق عن «رجال الفكر والدعوة في الإسلام».

التحقت بدار العلوم لندوة العلماء عام ١٩٥٨م، فاستفدت منه عن قرب، واقتبست من علمه وتوجيهاته كثيرا، فقد درست في جامعة ندوة العلماء لمدة ٩ سنوات كاملة، وحصلت على أعلى

درجاتها العلمية المعروفة بدرجة «الفضيلة» / الماجستير في علوم الشريعة الإسلامية بتقدير جيد جدا وبالمرتبة الأولى بفضل الله جل وعلا عام ١٩٦٦م، ثم انتقلت إلى نيودلهي وجامعة علي كره لتلقي العلوم العصرية واللغة الإنكليزية فدرست ٩ سنوات مماثلة فحصلت على شهادة المدرسة الثانوية العامة، والبكالوريوس في الأدبين العربي والإنكليزي، والدبلوم في دراسات غرب آسيا، والماجستير في الآداب العربية بتقدير ممتاز مع الحصول على ميدالية الجامعة الذهبية للتفوق العلمي في كلية الآداب، والدكتوراه في الأدب العربي عن رسالتي «نزعات دينية اجتماعية في القصة العربية الحديثة». وبالتالي غادرت إلى السودان حيث تدربت على تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في معهد الخرطوم الدولي للغة العربية لمدة سنتين كاملتين ١٩٧٩ – ١٩٨١م فحصلت على الماجستير في اختصاص تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.

■■ لكم اهتمام خاص باللغة العربية تعلُّما وتعليما، كيف نشأ هذا الاهتمام؟ وما مجاله الآن؟

■ نعم؛ ولله الحمد والشكر، فإن لي اهتماما خاصا باللغة العربية تعلما وتعليما، ونشأ ذلك عن طريق البيئة التي طورها شيخنا الجليل أبوالحسن الندوي وتلاميذه البررة من أمثال أصحاب الفضيلة محمد الرابع الحسني، ومحمد الحسني، وسعيد الأعظمي، ومحمد واضح رشيد الحسني في محيط دار العلوم لندوة العلماء بلكنؤ، وبأساليب فريدة وطرائق عدة، إذ إنهم كانوا يشجعون النشء على تنمية المهارات اللغوية العربية في النادي العربي الأدبي وصحيفته العربية «الرائد»، ومجلة البعث الإسلامي الغراء، حتى زارها أديب العربية الشهير الشيخ علي الطنطاوي -رحمه الله، ومكث فيها طويلا فوصفها بـ «واحة العربية الخضراء في ساحة الهند الجرداء».

اشتغلت مدرسا للغة العربية في جامعة علي كره الإسلامية بالهند عام ١٩٧٥م، ثم محاضرا في الجامعة الملية الإسلامية الحكومية بنيودلهي، فأستاذا مشاركا وأستاذا جامعيا كاملا، ورئيسا لقسم اللغة العربية وآدابها في الجامعة نفسها، حتى تقاعدت عن العمل في ٢٠١٢/٠٤/٣٠م.

وفي غضون هذه المرحلة المستغرقة لمدة ٣٧ سنة من التدريس تمكنت من الحصول على إجازة رسمية من الجامعة الملية الإسلامية الحكومية في فترات مختلفة لمدة ٨ سنوات تدربت فيها على تدريس اللغة العربية في معهد الخرطوم الدولي للغة العربية (التابعة للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لجامعة الدول العربية)، وحصلت على الماجستير في اختصاص تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، ثم اشتغلت مدرسا للغة الأردية في وزارة الداخلية القطرية بالدوحة لمدة ٣ سنوات، ومدرسا في كلية اللغات والترجمة في جامعة الملك سعود بالرياض سنتين، ومترجما من الإنجليزية إلى العربية وبالعكس لمدة سنة كاملة لدى شركة الإسمنت السعودية بالدمام.

هذا بجانب؛ وبجانب آخر فقد قمت باستحداث برامج تعليمية للغة العربية منفردا أو بالمشاركة، من أهمها:

١- إدخال منهج التدريب على تدريس اللغة العربية في بكالوريوس التربية، بكلية التربية، في الجامعة الملية نيو دلهي.

٢- تعليم اللغة العربية في هندسة العمارة والعمران بالجامعة نفسها.

٣- بدء برامج تعليم اللغة العربية في وزارة تنمية الموارد البشرية للحكومة الهندية، بواسطة المجلس القومي لترويج اللغة الأردية، بإعداد سلسلة من الكتب الدراسية المعروفة بـ «اللغة العربية الوظيفية» في أربعة مجلدات، نيو دلهي.

٤- مشاركة في بدء تعليم اللغة العربية وإعداد كتاب في مجلدين ضمن مقررات المدارس الثانوية العامة من قبل المعهد القومي الحكومي للتعليم المفتوح، نيو دلهي.

٥- أسهمت في بدء تعليم اللغة العربية في جامعة إنديرا غاندي القومية المفتوحة.

وبالإضافة إلى ذلك فقد حصل ٢٠ باحثا على درجة الدكتوراه في الأدب العربي تحت إشرافي، من عناوينها:

١- مساهمة الهند في أدب الحديث النبوي الشريف باللغة العربية (تقدم بها الباحث سيد خالد علي الحامدي) ١٩٩٣م.

٢- نزعات الإصلاح الاجتماعي في أدب محمود تيمور القصصي (للباحث محمد حسين خان) ٢٠٠٤م.

٣- شكيب أرسلان وأسلوبه الأدبي: تثمين أدبي وبلاغي (الباحث: محمد غطريف شهباز) ٢٠٠٦م.

٤- عناصر المقاومة الفلسطينية في الرواية العربية (الباحث: محمد صهيب عالم) ٢٠٠٧م

٥- الأدب القصصي لعبد الحميد جودة السحار: دراسة فنية وفكرية (الباحث: مجيب أختر) ٢٠٠٨م.

٦- تأثير اللغة العربية وآدابها في شعر محمد إقبال (للباحث سعيد الظفر) ٢٠١٠م.

٧- التأثير العربي في أدب حالي (الباحث: محمد شمس الدين) ٢٠١٠م.

٨- نزعات اجتماعية في الرواية السعودية في القرن العشرين (الباحث: حفظ الرحمن) ٢٠١١م.

٩- دوافع الإصلاح الاجتماعي في القصة السعودية الحديثة (الباحث: شفاعت الله خان) ٢٠١١م.

١٠- التأثير العربي في كتابات شبلي النعماني (الباحث: مسعود أظهر) ٢٠١٢م.

١١- النزعات الإنسانية في روايات عبدالرحمن الشرقاوي: دراسة نقدية وموضوعية (الباحث:

د. شفيق يتسلم جائزة من رئيسة الجمهورية الهندية السيدة باتيل ٢٠٠٧ تقديرا لجهوده في نشر الثقافة العربية في الهند.

محمد أعظم) ٢٠١٢م.

١٢- ضرب الأمثال في القرآن الكريم: دراسة أدبية وبلاغية (الباحث: محمد جاويد أشرف) ٢٠١٢م.

١٣- الكفاح والمقاومة ضد الاستعمار الغربي في كتابات الهنود بولاية كيرالا باللغة العربية (الباحث: مجيب. إيه. كيه) ٢٠١٢م.

وذلك بالإضافة إلى تسعة باحثين آخرين لا يزالون يحضرون رسائلهم لنيل درجة الدكتوراه تحت إشرافي، ولله الحمد. ومن موضوعاتهم:

١- حسنى أبي الكلام: قضايا اجتماعية في الشعر العربي المعاصر.

٢- محمد نجيب شعيب قاسمي: الجوانب الأدبية والبلاغية والجمالية في الحديث النبوي الشريف: الصحيحين للبخاري ومسلم نموذجا.

٣- محمد شاهد فاروقي: التشاؤم في شعر أبي العلاء المعري وفاني بدايوني: دراسة مقارنة.

٤- إقبال أحمد رحماني: الطيب صالح: نزعته الاجتماعية كما تتجلى في رواياته.

د. شفيق مع سماحة الشيخ سيد محمد رابع الندوي أثناء افتتاحه مكتبا جديدا للمكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في نيودلهي عام ٢٠٠٨م.

■■ اللغة العربية في الهند؛ هل مازالت محل عناية المسلمين كما كانت؟ أم اختلف الأمر، ولماذا؟

■ اللغة العربية – من غير ريب – هي محل عناية المسلمين في الهند، إلى جانب اهتمامهم بالعلوم العصرية واللغة الإنكليزية، منذ القدم، ولم يختلف الأمر، بل زاد الاهتمام بتعليم اللغة العربية أكثر فأكثر، حيث يتعلمها المسلمون لفهم كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام، ولا يسمحون لأطفالهم ببدء دراستهم الابتدائية ما لم يتمكنوا من تلاوة القرآن الكريم وحفظ السور والأدعية المأثورة باللغة العربية مع معرفتهم بالمبادئ الشرعية. ونصيب الهند وشبه القارة الهندية في شأن تبني اللغة العربية صيانة ونشرا وخدمة وإسهاما فيها كان وما زال أبرز من جميع الشعوب غير العربية في العالم.

فالمكتبات العربية مليئة ومزدهرة بالمؤلفات العربية الإسلامية من شبه القارة الهندية؛ يمكننا الاطلاع على ذلك من نافذة كتاب صادر عن المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٥٨م، عنوانه «الثقافة الإسلامية في الهند» للشيخ عبدالحي الحسني

مدير دارالعلوم بندوة العلماء لكنؤ، (والد الشيخ أبي الحسن الندوي رحمهما الله).

وفي العصر الحاضر فإن اللغة العربية مزدهرة للغاية ودراستها على قدم وساق فيما بين الجامعات والمعاهد؛ الأهلية منها والرسمية، على أيدي العلماء والأساتذة المعروفين بعد مربي الجليل أبي الحسن الندوي رحمه الله، من أمثال الشيخ محمد الرابع الحسني، ومحمد الحسني، والدكتور سيد محمد اجتباء الندوي -رحمه الله-، والدكتور سعيد الأعظمي، والشيخ محمد واضح رشيد الحسني وغيرهم.

وتوجد نشاطات في قرابة مئة كلية، و٤٨ جامعة حكومية منتشرة في سائر الولايات الهندية التي يبلغ عددها٣١ ولاية، ومدنها الكبرى التي تولي اهتماما بتعليم اللغة العربية وآدابها في الهند منذ المرحلة الابتدائية وحتى نهاية مرحلة التخصص في العلوم العربية ودرجة الدكتوراه من أهمها جامعة علي كره الإسلامية، والجامعة الملية الإسلامية نيودلهي، وجامعة دلهي، وجامعة جواهر لال نهرو نيو دلهي، وجامعة لكنؤ، وجامعة كاليكوت، والجامعة العثمانية حيدر آباد، وجامعة مومباي، وجامعة بنارس الهندوسية، وجامعة آسام، وجامعة بركة الله بهوبال، وجامعة بتنه، وجامعة ناكبور، وجامعة بارودا و غيرها.

■■ حصلتم على جائزة فخامة رئيس جمهورية الهند عام ٢٠٠٧م، ما موضوع الجائزة؟ وما الإنجاز الذي أهلكم لنيلها؟

■ حصلت على جائزة فخامة رئيس جمهورية الهند عام ٢٠٠٧م، ولله الحمد، وذلك اعترافا للتفوق العلمي في اللغة العربية وآدابها، وتقديرا للجهود المبذولة في نشرها عن طريق استحداث برامج دبلوم اللغة العربية الوظيفية لمدة سنتين، وإعداد كتب دراسية لذلك في أربعة مجلدات تديرها وزارة تنمية الموارد البشرية للحكومة الهندية بواسطة المجلس القومي لترويج اللغة الأردية في ٢٢٥ مركزا في سائر أرجاء الهند.

■■ ماذا صدر لكم من الكتب بعد هذه الجولة الواسعة في التعلم والتعليم؟

■ أصدرت عددا من الكتب في تعليم اللغة العربية في المجالات التي تحدثت عنها فيما سبق، وهي:

- اللغة العربية الأساسية لغير الناطقين بها، ٣ أجزاء (بالاشتراك)
- اللغة العربية الوظيفية، ٤أجزاء (بالاشتراك)
- دروس اللغة العربية للمدارس الثانوية الهندية التابعة للمعهد القومي للمدارس المفتوحة (بالاشتراك)
- هيا نتعلم الأردية / اللغة الأردية للمبتدئين من الناطقين بالضاد (دروس جامعة الملك السعود بالرياض، ومعهد تدريب الشرطة والتوجيه المعنوي في وزارة الداخلية القطرية بالدوحة)، بالإضافة إلى رسالتي الماجستير والدكتوراه، وهما:
- أهمية القصة في تعليم اللغة العربية للأجانب (رسالة الماجستير في تعليم العربية لغير الناطقين بها. معهد الخرطوم الدولي للغة العربية التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، جامعة الدول العربية ١٩٨١م، قيد الطبع)
- النزعات الدينية الاجتماعية في الأدب القصصي العربي الحديث (رسالة الدكتوراه، جامعة علي كره الإسلامية، الهند ١٩٨٣م، قيد الطبع وأجزاؤها منشورة في مجلات عربية وأردية).

■■ بصفتكم رئيسا للمكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في الهند، نرجو إعطاء نبذة عن هذا المكتب: نشأته، وأنشطته، وعلاقته بمكتب شبه القارة الهندية.

■ كان الأستاذ الدكتور سيد محمد اجتباء الندوي أول رئيس للمكتب الإقليمي في الهند، وقد توفي بتاريخ ٢٠٠٨/٠٦/٢٠م، وتولى بعده رئاسة المكتب الأستاذ سيد محمود الحسن الندوي وكنت نائبا له، وقد توفي بتاريخ ٢٠١٠/٠١/٢٦م، فأسندت رئاسة المكتب إليّ، وتم افتتاح مقر المكتب هذا على يد سماحة الشيخ الأستاذ سيد محمد الرابع الحسني الندوي بالدور الأرضي في منزلي عام ٢٠٠٩م، وتوجد فيه مكتبة الرابطة ومنشوراتها ومؤلفاتها المنقولة من مكتبها الكائن في الدور الأرضي من منزل الأستاذ الدكتور سيد محمد اجتباء ومفتوحة لروادها يوميا فيما بين العصر والعشاء، وهذا المكتب مكون من غرفتين وقاعة وحمام، تنعقد فيه الندوات، ومنها ندوة عنوانها: الأدب وسيلة فعالة للإصلاح الاجتماعي برئاسة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي نائب رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية، ورئيس مكتب شبه القارة الهندية للرابطة، ورئيس ندوة العلماء، وندوة: أمسية في ذكرى رسول الرحمة عليه السلام، أحياها شعراء هندوس برئاسة فضيلة الدكتور سعيد الأعظمي الندوي رئيس تحرير مجلة البعث الإسلامي، ومدير ندوة العلماء لكنؤ، وندوة ثالثة خاصة باحتفال: القدس عاصمة الثقافة العربية، برئاسة الدكتور ظفرالإسلام خان رئيس تحرير صحيفة «ملّي غازيت» الإنكليزية بنيودلهي، وندوة رابعة حول: القضية الفلسطينية بين الأمس واليوم، في قاعة كلية اللغات والإنسانيات بالجامعة الملية الإسلامية برئاسة الدكتور عبد المنعم باشا أستاذ العلوم السياسية بالجامعة الملية، وندوة خامسة عن قضايا اجتماعية في أدب علي أحمد باكثير في نفس القاعة برئاسة كاتب هذه الأسطر، وأقمنا أمسية شعرية أحياها الشاعر العربي المعروف الدكتور خالد حسن هنداوي، مسؤول شؤون رابطة الأدب الإسلامي العالمية في الدوحة، وغير ذلك.

من اليسار: فضيلة الأستاذ محمد واضح رشيد الندوي، وسماحة الأستاذ سيد محمد الرابع، وشفيق أحمد في المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي الجديد في نيودلهي عام ٢٠٠٨م.

وأما الضيوف الذين استضفناهم لدينا في المكتب الإقليمي للرابطة بنيودلهي فهم: الأستاذ الدكتور بوفلاقة، جامعة عنابه من الجزائر، والشيخ يوسف صالح كراشة من إستانبول بتركيا، والأستاذ أبو سعد عبد الله من المملكة العربية السعودية، والدكتور حمدون محيي الدين المحاضر بقسم اللغة العربية بجامعة شرق سريلانكا (الباحث

في جامعة الإنكليزية واللغات الأجنبية، حيدر آباد بعنوان: دور أبي الحسن الندوي في تطوير الأدب العربي بالتركيز على رابطة الأدب الإسلامي العالمية)، وغيرهم.

■■ هل لمكتب الرابطة في الهند موقع إلكتروني باللغة الأردية أو باللغة الهندية تعرض فيه أنشطته في شبه القارة الهندية؟

■ لا يوجد موقع إلكتروني باللغة الأردية أو بالهندية للرابطة حتى الآن، ولكننا نرسل نشاطاتنا إلى الصحف الأردية فيتم نشرها من حين لآخر، وترسل هذه الأنشطة إلى المكتب الرئيس في المملكة العربية السعودية فتنشر في الموقع الإلكتروني، ومجلة الأدب الإسلامي الفصلية. ولعلنا نؤسس موقعا إلكترونيا بالأردية والإنكليزية –إن شاء الله.

■■ مجلة كاروان أدب الأردية (قافلة الأدب) أين وصلت؟ وهل لها نسخة إلكترونية؟

■ مجلة كاروان أدب (قافلة الأدب) فصلية تصدر عن مكتب شبه القارة الهندية للرابطة في لكنؤ على بعد ٥٠٠ كيلو متر من شمال شرق نيودلهي العاصمة، ولا توجد نسخة إلكترونية بعد، وأنا عضو في هيئتها الإدارية وآخر عدد صدر منها يخص القصة في الأدب الأردي وتأثرها بالقصة العربية قديما وحديثا.

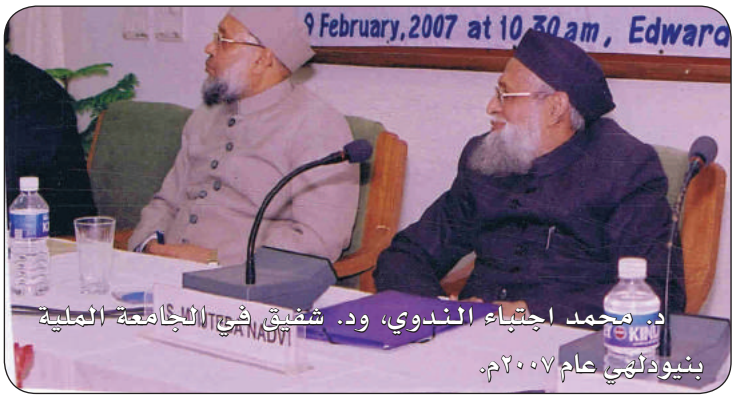

د. محمد اجتباء الندوي، ود. شفيق في الجامعة الملية بنيودلهي عام ٢٠٠٧م.

■■ من هم أبرز الأدباء المسلمين في الهند عامة، وفي الاتجاه الإسلامي خاصة، في مجالات الشعر، والرواية، والقصة القصيرة؟ وما حجم المشاركة الأدبية للمرأة المسلمة في الهند؟

■ من أبرز أدباء المسلمين المعاصرين باللغة الأردية في الاتجاه الإسلامي كما أتذكر: أبوالمجاهد زاهد، كليم عاجز، حفيظ ميرتهي، أنوار الحق حافظ، عامر عثماني، تابش مهدي، حميد صديقي، رئيس الشاكري، أمة الله تسنيم وهي أخت الشيخ أبي الحسن الندوي، رضية حليم، ماهر القادري، أكبر الله بادي، شورش كاشميري، حفيظ جالندهري، عبد الماجد دريابادي، خير النساء بهتر، حالي، و شبلي وغيرهم كثير.

وفي القصة والرواية: قرة العين حيدر، هاجرة نازلي، رئيس أحمد جعفري، رشيد أختر ندوي، نسيم حجازي، نسيم انهونوي، عبد الحليم شرر، و ابن فريد، م. نسيم، خالد جاويد، واجدة تبسم وغيرهم.

وليست مشاركة المرأة الأدبية للمرأة المسلمة في الأدب مشاركة بارزة إلا أنهن يتقدمن بإبداعات ملحوظة في جميع المجالات الأدبية ننوي تقديمها إليكم إن شاء الله من اللغات الهندية إلى العربية.

■■ ما مدى عناية رابطة الأدب الإسلامي في الهند بأدب الطفل، وخصوصا أن الشيخ

أبا الحسن الندوي –رحمه الله- أعطى هذا الجانب العناية القصوى؛ فألف للأطفال في وقت مبكر جدا كتبا مثل: قصص من التاريخ، وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وقصص النبيين؛؟

■ عناية رابطة الأدب الإسلامي في الهند بأدب الأطفال ضئيلة حتى الآن، إلا أننا نعتزم الإقبال على ذلك بعون الله وبمساعدتكم، وعندنا دور النشر الخاصة بأدب الأطفال، ومجلات تهتم بأدب الطفولة، وفي مقدمتها مجلة «نور» (رامبور)، ومجلة «بيام تعليم» نيودلهي، و مجلة «رضوان» للفتيات المسلمات، لكنؤ، و«حجاب» نيو دلهي، ونحو ذلك.

■■ أين يقف النقد الأدبي في الهند من إبداعات الأدباء المسلمين؟ وما مقدار حضورهم في الرابطة؟

■ موقف النقد الأدبي في الهند من إبداعات الأدباء المسلمين ليس مشجعا، ورغم ذلك فعندنا نقاد معروفون من أمثال شبلي، وحالي، ومسعود حسن، ورضوي أديب، وعبد الماجد دريابادي، ورشيد أحمد صديقي، وآل أحمد سرور، وعبد المغني، وعبد الباري، و شبنم سبحاني، وغيرهم.

■■ لماذا لا نجد تعريفا بأدباء الاتجاه الإسلامي الأردي في الهند على صفحات مجلة الأدب الإسلامي التي تصدر عن مكتب البلاد العربية؟.

■ هذا ممكن جدا، وأمر جيد ومطلوب، ونعتبر استفساركم هذا اقتراحا وجيها لنا، وسوف نحاول بمشيئة الله إرسال مقالات حول أدباء الاتجاه الإسلامي في الأدب الأردي، للتعريف بهم وبإسهاماتهم الأدبية للنشر في مجلة الأدب الإسلامي الفصلية، أو في المجلة الإلكترونية الشهرية.

■■ أخيرا؛ ما رسالتكم إلى الأدباء؟

■ رسالتي إلى الأدباء تتلخص فيما يأتي:

الأدب تعبير جميل عن شعور صادق بصورة موحية تمتاز بجودتها في الاتزان بين اللفظ والمعنى، وقوة العاطفة، وسمو المعنى، وبالظلال والصور البلاغية، والموسيقى الأدبية، فتستمتع به النفوس البشرية، وتتنبه إلى رسالته الكامنة بآذان صاغية، وعيون باصرة، وقلوب واعية، ولذا فإن الأدب يحتل مكانة مرموقة، ويصبح وسيلة للاستمتاع والتسلية، فتؤدي دورا مهما في التأدب والتأديب، والعمل على تقويم ما اعوج في سلوك الإنسان مع الخالق والمخلوق، والذي من شأنه تنمية الذوق الإنساني السليم، ونشر القيم النبيلة، وتربية النفوس، والتهذيب الخلقي للفرد والمجتمع، وخير دليل على ذلك القرآن الكريم والروائع البيانية المتوافرة في الأحاديث النبوية الشريفة على صاحبه الصلاة والتسليم.

وتتضح لنا من ذلك أيها الأدباء حقيقة المقولة الإسلامية المأثورة: «إن من الشعر لحكمة، وإن من البيان لسحرا». ومهمة الأديب أن يجعل الأدب في خدمة العقيدة والحياة، ويسلك سبيل الحكمة والموعظة الحسنة، لتكييف جو من الوئام والهدوء والسلام، نافعا بذلك البشرية، ويدخل نفسه في فئة خيار الناس الذين بشر بهم الرسول عليه أفضل الصلاة والتسليم حيث قال: خير الناس من ينفع الناس.

والله هو الموفق والهادي إلى الصراط المستقيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله و صحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين■

السفر في مراكب الشمس

أسامة كامل الخريبي - مصر

من البلابلِ أجني صَفْوَ أوزاني ... ومن جيوب الرحيق الغَضِّ ألحاني

أُعَطِّرُ الحرفَ والأوزان في لُغتي ... وأَنْشُرُ العِطْرَ في أجواءِ أكوانِ

أشدو عن الحُبِّ للمحزون أُسْعِدُه ... وأسكب الشجوَ في أعطاف أوزاني

وأَمْسَح الهَمَّ عن وَجْهٍ ذَوَى كمداً ... فيستريح لإشفاقي وتحناني

كطائرٍ غَرِدٍ هَزَّتْهُ أُغْنيةٌ ... فبات يمزج أشجاناً بأشجانِ

ويقطعُ الأَرْضَ من سَهْلٍ ومن جَبَلٍ ... بحثاً عن الدِّفء في أحضان أغصان

مسافِرٌ وطموحي لا حدودَ له ... طَلْقَ الفضاءاتِ مُخْضَلاً كَوجداني

مثلَ السماءِ اتساعاً في رحابته ... أو كالتلال على أعطاف (لُبنانِ)

أو كالنسيم اعتلالاً في أصائله ... والكوثر العذبِ في جناتِ رضوانِ

مسافرٌ وعُيوني كُلُّها أَمَلٌ ... أن سَوْفَ يعلو على الأكوان قرآني

وسوف تعلو جبين الشمس رايتُنا ... وتُسْعدُ الناس من (عدلٍ) و (إيمانِ)

وسوف يهوي ظلامُ اليأس في وطني ... كَما تُحَطَّمُ أوثانٌ .. بأَوثانِ

وسَوْفَ يَهْوِيَ بريق النور معتقلٌ ... إذا تَدَفقَ في ليلٍ وَ قضبانِ

إنّ الشموسَ التي في الغَيْبِ شُعْلَتُها ... غداً تُضيء براحاتي .. وأوطاني

مسافرٌ أنا .. في طَّيات أمتعتي ... نَبْعُ الجداولِ .. أَوْ نَفْثٌ لِبُركانِ

أُصاحبُ العُشْبَ والأعنابَ مُتَّخذاً ... من النخيل صديقاتي وأعواني

ماءٌ وعطرٌ وأنسامٌ وسوسنةٌ ... قامت تودعني .. من قبل جيراني

لي في دروبِ مدار الشمس مركبةٌ ... وتحت نافذة الأقمار عنواني

من الأصيلِ الذي أشجارُه سجدت ... فوق التِّلال لتسبيح وغُفرانِ

من حُمْرةٍ لطيوف الشمس أَقْبسها ... ومن تَذَهُّب أفنانٍ .. بألوانِ

من صفحةِ النيل .. من ماءٍ جَرَى ذَهباً ... فصارَ يبرقُ في أجفانِ وَسْنانِ

أنا الذي سَبَحتَ للشمس مركبتي ... وليس يفهمُ إنشادي وأوزاني

وإنْ تَنَصَّت في أَعماق حنْجرتي ... ودَسَّ منْخاره في جوف ألحاني

أُحَدِّثُ الناسَ عن فجرٍ وعن ألَقٍ ... غداً سَيَبزُغُ في أجواءِ أوطاني

وعن رحيلٍ لأَهْلِ الظلم مُرتَقَبٌ ... وعن تَصَدُّعِ بنيانٍ لطغيانِ

وعن طريقٍ إلى الرحمنِ مختصرٍ ... يمر فوقَ جراحاتٍ وأحزانِ

أُخَبِّئُ الحُبَّ في أسوارِ مملكتي ... وأكْتُمُ الوَجْدَ في طياتِ شرياني

من رائقِ النورِ أحلامي وقافيتي ... وطاهرِ العِطْرِ ألحاني وأوزاني

فَهَلْ سترسو من الأحلام مركبتي ؟ ... وهل تعانق شُطآني وخلجاني ؟

ترجمة أدب الطفل .. سؤال الشكل والمضمون

د.أحمد عبد العظيم محمد - مصر

الترجمة فعل إنساني مسؤول تحكمه -كسائر الأفعال البشرية- إرادة واعية، وأهداف محركة. من هنا -فقط- ينبغي أن تبدأ معالجة قضايا الترجمة عامة، وترجمة أدب الطفل خاصة. وبتحديد أكثر لمرادنا، فإن الحديث عن قضية ترجمة أدب الطفل وإشكالياتها تبدأ من طرح بضعة أسئلة من قبيل:

١- لماذا نترجم أدب طفل؟!

٢- ماذا نترجم في أدب الطفل؟!

٣- كيف نترجم أدب الطفل؟!

أولا: لماذا نترجم أدب طفل؟!

إنه السؤال الأول، الذي يتعلق بالهدف من ترجمة أدب الطفل، إنه سؤال الغاية التي تحرك أي نشاط إنساني واعٍ مسؤول، ولا أكون مبالغا إذا قلت: إن غياب رؤية واضحة للجواب عن هذا السؤال تفضي قدما إلى تفريغ العمل المترجَم من قيمته.

وإذا كان تتبع مسارَ الترجمة في تاريخ الإنسانية يكشف لنا عن قيمة حضارية بالغة الأهمية لفعل الترجمة بوصفه عملية تزود معرفي وثقافي،

يقوم خلالها طرف باستجلاب نصوص من ثقافات ولغات أخرى، سعيا لاقتناص ما تزخر به هذه النصوص من معارف وثقافات تسهم في تدشين البناء العلمي والثقافي للأمة المترجم إليها؛ فإن ترجمة أدب الطفل تكتسب أبعادا أكثر خطورة وأهمية، إذ هي نشاط يتعلق بعملية تكوين ذهني ووجداني وأخلاقي لأجيال متتابعة، عملية تتم في المرحلة الأخطر من مراحل بناء الذات وتشكيلها، وهي مرحلة الطفولة.

ثانيا: ماذا نترجم في أدب الطفل؟!

هو سؤال لا ينفك عن سابقه، بل ينبني ويتأسس عليه؛ بحيث يترتب على الرؤية الواضحة للهدف من فعل الترجمة عند المترجم جملة اختيارات موفقة للنصوص المترجمة التي تخدم –بطبيعة الحال– رؤيته وأهدافه من عملية الترجمة، والعكس بالعكس.

وبناء على هذا يمكننا القول: إن أول حدود مسؤولية المترجم تبدأ مع عملية الاختيار ذاتها للنص المترجَم، ذلك أن«الاختيار»، هو تحيز بالضرورة؛ تحيز لفكرة أو قيمة، وتعبير عن قيمة أو يقين وقر في وجدان المترجم بأن النص موضع الترجمة هو نص يحمل قيمة تستحق الترجمة والنقل إلى ثقافتنا.

إنه سؤال شديد الخطورة ذلك السؤال«ماذا نترجم؟!»؛ لأنه يثير جملة قضايا متشابكة، ويطرح تساؤلات عديدة متداخلة، من قبيل:

- هل تخضع عملية الترجمة (في مجال أدب الطفل) لعملية تصفية يتم خلالها قبول بعض الأعمال والإعراض عن بعضها الآخر؟!
- ما الأسس التي تراعى عند إجراء هذه«التصفية»؟ أسس إنسانية عامة، أم تربوية، أم جنسية، أم أسس سياسية، أم دينية، أم اجتماعية؟!
- وبتخصيص السؤال أكثر: هل تخضع ترجمة أدب الطفل لمحرمات الإبداع الثلاثة: الدين – الجنس – السياسة؟!!

لكن قبل أن ندلف إلى الخوض في هذه التساؤلات ينبغي علينا أولا أن نحدد مادة الترجمة موضوع الحديث، وهي أدب الطفل، وهنا تتنوع بنا ألوان الترجمات التي يمكن أن ندرجها تحت عنوان«أدب الطفل»، وتزداد مساحة هذه الألوان أو تنحصر قليلا وفق درجة توسعنا في تحديد مفهوم«أدب الطفل»، فإذا ما توسعنا في فهم المصطلح فسنجد أن أدب الطفل هو كل رسالة توجه إلى الطفل، بهدف التربية، أو الترفيه، أو تنمية حصيلته اللغوية، أو زيادة معارفه العلمية، أو توسيع مداركه ومعطياته الثقافية، سواء قدم له ذلك في صورة كتاب مقروء، أو مادة صوتية، أو صورة مرئية.

وعلى هذا يدخل في مجال حديثنا قصص وروايات ومجلات الأطفال المصورة، وكذلك المجردة من التصوير، وكتب الأطفال التثقيفية فوق ١٢ سنة، وأغاني الأطفال المصورة وغير المصورة، والمواد الفيلمية السينمائية والمصورة (الكارتون)، وبرامج الأطفال المصورة.

إنها مساحة عريضة من الخطابات والرسائل الموجهة إلى الطفل، والتي تحرص كل أمة على إنتاج قدر وافر ومتميز منها، ارتقاء بأبنائها، وحرصا على تقديم وجبات تثقيفية وتربوية وترفيهية مفيدة لهم.

إننا هنا –وعلى الجملة– نتحدث عن إبداع، بكامل مفهوم الكلمة، وقد بات من المتواتر شرطيا حينما نتحدث عن الإبداع –بصفة عامة– أن تقابلنا حالة من الجدال الشديد حول قضية رئيسة تطل دوما برأسها، وهي حرية المبدع (أو حرية الإبداع)، نجدنا مع هذه القضية إزاء حالة من الاستقطاب الشديد بين حدين: مؤيد لحرية غير مشروطة ولا مقيدة للإبداع، ومعارض متشدد لهذه الحرية يرى وضع الإبداع دوما تحت مجهر المساءلة الدقيقة لكل كلمة يسطرها أديب، أو ريشة فنان تسيل ألوانها على صفحة ورق، أو موقف درامي يؤديه مؤدٍّ. وبين الفريقين وقف فريق ثالث محاولا –دون جدوى غالبا– أن يوجد حالة من التوافق الوسطي بين الحدين السابقين بإطلاق الحرية المسؤولة للإبداع؛ شريطة ألا تمتد هذه الحرية إلى ثابت من الثوابت الدينية أو القيمية الاجتماعية والأخلاقية.

وعلى أرض الواقع، وتطبيقا لما سبق، نجدنا حينما نتكلم عن رواية أو كتاب يصدم الذوق العام أو يزدري دينا أو يفحش في وصف علاقة جنسية، أو حين نتكلم عن فيلم يتحقق فيه كل ذلك أو جزء منه، تنقسم رؤانا بين فريقين:

أما **الأول**؛ فيرى ضرورة وجود رقابة تحول دون وصول هذه المواد التثقيفية إلى جماهير المتلقين لتفاوت درجات علمهم ووعيهم وثقافتهم، وحماية لهم ولأذواقهم. وفي سبيل ذلك ترفع دعاوى الحسبة وغيرها من الدعاوى القضائية، وتضج الصحف بأخبار الجدل الدائر حولها.

وأما **الثاني**، فيرفض تلك الرقابة رفضا تامًّا، وحجته في ذلك جاهزة«للتلفاز زر، وللمتلقي الحق في إدارته يمينا أو يسارا

ليشاهد ما طاب له، ويعرض عما لا يشاء، والكتب والروايات والدواوين في الأسواق والمكتبات للقارئ أن يمد يده ليحصل على نسخة يقرؤها من كتاب، وبإمكانه أيضا أن يعرض عما يشاء من كتب أخرى».

هذه حجة المتحججين فيما يخص الأشخاص الراشدين ناضجي الوعي، كاملي الأهلية. أما حينما نتكلم عن مادة مقدمة للطفل مكتوبة كانت أو مرئية، فيقيني الشخصي أن الأمر مختلف.

جميعنا نعرف أن أطفالنا هم مشاريع بناء إنسان لم تكتمل أهليته بعد، وأن دورا عظيما يقع على كاهل مؤسسات تربوية مختلفة تخصص جهدها وطاقتها لرعايته وتنشئته وتوجيهه، بدءًا من الأسرة إلى المدرسة، إلى دار العبادة، وبطبيعة الحال إلى هذا الكيان الاعتباري«المؤسسة التثقيفية»، تلك المؤسسة التي تندرج تحتها المواد التثقيفية المختلفة من كتب وقصص وأفلام كارتونية ... إلخ.

وسأستدعي هنا رأي أحد أعلام أدب الطفل في مصر وفي وطننا العربي، وهو الكاتب«يعقوب الشاروني»، يقول:«لا بد أن نراعي شيئا مهما عند ترجمة كتب الأطفال إلى العربية، وهو ألا نبتعد عما يحتاجه أطفالنا؛ فالترجمة مثلا في مجالات العلوم مفيدة؛ لأن العلم ليس له جنس، كذلك عندما نترجم القصص التي بها قيمة إنسانية يتعلمها الطفل، وهو ما نراه في القصص الشعبية مثل: سندريلا، والجميلة النائمة، يقرؤها الطفل بمثل التشويق الذي يقرأ به القصص الشرقية العربية مثل: علي بابا، أو علاء الدين. والأدب الإنساني صالح لكل مكان وزمان ... فعلينا إذن عندما نترجم لهم أن نختار ما به قيمة إنسانية. أما عيوب الاغتراب فنجدها في الشخصيات المترجمة، مثل: سوبرمان، وبات مان، الرجل الأخضر، هذه الشخصيات الخيالية لا تخضع لقوة القانون، ونشعر أن القوة التي لديها تحجبها فتعلّم الطفل عدم الاكتراث بالقانون وعدم احترام السلطة، وعلى ذلك فهي تضعف إحساس الطفل بالنظام والقانون»[1].

إن خطورة القضية هنا تنبع من طبيعة التكوين النفسي والتربوي للطفل، الذي يتأثر بصورة أعمق بكثير مما قد يتصور الآخرون، فهو دائم البحث –فيما يشاهد– عن قدوة تبهره فيتلمس خطاها، وجميعنا نرى كثيرا في بيوتنا ومجتمعاتنا الخاصة والعامة شخصيات (كارتونية) سلبت ألباب الأطفال واستحوذت على اهتمامهم، منذ«سوبرمان»، و«باتمان»، و«تان تان»، و«العم دهب»، و«توم وجيري»، إلى الأسد«سيمبا»، و«تيمون» و«بومبا»،

و«سبونش بوب» و«ستروبلي»، و«باربي»، و«بِن تِن». ويكفي للتدليل على ذلك ما نراه في أسواق الملابس، والألعاب، بل أدوات المدارس –كذلك– في مجتمعاتنا العربية من استغلال واضح لتلك الشخصيات في مغازلة غرام الأطفال بشخصيات مثل«سبونش بوب» و«سوبرمان».

إننا مع الحكاية و(الحدوتة) أمام سلوك إنساني يبدو في ظاهره اللهو والعبث؛ فنظن أحيانا أن الهدف من ورائه هو محض المتعة والتسلية، ولكنه في حقيقة الأمر سلوك يعكس عمقا فكريا وتربويا شديد الخطورة في تشكيل الخبرات ومراكمة المعارف لدى المتعامل مع هذا الفن (الحكي) طفلا كان أو كبيرا؛ وليس أدل على ذلك من أن الكتب السماوية كافة لم تخل في مواضع كثيرة من توظيف الحكاية؛ وهو أمر يكشف عن خطورة الأمر وجدية الحال في موقف الحكاية؛ فهي ليست لهوا ولا عبثا؛ ولا المقصود منها المرح ولا التسلية والاستمتاع.

يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (يوسف: ١١١).

إن أدب الطفل بخلاف أنه يقدم التسلية والمتعة الجمالية له دور ثقافي في إكساب الأطفال القيم والمعارف والمهارات، وتنمية اللغة وغرس عناصر الهوية الثقافية للمجتمع في نفوس الناشئة.

بهذا الفهم، وفي هذا الإطار نرسم علامات تحذيرية على

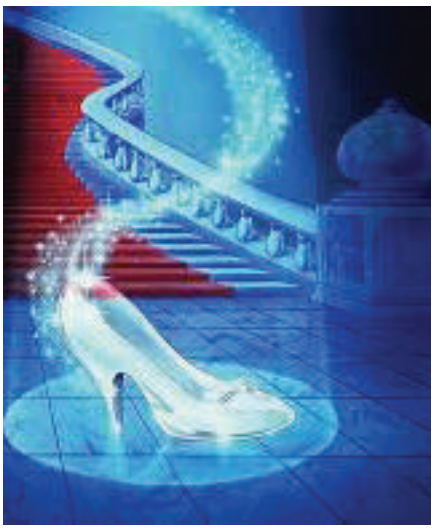

كثير مما يترجم لأطفالنا من كتب وروايات وقصص، ومن برامج وأفلام، تشجع مخالفة القانون وتدعو ضمنا إلى الخروج على أنساق المجتمع، أو تروج لقيم تخالف القيم الأصيلة عامة، أو تصدم الطفل في ثوابت عقيدته الإسلامية (أو حتى المسيحية)، ويروج بعضها لعنف غير مقبول، وبعضها الآخر يبث شحنات من الرعب ترهب نفوس الكبار فضلا عن الأطفال، مما يولد لديهم عقدا نفسية، وبعضها الآخر يقدم ثقافة جنسية مشوهة لا تناسب مرحلة الطفولة.

هنا يُستدعى على وجه السرعة ضمير المترجم الذي ينبغي أن يدقق كثيرا قبل أن يحدد لنا ولأولادنا: ماذا نترجم؟!

ثالثا: كيف نترجم أدب الطفل؟

لا شك أن الحديث عن سؤال الكيف فيما يتعلق بعملية إبداعية بالغة الحرفية والمهنية كالترجمة حديث متشعب يكتنفه كثير من الصعاب، فهو حديث عن آلية الترجمة المستخدمة أو آلياتها المختلفة التي تتم المناوبة بينها وفقا لمتطلبات النص والسياق، وهو حديث عن منهجية واضحة للمترجم في التعامل مع بعض الإشكالات المتعددة مثل: طريقة ترجمة الأعلام، ونقل الأمثال ذات المرجعيات الثقافية الخاصة، والتعامل مع بعض الأفكار التي لا تتفق مع سياق التلقي في ثقافتنا العربية وكيفية استعاضته عن

هذه الأفكار. وهو أخيرا حديث عن مستوى اللغة المستخدمة في عملية الترجمة (فصحى كانت أو عامية).

ولأن لي اهتماما خاصا وشخصيا بقضية الفصحى والعامية فقد آثرت أن أشير سريعا وبإيجاز إلى هذه القضية بوصفها أحد الإشكالات المتعلقة بالجواب عن السؤال:«كيف نترجم أدب الطفل؟».

غواية العامية والاختيار الأسهل:

لا شك أن للعامية غوايتها، فهي لهجة الحديث اليومي المتداول، التي تفرض سطوتها على عقل المترجم؛ بحكم ما تحتله من مكانة على عرش ملكاته اللغوية، التي تكون قد شكَّلت عبر سِنِي عمر المترجم حصيلةً ثرية من المفردات والتراكيب والتصورات والأمثال، وسائر أبنية اللغة وذخيرتها. وهو أمر –لا شك– يغري المترجم بالركون إلى الأسهل، إلى ما تسعفه به أدواته، ولسان حاله يقول:«لماذا أتكلف العناء، وفي يدي الكِفاء».

إنها إذاً عملية إغراء وغواية يقع في شَرَكها بعض المترجمين، وهذه الغواية تمثل أحد تحديات الترجمة، السقوط فيها يُعدُّ عيبا ثقافيًّا وأخلاقيا في حق رجل اختار أن يحمل أمانة تقديم عمل فني مميز للطفل العربي؛ يقوم على تبصير الطفل العربي وبناء شخصيته معرفيا وأخلاقيا وتربويا.

إننا على قناعة تامة بقدرة اللغة الفصحى على التعبير والوصول، والتأثير على جمهور القراء والمتعاطين للثقافة على اختلاف أعمارهم وجنسياتهم على امتداد الوطن العربي؛ بل نذهب إلى ما هو أبعد من ذلك فنذهب إلى تبني ما أبرزته مناقشات تقرير لجنة العامية والفصحى الذي عُرض على مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته (١٤)؛ والتي «أبرزت ضعف العامية بالقياس إلى الفصحى»[٢].

هذا على المستوى التنظيري والأكاديمي، فما الحال مع الواقع التطبيقي لعمليات الترجمة؟!

سنقف هنا بالنظر أمام أحد ألوان ترجمة أدب الطفل الأكثر بروزا وتأثيرا في عصر (الستالايت) والمرئيات، من خلال تتبع بعض مظاهر الترجمات لأفلام الكارتون. فيما يسمى بـ«الدبلجة»، التي يراوح القائمون بها بين الفصحى والعامية.

وللأمانة هنا ينبغي الإشارة إلى أن أحد مغريات الدبلجة بالعامية هو السهولة مضافا إليها حسن الأثر على المتلقي الذي يألف هذا المستوى العامي من الأداء اللغوي، ولكن من

الأمانة أيضا أن ننتبه إلى ما نغفل نحن الكبار عنه، أو ما نظنه خطأ من صعوبة المستوى الفصيح من اللغة، وتدني أثره على وعي الطفل الصغير، والحقيقة والواقع يثبتان عكس ذلك تماما، فتلقي الأطفال للأعمال المدبلجة بالفصحى لا يستشعر منهم أي استهجان أو استغراب، بل على العكس – وهذا أثر محمود- يحدث بينهم وبين ما يستمعون إليه قدر كبير من التماهي، ينطبع أثره على ملكتهم اللغوية؛ ليفاجئوا الكبار في كثير من الأحيان بعبارات وتراكيب فصيحة رائقة تصل مع الكبار إلى حد الإبهار، وهو ما يؤكد خطورة أثر تحديد مستوى اللغة المستخدمة في ترجمة أدب الطفل عامة، وأفلام الكارتون خاصة، في تشكيل هوية الطفل، وملكاته اللغوية، التي هي –ولا شك- جزء أصيل في بناء هويته وشخصيته.

ولعلنا جميعا نعلم أن جهودا ودعوات منظمة ومتواترة ظهرت في القرن العشرين، في بعض البلاد العربية، لتبني اللهجات العامية لغة للثقافة والتعليم، بحجة انتشارها بين الجماهير ويسرها على المتعلمين، وهي

دعوات جلية الخطر؛ إذ تتعدد الأخطار من شيوع اللهجات العامية في الوطن العربي، وتلتقي فيها الجوانب التربوية والثقافية بالجوانب الاجتماعية والسياسية، وقد عدد السيد عبد العزيز البسام بعضا من هذه المخاطر، ولعل من أهمها –حسب قوله-«أن اقتصار الجماهير على العامية وعجزهم عن فهم الفصيحة وعن استساغتها –فضلا عما فيه من حرمانهم من الغذاء الفكري الناشئ في حاضرهم- يعني عزلهم إلى حد بعيد عن المصادر الأولى لعقيدتهم كما تمثل في القرآن الكريم وفي الأحاديث النبوية الشريفة وعن التراث الفكري لأمتهم في ماضيها الزاهر ... ويترتب عليه انقطاعهم عن جذور ثقافتهم وأصالتها»[٣]، ولعل ذلك ما يتعارض كلية مع فكرة«الهوية الثقافية الواضحة» التي ينبغي على الأديب التماس السبل إلى غرسها وتعزيزها في وعي الناشئة ما استطاع إليها سبيلا.

وفي مجال أدب الطفل خاصة تتعاظم أهمية توظيف الفصحى؛ التي تعد –في هذا الإطار- واحدة من أهم أهداف أدب الطفل؛ حيث يذهب أحد الباحثين إلى أنه «يجب على أدب الأطفال أن يغني الأطفال بثروة لغوية، وأن يكتب بلغة عربية فصحى سهلة، حيث إن أغلى وأثمن ما يمكن أن يتحصل عليه الأطفال في سنوات عمرهم، هو لغتهم القومية»[٤].

إنني أرى الآن أن الفرصة أمامنا لما تزل سانحة مواتية

لتطويع العامية لروح الفصحى، فلا تزال عاميتنا في معظم البلاد العربية عامة، وفي مصر خاصة شديدة الصلة والقرب من الفصحى .. ألفاظا، وأبنية، وتراكيب. ودورنا والحال هذه أن نبدأ بروح متأنية، وفي تؤدة حليم متصبر في رد المحرف من العامية إلى أصوله الفصيحة، وإحلال الفصيح السهل مكان العامي الغريب تماما عن الفصحى، ولنبدأ في إحلال الفصحى بما يسميه بعضنا بـ(الفصحى البسيطة أو العامية المفصحة)؛ وصولا –عبر مناهج منظمة ومدروسة– إلى إعادة الفصحى بجماع كيانها اللفظي والدلالي إلى عقولنا وقلوبنا؛ بها نتكلم ونتواصل، وعنها نفهم فتتشكل معارفنا ■

الهوامش:

(١) انظر: ألفت محمد عبد الكريم، الطفل العربي .. ومشكلة ترجمة الكتب، على الشبكة العنكبوتية، موقع الضياء للدراسات المعاصرة:
HYPERLINK «http://www.aldhiaa.com/arabic/woman/tefl/www.aldhiaa.com/arabic/woman/tefl٤i٠ok١vx.htm» http://www.aldhiaa.com/arabic/woman/tefl/www.aldhiaa.com/arabic/woman/tefl٤i٠ok١vx.htm

- عبد العزيز البسام، العربية الفصحى لغة التعليم في الوطن العربي، ضمن بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بعنوان (اللغة العربية والوعي القومي)، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٨٦م، ص٦٢.
- عبد العزيز البسام، العربية الفصحى لغة التعليم في الوطن العربي، ص٦٣.
- إسماعيل عبد الفتاح، أدب الأطفال في العالم المعاصر رؤية نقدية تحليلية، مكتبة الدار العربية للكتاب، الطبعة الأولى: رمضان ١٤٢٠هـ– يناير ٢٠٠م، رقم إيداع: ١٠٦٢٦ / ١٩٩٩، ص٣٣.

سبحان ربي في علاه

فوزي سالم الأسيوطي –مصر

الكون سبح للإلهْ
سبحان ربي في علاهْ
خلق الحياة بأسرها
وأفاض في الدنيا سناهْ
والخير تمنحه يداهْ
سبحان ربي في علاهْ
وسماء ربي فوقنا
سقف علا هذي الدنا
فيها الدلائل للهدى
فيها الفضائل والندى
والحسن يبلغ منتهاهْ
سبحان ربي في علاهْ
انظر إلى شمس الضحى
الكون منها قد صحا
والبدر بالحسن اكتسى
في الليل أمسى مؤنسا
والنجم يُهْدى للسعاةْ
سبحان ربي في علاهْ
والأرض مهد للورى
وعلى جوانبها الذرا
شمَّ الجبال ألا ترى
والماء فيها قد جرى
كالروح في جسم الحياةْ
سبحان ربي في علاهْ
يا أيها الإنسان تب
وخض الحياة بكل حب
وإذا ابتليت بأي كرب
فارفع يديك لعون رب
يهب النعيم لمن دعاهْ
سبحان ربي في علاهْ

انتظار..!

محمود حسين عيسى - مصر

استيقظ محمد من غفوة قصيرة أخذته على صوت أذان الفجر.. فهو لم يخلد إلى النوم منذ صباح الأمس.. وكيف ينام وهو في صراع مع الوقت لإنجاز مهام نظافة الشقة الصغيرة التي جمعته بزوجته هدى.. وعاش فيها أجمل ثمانية أشهر في حياته.. منذ أن استقدم زوجته إلى البلد الأوروبي الذي هاجر إليه بحثاً عن رزق واسع يوفر له حياة كريمة عند العودة إلى أحضان وطنه؟!..

قادته ذاكرته إلى أحداث أيام أليمة مرت به في سنوات غربته الأولى.. لكن سرعان ما حمد الله على إعانته وحفظه له؛ من شياطين الإنس والجن الذين التفوا ناصبين شباكهم العنكبوتية حوله..

قال في نفسه مشجعاً ممنياً: أريد همة أكثر.. فات الكثير ولم يبق إلا القليل.. هناك أعمال لابد من إنجازها حتى تأتي هدى وترى البيت كما تركته أنيقاً منظماً نظيفاً..!

انتبه إلى صوت نبضات عالية آتية من صدره.. ابتسم قائلاً لقلبه بعد أن وضع يده عليه: اهدأ، كلها ساعات وتلتقي نصفك الآخر.. لا.. بل تلتقي نفسك.. فقد شاركها فيه طفلتنا الوليدة.. التي غادرتنا لتلدها بين أهلها.. وها هي ذي ستعود حاملة إياها لينيرا ظلام أيامنا ولياليا التي قضيناها وهما بعيدتان عنا..!

لم يهدأ قلبه.. بل ازدادت ضرباته حتى خشي من توقفه.. تحسسه برفق.. وراح يأخذ شهيقاً طويلاً بطيئاً من هواء عليل أتى لتوه من نافذة حجرة مطلة على حديقة عامة غنَّاء.. محاولاً مساعدة قلبه على العودة إلى طبيعته.. ولكن محاولته باءت بالفشل..!

- سأل قلبه في عجب: لِمَ هذا التوتر؟!

لم يجبه..! وبقي على حاله..!

- نظر إليه مستعطفاً.. قائلاً: أرجوك اهدأ.. لم أعد أحتمل سرعة وقوة نبضاتك.. ستقضي عليّ..!

لم يجبه..! ولكنه بدأ يخفف من سرعة وشدة ضرباته خوفاً على صاحبه..!

- ابتسم محمد مداعباً قلبه: ألهذا الحد أنت مشتاق إليهما..؟!

أخذت الدموع تنسل من عينيه..!

- قال محمد: إنها دموع الفرح..

قال قلبه بصوت متهدج والدموع تنهمر من عينيه: أخشى عليها..! لقد حذرك الأطباء من حملها.. وأنه سيمثل خطورة على حياتها..!

- محمد مندهشاً من قوله: أنا لم أجبرها على الحمل.. بل كما تعلم نصحتها كثيراً أن تؤجله.. فالعمر مازال أمامنا إن شاء الله.. ولكنها أصرت..!

قال قلبه غاضباً ثائراً:كان يمكنك منعها.. ولكن رغبتك وحبك للأبوة كانا أقوى.. وهي لمست فيك ذلك..!

- محمد: هذا حديث لا فائدة منه.. فهي ولدت والحمد لله.. وكنا نتابعها لحظة بلحظة.. وسوف نستقبلها في المطار بعد ساعات قليلة هي وابنتنا..!

* * *

انطلق محمد ليكمل ما تبقى من أعمال المنزل.. مختلساً نظرات متتابعة إلى ساعة الحائط.. قائلاً في حنق: الوقت يمر بطيئاً..! مازال هناك أربع ساعات على موعد وصول الطائرة..

* * *

نغمة الهاتف المحمول تشق السكون المخيم على البيت.. انتبه إنها النغمة التي خصصها لزوجته.. اندفع كالسهم المنطلق من قوسه نحو الهاتف.. سيسمع صوت حبيبته..

قال لقلبه: حبيبتك ستطمئنك بنفسها..!

لم يجبه.. ولم يحرك ساكناً.. كأنه أغشي عليه..!

محمد: السلام عليكم.. أهلاً يا حبيبتي..!

صوت شقيق هدى المخنوق بالبكاء: (...) احتسبها عند الله..!

دارت الأرض وتفلتت من تحت أقدام محمد (...)

* * *

يحتضن طفلته الرضيع وهو يستمع باكياً لما حدث لزوجته وحبيبته من شقيقها: ودعتها في المطار ولم ألحظ على وجهها إلا فرحة قرب لقائها بك.. فلم يخلُ حديث بيننا يأتي فيه ذكرك إلا أثنت عليك.. وعددت مناقبك، وشهدت بحسن أخلاقك، وطيب عشرتك..!

يرتفع صوت نحيب محمد.. ويستطرد شقيق هدى: وما إن خرجت من المطار حتى رنَّ الهاتف.. ورأيت اسمها.. وظننت أنها نسيت شيئاً مهماً.. وكانت المفاجأة أن أسمع صوتاً غريباً.. سألني: من أنت؟

قلت في عجب: بل من أنت؟! هذا هاتف شقيقتي.. كيف وصل إلى يدك؟!

قال محدثي: أنا ضابط بالمطار.. وأريدك أن تأتي فوراً لأمر مهم؟

قلت مستفسراً: ما هو؟

قال: شقيقتك أصابها بعض التعب.. وقد أمر طبيب الحجر الصحي بضرورة نقلها إلى المستشفى حالاً.. وأريدك أن تأتي لتستلم رضيعتها..

وأردف شقيق هدى وهو يمسح دموعاً فرت من عينيه: لم أكن أتصور أبداً أنها قد فارقت

الحياة.. وكانت صدمتي كبيرة عندما رأيتها مسجاة لا حراك فيها في غرفة طبيب الحجر الصحي.. والطبيب يقول لي: «إنا لله وإنا إليه راجعون.. اصبر واحتسب»!

أصابني الذهول.. فتوقف عقلي.. ولم أعد أدري ماذا أفعل؟ وأخذت أردد: إنا لله وإنا إليه راجعون.. وأفقت على بكاء الابنة.. فاندفعت نحوها لآخذها من بين يدي ممرضة الحجر الصحي.. وسألت الطبيب: ماذا حدث لهدى؟ ما سبب الوفاة؟

قال: استدعاني ضابط صالة المغادرة.. وقصَّ عليَّ: أنه سمع بكاءً شديداً ومتواصلاً من الطفلة التي تحتضنها أمها الجالسة انتظاراً للصعود إلى الطائرة.. وأثار انتباهي أن الأم لا تتحرك رغم نداءات المضيفة الداخلية على رحلة الطائرة.. ورغم خلو الصالة من المسافرين المغادرين.. فاتجهت نحوها لأستطلع الأمر.. ووقفت أمامها.. وناديت عليها فلم تستجب لندائي.. فاتصلت فوراً بك..

واصل الطبيب قائلاً: وعندما فحصتها تأكدت من مفارقتها الحياة وهي تحتضن وليدتها بين يديها.. وعند إعادة الفحص في العيادة تبين لي أنها تعرضت لهبوط حاد مفاجئ في الدورة الدموية أدى لوفاتها..

❊ ❊ ❊

أخذ محمد يهدهد طفلته (هدى) وهو ينظر إلى وجهها الجميل الذي يشبه وجه أمها.. وتذكر تصميمه يوم ولادتها وهو يحدث زوجته عبر الهاتف بأن تسمي ابنتهما باسمها..!■

فرح كامل

مصطفى أحمد النجار- سورية

لغة يبتلُّ بها كبدي
ويفيض بأحرفها ولدي
أمي.. أفراحي اكتملت
في فرحة أطفال البلد
فوجوه تسكب نضرتها
وتضيء مواسمها بغدي

❊ ❊ ❊

هل يزهر من مطرٍ قمح
إن غابت يوما فرحتهم؟
فرغيف الخبز أقسّمه
إن كان قليلا.. يُسعدهم!
هل أفرح وحدي يا أمي
لا فرحة لي إلا معهم

❊ ❊ ❊

هل حقا.. هل نحن السعدا؟
لسنا سعداء بمفردنا؟
لا نهنأ إلا إن ضحكت..
في وجه الناس مودتُنا
لا يضحك بيدرهم أبدا
إن كان بخيلا بيدرُنا؟!

❊ ❊ ❊

ففرحت كما فرحت أرض
بصغيري، يزرعها وردا
يا ربّ فحسبي ما نبتت
كرما وربيعا ممتدا
مُزْناً يبتلّ بها كبدي
من كوثرها وطني يندى!!

فاكهة الشتاء.. وشتاء العمر

كنت في زيارة لأحد أصدقائي في أطراف مدينة الرياض، وكان الوقت مساء، والجو يميل إلى البرودة، فأشعل صديقي الحطب في الموقد، وارتفعت ألسنة اللهب، وهنا عادت بي الذاكرة إلى الوراء يوم كنا أطفالاً، وكان الموقد الوسيلة الوحيدة للتدفئة في فصل الشتاء.

فيصل محمد الحجي- سورية

هبت وفي أحداقها نزق ... وفؤادها يغلي ويحترق
هبت تعانق كل ما لمست ... أطرافها والجو يأتلق
هبت تغازلني على ثقة ... أني بصدق ودادها أثق
أوما درت أني أنست بها ... وحنا علي دخانها العبق
ودنوت لا أخشى اللهيب وبي الـ ... أشواق كالبركان تنطلق
وتطايرت من حضن ذاكرتي ... صور تلوح كأنها شفق
صور الطفولة يا لروعتها ... والحب في الأنحاء يندفق
في كل فصل ننتشي فرحاً ... ونجيد ألعابا ونستبق
حتى إذا فصل الشتاء غزا ... كل الربا وتلبد الأفق
ألفيت سوط البرد يلسعنا ... وكأنه يفري ويخترق
فنفر مذعورين وجهتنا ... باب بوجه الريح ينصفق
ونلوذ حيث النار قد رقصت ... جذلى وحيث الدفء والعرق
في موقد يحظى بزحمتنا ... وضجيجنا ينتابه الحنق
كل يريد (الركن) منفرداً ... ويفوز بالركنين من سبقوا
ولكم سهرنا والشتاء له ... ليل به يحلو لنا الأرق
لتقص جدتنا حكايتها ... فتلفها الآذان والحدق
وتجود بالحلواء (صرتها) ... والخير قد يأتي به الطبق
ونبيت والأحلام تودعنا الـ ... ـفردوس لا همٌّ ولا قلق
حتى إذا جاء الربيع فقد ... جاء الجمال الوارف الغدق
مثل العصافير انتفاضتنا ... ومجالنا الساحات والطرق
ونسيح في المرج الفسيح وقد ... حفت بنا الأزهار والحبق
واليوم ويح اليوم كيف غدا ... كسفينة ينتابها الغرق
نأت الطفولة والشباب فلا ... حسن يزينني ولا أنق
ولبست من نسج المشيب فما ... لي منه إلا ثوبه الخلق
ولمحت أطفالي فأطربني ... تغريدهم والسرب منطلق
فنسيت أحزاني وسرت على ... آثارهم ليضمني النسق
تلك الحياة تريك حكمتها ... فعزاء من سبقوا بمن لحقوا
إن غاض نور البشر من فنن ... فمن البراعم سوف ينبثق

في صفة النبي ﷺ (*)

حديث هند بن أبي هالة

حدثنا علي بن عبد العزيز، حدثنا أبو غسان مالك بن إسماعيل النهدي، حدثنا جميع بن عمر العجلي، قال: حدثني رجل بمكة، عن ابن أبي هالة التميمي، عن الحسن بن علي بن أبي طالب، قال: سألت خالي هند بن أبي هالة وكان وصافا عن حلية النبي ﷺ، وأنا أشتهي أن يصف لي منها شيئا أتعلق به. فقال:

(كان رسول الله ﷺ فخما مفخما، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربوع، وأقصر من المشذب، عظيم الهامة، رجل الشعر، إن انفرقت عقيصته فرق، وإلا فلا، يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفره، أزهر اللون، واسع الجبين، أزج الحواجب سوابغ في غير قرن، بينهما عرق يدره الغضب، أقنى العرنين، له نور يعلوه، يحسبه من لم يتأمله أشم، كث اللحية، سهل الخدين، ضليع الفم، أشنب، مفلج الأسنان، دقيق المسربة، كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة، معتدل الخلق، بادن متماسك، سواء البطن والصدر، عريض الصدر، بعيد ما بين المنكبين، ضخم الكراديس، أنور المتجرد، موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط، عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر، طويل الزندين، رحب الراحة، سبط القصب، شثن الكفين والقدمين، سائل الأطراف، خمصان الأخمصين، مسيح القدمين ينبو عنهما الماء، إذا زال زال قلعا، يخطو تكفيا، ويمشي هونا، ذريع المشية، إذا مشى كأنما ينحط من صبب، وإذا التفت التفت جميعا، خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جل نظره الملاحظة، يسبق أصحابه، يبدر من لقيه بالسلام.)

قلت: صف لي منطقه، قال: (كان رسول الله متواصل الأحزان، دائم الفكرة، ليست له راحة، لا يتكلم في غير حاجة، طويل السكت، يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه، ويتكلم بجوامع الكلم، كلامه فصل، لا فضول ولا تقصير، دمث، ليس بالجافي ولا المهين، يعظم النعمة وإن دقت، لا يذم منها شيئا، لا يذم ذواقا ولا يمدحه، ولا تغضبه الدنيا ولا ما كان لها، فإذا تعوطي الحق لم يعرفه أحد، ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له، لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها، إذا أشار أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها، وإذا تحدث اتصل بها فيضرب بباطن راحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى، وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غض طرفه، جل ضحكه التبسم، ويفتر عن مثل حب الغمام.)

قال: فكتمتها الحسين زمانا، ثم حدثته، فوجدته قد سبقني إليه فسأله عما سألته عنه، ووجدته قد سأل أباه عن مدخله ومجلسه ومخرجه وشكله، فلم يدع منه شيئا ■

(*) الأحاديث الطوال، مسألة: الجزء الخامس والعشرون، حديث هند بن أبي هالة في صفة النبي ﷺ، رواه الطبراني في المعجم الكبير (ص: ٢٤٦- ٢٥٠)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير. من موقع المكتبة الإسلامية).

حديث ابن أبي هالة
النص من الناحية الأدبيَّة (*)

عبدالعزيز الرفاعي- السعودية

إن مجرد إلقاء نظرة عابرة على نص حديث «هند بن أبي هالة» رضي الله عنه، تدل على أن هذا الصحابي، كان يتمتع بالحاسة الأدبية، إلى جانب دقة ملاحظته، التي تتجلى في استيعابه الوصفي، وقدرته على استحضار هيئة رسول الله ﷺ.. وإفراغ أوصافه في قالب فني ممتع.

ولقد أدرك القدامى، مدى هذه الطاقة الوصفية لديه، فعبروا عنها بقولهم: إنه كان (وصافاً)، أي توفرت عنده الملكة الوصفية.

وبإجالة نظرة تأملية في الحديث، ندرك أن هذا الصحابي الأديب، لم يقف بأوصافه الدقيقة عند الملامح البارزة، التي يدركها الناظر عادةً من الوهلة الأولى.. كالطول والقصر، أو النحافة والسمن، أو اللون.. ولون الشعر.. بل أخذ يعدد الصفات.. صفة خلف الأخرى.. وكأنما هو حريص على أن يرسم صورةً كاملةً لهيئته ﷺ..

ولعل مبعث ذلك، حرصه على أن يوفر لابن أخته (أعني السيدة فاطمة بنت محمد). وهو الإمام الحسن بن علي – رضي الله عنهما – صورةً تفصيليةً لجده تغنيه عن أي وصف آخر.. كيف لا، وهو قد اشتهر بدقة الوصف وبراعته!؟

وفي سبيل ذلك يستطرد الوصف إلى جوانب وملامح، وصفات لا يتاح إدراكها للنظر العابر، بل وللناظر المتأمل، ما لم يكن ممعناً في تأمله، دقيقاً في ملاحظته.

فهو مثلاً يصف شعره.. فلا يكتفي بأن يبين أي نوع من الشعر.. ولكنه يذكر مداه.. ثم يفصل هذا المدى.. فهو إذا فرقه كان من الوفرة بحيث يصح فرقه.. وإلا فهو إلى شحمة الأذن.

وهو حين يصف الحواجب، يذكر أنها غير مقترنة.. ولا يكتفي بذلك، بل يصف ذلك العرق الذي يبرزه الغضب.. وهو هنا يستعمل لفظة (يدره) فيستعيره من در الضرع.

وترى جانبًا من دقته وبراعة وصفه، حينما ينعت أنفه ﷺ.. فهو يقول عنه: (أقنى) أي فيه انحناء.. ولكنه يستدرك بسرعة أن هذا الانحناء من الخفاء، بحيث لا يدركه إلا المتأمل.. وإلا فإن من لم يتأمله يحسبه أشم.. أي منتصب العرنين، وفي الحالتين تتهيأ صورة جمالية.. تتوفر عند المتأمل وعند غير المتأمل على سواء.. فهو أقنى من غير كبير انحناء، وهو أشم من غير مبالغة.

---

*(مجلة الداعي الشهرية الصادرة عن دارالعلوم ديوبند، بالهند محرم – صفر ١٤٣٢ هـ = ديسمبر ٢٠١٠م – يناير ٢٠١١م، العدد:١-٢، السنة: ٣٥، ص ١٦-١٨).

وهو يعطى صورًا وأوصافًا للرسول عليه الصلاة والسلام، لجوانب لا يتهيأ لغيره أن يراها فيصفها.. فلقد أتاحت له ظروف نشأته صغيرًا في حضن رسول الله ﷺ، أن يدرك من أوصاف بدنه الشريف مالا يدركه إلا الملتصق به من خاصة أهله وخدمه.. كهذه المسربة، أي الخيط من الشعر الممتد من النحر إلى السرة.. وأن بعض ما يظهر عند تجرده من بعض أثوابه، كان أكثر نورًا.. أو ابيضاضاً من بقية جسمه الشريف، الذي يتعرض للشمس أو المؤثرات الجوية.. وذلك كالصدر والبطن والذراعين والساقين.. غير متشح بكامل أثوابه التي يتجمل بها عند خروجه إلى الناس كافةً.. فهو يقول: إنه عاري الثديين والبطن من الشعر.. غير ذلك الخط.

* * *

ومن دقة وصفه.. ما نعت به قدمي الرسول ﷺ.. فهما (خمصان) وليس فيهما من عيب أو نفور عروق أو أعصاب، إذ هما من فوق مسيحان يسيل عنهما الماء عاجلاً.

ويصف إشارات الرسول ﷺ فيقول: إنه يشير بكفه كلها.. فإذا كان في حديثه ما يدعو إلى العجب قلبها. وإن إشاراته بكفه تتصل بحديثه وتواكبه. وإن من استعمالات إشارته بكفه، أنه كان ﷺ في بعض تلك الإشارات يضرب براحته اليمنى بطن إبهامه اليسرى.. وهذه أيضا من الأوصاف الدقيقة التي تدل على ملاحظة متفحصة قوية.. وعلى متابعة لحركات النبي ﷺ وعاداته.

* * *

ونقف - ولو يسيرًا- عند تشبيهاته البارعة، التي تدل على تلك الموهبة الأدبية البلاغية، التي أوتيها هند بن أبي هالة، رضي الله عنه.

فنجد من ذلك قوله: (يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر).

فإنه وإن كان وصف جمال الوجه بالقمر من الأوصاف المتداولة عبر الأزمان والعهود.. إلا أننا نجد صاحبنا يعطينا صورًا متتابعةً، تجعل هذه الصفة، ذات حركة معينة، تبعدها عن الوصف التقليدي.. فهو (تلألؤ القمر) فيقرن التلألؤ بالقمر.. ولا يكتفي بهذا الحد، فيزيد أن المقصود بالقمر هو ليلة البدر، الذي لا يعتوره فيها نقصان، ولا تحف به ظلال!.

ونجد مثل هذه اللمحة الفنية في قوله: (كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة).

فالصورة الفنية هنا مركبة متلاحقة.. فقد استعمل للرقبة اسمين متغايرين، أحدهما عنق، والآخر جيد. وربط الجيد بالدمية التي يبالغ صانعها في إبراز جمالها، وإتقان صنعها، ويحتاط لئلا تكون الدمية سوداء أو سمراء.. فيستدرك بسرعة، ليقول: إن ذلك العنق الشريف، كان أبيض صافيًا في صفاء الفضة.. ولا يخفى على المتأمل أن الفضة إذا كانت صافيةً، برزت بيضاء رائقةً رائعةً، يرتاح إليها النظر..!

وتسعف هذا الصحابي الأديب مثل هذه الاستدراكات الفنية البارعة، حينما يصف النبي ﷺ بقوله: (بادن) فيخشى أن يظن ظان، أن بدانته قد أدت إلى شيء من الترهل والتهدل، كما يحدث غالب الأحيان للبادنين، فيسرع ليقول: (متماسك) أي أنه لا يعتور بدانته ترهل، بل هو متماسك الجسم، ويمعن في دقة الصورة وضبطها فيقول: (سواء البطن والصدر) أي ليس له كرش متهدلة.. لأن صدره وبطنه على مستوى واحد.. وذلك من تمام جمال الأجسام.

* * *

وعندما يريد أن يصف ما قد يظهر من جسمه الشريف في بعض المناسبات بين أهله وخاصته كالذراعين أو الصدر، أو الساقين.. يستعمل كلمةً مرهفةً بالغة الدلالة فيقول: (أنور المتجرد) أي أن هذه الأجزاء.. المصونة عادةً عن التعرض للشمس والمؤثرات الجوية، هي أشد بياضاً من تلك التي تتعرض لهذه العوامل، ولكنه لا يقول: إنها أشد بياضاً.. ولكنه بحاسته الأدبية الدقيقة يقول: إنها أشد نورًا.. أكثر إضاءةً.. أو أكثر إشراقاً.. ومهما استعملنا من ألفاظ تظل كلمة: (أنور) هي الملائمة تماماً..

ولكي يقول: إن أطراف النبي ﷺ تأخذ شكلاً انسيابيًا، لا عيب فيها، ولا نتوء، ولا اعوجاج أو تغضن.. فإنه يدلنا على تلك الصورة الانسيابية بقوله: (سائل الأطراف).

وإذا انتقلنا إلى تصويراته عن صفة منطقه ﷺ نجده يقول: (يتكلم بجوامع الكلم).. فيصور لنا في هذه الجملة، على وجازتها قدرة النبي ﷺ على إيجاز المعاني الكثيرة المستفيضة في كلمات قلائل تضم أو تجمع تحتها شتات كلام كثير، وبذلك كانت كلماته جامعةً للكلام.

ولكن ليس معنى ذلك. أنه يفسح المجال للتأويل.. أو للتساؤل.. كلا..! فهو كلام فصل.. حاسم واضح الدلالة.. وهذا أحد استدراكات هذا الصحابي اللماح.

وبحسن إدراكه، لما لكلام النبي ﷺ من أهمية، تأتي بعد أهمية القرآن الكريم عند كافة المسلمين.. فإنه يتريث في الوصف.. فلا يقف عند قوله: (كلامه فصل) بل يمضي فيحدد.. كيف كان فصلاً؟ فيقول: (لا فضول ولا تقصير). لا زيادة عما يتطلبه السامع.. ولا نقصان عما يحتاج إليه هو، بحسبانه مشرعاً وهادياً ودليلا لأمته وللناس كافة.

ولا يكتفي ببيان الناحية البلاغية من كلام الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم، بل يقف ليشرح الناحية الخلقية في أسلوب كلامه.. فليس أسلوبًا جافيًا.. حتى لا ينفر من الدعوة كما أنه في الوقت نفسه، ليس أسلوبًا ضعيفًا أو خاضعًا أو ذليلاً، فإن الدعوة تحتاج إلى قوة في شخصية الداعي.. ولكنها القوة التي لا تصل إلى الجفاء ولا إلى الكبرياء: (ليس بالجافي ولا بالمهين).

ونجد ابن أبي هالة رضي الله عنه، في ختام هذا الحديث، يصف جمال أسنان الرسول ﷺ، فيستعمل صورةً شعريةً رائعةً.. فهو يصف انفراج شفتي الرسول ﷺ حين تبسمه بقوله: (يفتر) حتى يذكر بافترار الأزهار عن أكمامها.. ثم يقول: (عن حب الغمام) فهو لا يقول: (البرد) مباشرة بل يكني عنه، بكلمتين شاعريتين أيضا، هما (حب) و (الغمام).. ولكل من اللفظين جماله، وجوه الشاعري الرقيق..

إن هذا النص.. يعد نموذجاً جيدًا من نماذج النثر الفني في عهد صدر الإسلام، وهو دليل قائم على ما كان يتمتع به الصحابي الجليل: هند بن أبي هالة من موهبة أدبية.

يقول أبو عمر يوسف بن عبد البر في كتاب (الاستيعاب) في ترجمة هذا الصحابي: «وكان هند بن أبي هالة فصيحًا بليغًا وصافًا، وصف رسول الله ﷺ فأحسن وأتقن. وقد شرح أبو عبيدة وابن قتيبة وصفه ذلك، لما فيه من الفصاحة وفوائد اللغة»[1] ■

(١) الاستيعاب ١٥٤٥/٤ الترجمة رقم ٢٦٩٩، والمقصود بأبي عبيدة: القاسم بن سلام، وهو صاحب (الغريب) المصنف في شرح غريب الحديث، وكذلك لابن قتيبة كتاب (الغريب)، وقد شرحا ألفاظ حديث ابن أبي هالة، ونقل عنهما الكثيرون.

الحب.. أشكال وألوان

للأديب الباكستاني سيد جاويد أختر

ترجمة: د. سمير عبد الحميد - اليابان

كان هذا هو اليوم الثالث على اعتزال «رمضان الأهطل» لأهل بيته، كان قد جاء منذ مساء أمس ليقيم في غرفة «الخزين» المبنية في «الجرن» البعيد عن ساحة البيت، حتى لا يتشاجر مع أهل بيته مرة تلو الأخرى.

ومنذ أن مرضت «خليلته»، ثم انتقلت إلى عالم الآخرة، وولداه قد نسيا تماما فرض طاعته، وصارا في غاية الوقاحة بل ركبا دماغهما، وصارا عنيدين، والأدهى والأمرّ من هذا أن زوجته بنت الواحدة والعشرين سنة، زينب التي تقضي معه حياة زوجية طيبة، صارت متواطئة مع ولديها، وبدأت تعارضه أيضا، وتتكلم عنه، وقد اتفق الجميع على أن صدمة موت «خليلته» أصابته بالخبل أو الجنون.

هذه «الخليلة» التي هي أحب إلى رمضان الأهطل، وأعز عليه من روحه هي «الجاموسة» التي شاع أمر حب رمضان لها في جميع أنحاء القرية، بل في نواحي المركز أيضا، وكان حكماء القرية يقولون: إن هذه حادثة فريدة تعبر عن حب الحيوان للإنسان، فقد سمعوا عن حكايات ارتباط الخيل والكلاب والقرود والفيلة الشديد بإنسان ما، لكنهم لم يشاهدوا مثل هذا الحب الشديد الذي ربط بين رمضان و«خليلته»، وكان الشيخ سرداز إمام مسجد القرية يظن أنه نظرا لتشابه الألوان بين رمضان الأهطل صاحب الوجه الأبيض المحروق، والجاموسة ذات اللون الأحمر المائل إلى السواد، فقد أحب كل منهما الآخر.

كانت «خليلة» رمضان الأهطل منذ مولدها حمراء حمرة يشوبها السواد، ولم يكن هذا بالأمر المستغرب، ، فبعد مولد عشر أو خمس عشرة جاموسة سوداء، قد تولد جاموسة حمراء اللون، وإن كان لونها يشوبه السواد، ولم يكن الأمر كما قال الشيخ سردار إمام المسجد، فرمضان الأهطل في طفولته، ونظرا لأشعة الشمس المحرقة، تأثرت يداه وقدماه وجزء من رقبته بحرقة الشمس التي تركت أثرها الطبيعي عليه، فتحول جسمه من اللون القمحي -بقدرة قادر- إلى اللون الوردي، مما جعل شكله يبدو عجيبا لمن ينظر إليه، بل جعلت هيئته تلك، الناس يضيفون على اسمه منذ طفولته صفة الأهطل..

في البداية كان يتأذى كثيرا ويغضب، إذا ما أضاف شخص ما هذه الصفة على اسمه، لكنه بالتدريج سلم بهذه الحقيقة، ولم يعد يتضايق إذا ما ناداه أحد باسم رمضان الأهطل، كان الناس في البداية يذكرونه بهذا الاسم خفية من وراء ظهره، لكنهم الآن يقولونه في وجهه، حتى زوجته زينب كانت تناديه بهذا الاسم بشكل طبيعي جدا ودون أي حرج.

كان رمضان الأهطل طيب القلب، محبا للخير، لا يتمنى الشر لأحد، يداوم على الصلاة، وكان تقيا ورعا، يسعى إلى مصالحة الآخرين، يشاطر الجميع أحزانهم وأفراحهم، وهو معهم في السراء والضراء، ومع هذا لم يكن صاحب حظ أو نصيب طيب، هكذا شاءت الأقدار أن تموت أمه بعد أن أنجبته وحيدا، بعد زواجها بسنوات، وحين بلغ العاشرة من عمره، كان قد انتقل إلى الصف الخامس في مدرسة القرية، وشاء القدر مرة أخرى أن يحرمه من أبيه الذي مات متأثرا بلدغة ثعبان سام، حين كان يروي الحقل في الليل، وقبل أن ينسى الحزن على وفاة والده، شب حريق في بيت عمه، حيث كان قد انتقل ليقيم هناك، ونجا من الموت بأعجوبة، وقد ظهر فيما بعد أن العم كان يطمع في القراريط الثلاثة التي تركها أخوه لابنه، ولهذا دبر مؤامرة الحريق ليقضي على ابن أخيه ويستولي على القراريط الثلاثة، وكان شيخ البلد رجلا صالحا تقيا وورعا، فاحتضن رمضان، وتولى علاجه من الحروق التي أصابته، ثم أسكنه في بيته.

كانت الجاموسة «خليلة» رمضان في الأصل ملكا لشيخ البلد، وكان رمضان يسرح بها مع بقية المواشي، يرعى العشب هنا وهناك في نواحي القرية، لكن كيف بدأت الصداقة بين هذه «الخليلة» وبين رمضان الأهطل؟! لقد قيلت حكايات وقصص كثيرة على ألسنة كثير من الناس عن هذه البداية..

ولا تزال الحكايات تروى عن هذا الأمر حتى يومنا هذا، ويحكى أنه منذ حوالي عشرين سنة في عز الصيف، وفي وقت الظهر، بينما كانت الأبقار والجاموس

ترعى العشب على شاطئ نهر «ششماهي»، اشتدت الحرارة لدرجة أن الناس غرقوا في العرق الذي كان يتصبب من أجسامهم.. فجأة جاء على خاطره أن يستحم، وأعجبته الفكرة أيما إعجاب، فقد كان الماء بموجه الهادئ الذي يربت على الشاطئ يدعوه للاستحمام.. لكنه لا يعرف العوم، ومع هذا فكر في أن يجلس على الشاطئ، ويبرد جسمه ببعض الماء..

لم يكن حوله أحد، ولا «نفاخ نار»، وهكذا فك حزام سرواله، خلع قميصه، وخلع السروال، ثم جعل من عمامته رداء التف به، وزحف على الحشائش الخضراء إلى أن وصل إلى حد الماء، وأخذ يغرف الماء، يرش به جسمه، وشعر بسرور عجيب، وهكذا ظل لفترة طويلة يلعب في الماء، يحاول أن يتخلص من حرارة الشمس المحرقة.

فجأة! انزلقت قدماه من فوق الحشائش المبتلة، ووجد نفسه في لمحة واحدة يسقط في النهر، ثم ماذا حدث؟ لقد أخطأ خطأ كبيرا، حاول أن يضرب بيديه ورجليه هنا وهناك في محاولة للإمساك بالحشائش، لكن دون فائدة! فقد جرفته سرعة الماء فورا إلى عرض النهر، حيث الماء العميق، وبدأ الماء يدخل حلقه، وحين رأى أنه يواجه الموت لا محالة أخذ يصيح ويصرخ: «النجدة! النجدة!» لكن من أين له من يأتي لإنقاذه؟!.. لم يكن هناك من أحد على الإطلاق.

لا يزال يذكر حتى اليوم منظر ماء النهر القريب من القاع، في عز الظهر، وفي فصل الصيف، كانت هناك دقائق تفصل بين حياته وموته، دقائق معدودة، وهي الدقائق التي كان يتمكن فيها من إخراج رأسه من تحت الماء، في محاولة منه لإنقاذ نفسه، وبينما هو كذلك شاهد بعينين عليها سحابة كثيفة ما يشبه «خليلته» الجاموسة تقفز في النهر، ظل للحظات مثله مثل علبة لا حول لها ولا قوة تتحرك هنا وهناك مع موج ماء النهر، وفجأة وجد نفسه يصطدم بشيء ضخم، شعر كأنه بجوار حيوان ما، لا بد أنها «خليلته» التي قفزت في الماء منذ لحظات، قامت الجاموسة بحركة لا يعلم إلا الله كيف قامت بها، فقد وضعته على رقبتها، وأخرجته من قاع النهر إلى سطح الماء، وأخذت تسبح، بينما هو يمسك بشدة بقرنيها، حتى وصلت به إلى الشاطئ.

حين وصل إلى الشاطئ قفز من فوره، واستلقى على الحشائش وهو يضغط على بطنه حتى يخرج ما بداخله من ماء، وخرج الماء من بطنه على عدة دفعات، كما يخرج الماء من فوهة «مضخة» ماء، ثم جلس على ركبتيه في محاولة منه لاسترداد عافيته، بينما «خليلته»

بجواره تهز رقبتها فوق وتحت في قلق عليه شديد، وقطرات الماء تنساب من فوق جسمها.

كل هذا بينما كانت هناك تسع جاموسات سوداء، مع ثلاث من ولدانها، وعدد من البقرات ترعى على بعد مسافة قصيرة منه، لا يبدو عليها أي تأثر أو اهتمام بما حدث، لم يفكر في إنقاذه سوى خليلته تلك، التي لم يزد عمرها على سنتين أو سنتين ونصف، فهي لم تكد تشب وتصبح جاموسة بالغة عرفت معنى عواطف المحبة والتضحية، فكيف جازفت بنفسها لتنقذ إنسانا من فك الموت؟ كيف تولدت بداخلها هذه العاطفة؟... لم يستطع أن يفهم ما حدث؟ ولم يتمكن من أن يجد تفسيرا له..

تنهد تنهيدة طويلة.. تنهيدة الحياة.. ثم وجد نفسه يحتضن رقبة خليلته الجاموسة، ويقبلها بجنون، ثم أخذ يحك رأسه في رقبتها، ويربت عليها براحتيه في سرور ومحبة.

في ذلك اليوم رجع بالمواشي من المرعى مبكرا، فتحير شيخ البلد من هذا الأمر كثيرا، وتحير أكثر حين سمع القصة، وقرر أن يهديه هذه الجاموسة فرحا بنجاته من الغرق.

أخذ رمضان الأهطل نفسا عميقا وهو يقول في نفسه:

يا له من إنسان طيب شيخ البلد هذا!!

ثم وضع خرطوم النارجيلة في فمه وسحب نفسا من بعد آخر، بينما صوت «الكركة» ينبعث في تناغم عجيب، ثم تذكر أن شيخ البلد هذا هو الذي زوجه من زينب، وهو الذي رتب أمر زفافه، وحفل عرسه، فلم يكن يمتلك شيئا، وكما يقولون:

لا وراءه، ولا قدامه..

ثم انقطعت العلاقة بينهما، لأن شيخ البلد تمكن من رفع قضية في المحكمة، وأعاد لرمضان الأهطل قراريطه الثلاثة التي ورثها عن أبيه، وفي السنة الأولى التي حملت فيها «خليلته» أول حملها، توفي شيخ البلد، بعد أن تعرض لحادثة أثناء عودته من لاهور.. احتواه الحزن والغم آنذاك.. كانت فجيعة ما بعدها فجيعة.. وهكذا وفي شتاء نفس العام، وبناء على إصرار زينب، انتقل رمضان الأهطل إلى حيث يعيش أهل زوجته.

باع أرضه، ثم اشترى أرضا جديدة، ثم أسس هذا «الدوار» الفسيح، وهنا رزقه الله بولدين مطيعين، مخلصين، في السنة الماضية تزوج ولده رشيد بزوجة سمحة الوجه، هشاشة بشاشة، تقوم على خدمته خير قيام، وهكذا مرت عليه إحدى وعشرون سنة، كانت كلها سعادة وهناء، وطمأنينة ورخاء، حتى مرضت «خليلته» فجأة وماتت، ومن وقتها كأن عين سوء أصابت أسرته وبيته..

وبينما كان يضغط على خرطوم النارجيلة وهو يسحب نفسا من بعد نفس، والدخان يتصاعد أمامه، وهو غارق بطريقة لا شعورية في ذكريات الماضي، إذا به يسمع صوت أسلم ولده الأصغر:

أبي! «كرسي» الدخان ليس فيه نار، وأنت تسحب الأنفاس هكذا دون دخان!

أخذ الابن كوب الشاي، أمسكه بيده.. ووقف عند الباب وهو يبتسم، ثم خطا خطوة للأمام وقال لأبيه:

خذ! اشرب الشاي.. سوف أقوم بتغيير كرسي الدخان وأضع عليه الفحم..

لا.. يا طيب..لا ضرورة لذلك.

هكذا خاطب رمضان الأهطل ولده أسلم، فكان يقول له دائما: يا طيب!

فقال له أسلم وهو يضغط على كلماته:

يبدو أنه لم يرجع إليك عقلك..

ثم أكمل حديثه قائلا:

أبي! حبك لخليلتك تلك أمر في محله.. خلاص! لكن يجب أن تساير الزمان، خذ! اشرب الشاي..

أمسك رمضان الأهطل بكوب الشاي، ثم أخذ يرتشف رشفة بعد رشفة بصوت مسموع، ثم توقف وقال فجأة:

أنت تعلمت حتى الثانوية، تعلمت أكثر مني، لهذا تعتبرني جاهلا وتهزأ مني!

فرد عليه أسلم بلهجة ممزوجة بالحنان:

لا يا أبي! ليس الأمر كذلك.. لكن عليك أن تفكر بنفسك، أليس كلامك هذا عجيبا؟ لو سمعه الناس لسخروا منك.. ثم انظر! نحن لم نذبح خليلتك الجاموسة بناء على أمرك، ودون ما سبب ماتت الجاموسة «فطيس»... و...

فاشتعل الأب غيظا وقاطع ولده قائلا:

لماذا تعيد وتزيد في قولك: ماتت «فطيس»!؟، إن الإنسان يموت موتة طبيعية بعد مرضه دون أن يذبحه أحد، فهل هذا يعني أنه مات «فطيسا».. أنتم أيها الناس! منطقكم عجيب.. يا أهبل! «خليلتي» هذه لم تكن حيوانا عاديا مثل بقية الحيوانات، لقد أحببتها مثل أمي تماما، أنت تعرف أنها قبل عشرين سنة أنقذت حياتي، ولو كنت غرقت في نهر «ششماهي» في ذلك اليوم، لما كنت ولدت أنت نفسك.. فمن أين كنت ستأتي؟!

صحيح كلامك يا أبي.. لكن في ديننا نحن نسمي على الحيوان ونكبر، ونذبحه ويحل لنا أن نأكل لحمه، الشيخ سردار يقول هذا أيضا..

فانتفض رمضان الأهطل قائلا:

غلط.. كلام الشيخ غلط..

فقال أسلم بلهجة فيها مرارة:

حسنا! لماذا دفنتها وبنيت لها قبرا، ووضعت على قبرها الزهور!؟ ما ضرورة كل هذا!؟ إن الناس يتندرون عليك، ويسخرون مما تفعل..

فقال رمضان الأهطل بصوت خافت:

يا بني! ألم أقل لك.. لقد كانت مثل أمي!؟.

ثم أردف يقول:

كنت ابن ستة أشهر.. ربما.. حين رحلت جدتك عن هذه الدنيا، وخليلتي هذه، جاموستي حبيبتي صارت أمي وأرضعتني مدة إحدى وعشرين سنة! حملت خلالها خمس عشرة مرة، وتكاثر أولادها فعم الخير، وجرت أنهار اللبن، ماذا كنت أكسب من الأرض..؟ يا أحمق! يا مجنون! هذا الكسب الذي حققناه كان من لبنها، وهذه الثروة التي كسبناها كانت من ورائها، ألا يكون من حقها عليّ أن أجعل منها أمّاً، أبني لها قبرا، وأضع عليه باقة من الزهور؟!

نعم! نعم! لم لا؟ لك كل الحق في هذا..

هكذا قالت زوجته زينب التي كانت تسمع حديث الابن مع أبيه، وهي تقف بجوار الباب، فدخلت، وقالت بلهجة غاضبة:

ضع الزهور على قبرها، زينه بالورود، وضع التراب على رؤوسنا، سوّد عيشتنا! اسمع يا رمضان يا أهطل! لقد تحملت طوال حياتي تدليلك لخليلتك، تلك الجاموسة، ومسلكك العجيب تجاهها، وكنت أعد لها طعامها ليل نهار، وأنظف روثها طول النهار والليل حتى لا يتسخ المكان وتصبح رائحته كريهة.. و..

فقاطعها رمضان الأهطل مذكرا إياها قائلا:

لقد كنت أقوم أيضا بكل هذه الأمور... خليلتي هي خليلتي، هكذا كانت، لا يمكن أن تولد في هذه الدنيا جاموسة محبة مثلها حتى يوم القيامة..

ثم قال:

حسنا.. هذا كذب! أتذكرين حين جاء إلى «دوار بيتنا» هذا لصوص، وكان عندنا خمس جاموسات، وعدد من الخراف، ماذا حدث في ظلمة الليل!؟، دخل اللصوص، وكادوا أن يهربوا بالجاموس لولا هجوم «خليلتي» عليهم، وسماعنا لصوت الصياح، فاستيقظنا، وفر اللصوص..

ثم صرخ رمضان قائلا:

ومرة كادت كلاب القرية المجاورة تنهش لحمي لولا دفاعها عني، فقد ضربت الكلاب المؤذية بقرونها، بل رفعتها إلى أعلى وضربتها في الحائط.. هذه هي خليلتي، جاموستي، حبيبتي!

فصرخت زينب قائلة:

خلاص! الآن أنت تسبح بحمد خليلتك، وأنت تجلس هكذا وحيدا في محرابها، ألا يهمك أمر جاموسة أخرى دون قرون، أنا الآن حامل، على وشك الإنجاب، أنا ذاهبة.. ورائي عمل كثير.. ماذا يهمك أنت!؟

فقال أسلم:

أنا أيضا ذاهب يا أمي! فأبي يشد نفسا من بعد نفس بينما الدخان قد انتهى، كما انتهى الفحم من حجر النارجيلة..

وحين ذهب الابن مع أمه قال رمضان الأهطل لنفسه:

هؤلاء الظلمة لا يريدون السماح لي بالحزن على خليلتي.. لكني سوف أقيم عزاء الأربعين لها!!

بعد نصف ساعة أو أكثر رجع أسلم، ومعه شميم زوجة أخيه، وقد نظفت النارجيلة، وغيرت الماء بداخلها، ونظفت الحجر الذي يوضع فيه الفحم مع الدخان، أما رمضان الأهطل، فأقبل على النارجيلة يسحب نفسا بعد نفس بشدة، مثل صقر جائع، وقع فجأة على فريسة، وبدأ الدخان يتصاعد...

وحين شعر بقليل من النشوة قال:

لا بد أن أقيم الأربعين لخليلتي..

انفجرت شميم ضاحكة حين سمعت هذه العبارة، فانتفض رمضان الأهطل يسألها:

ماذا يا بنت أنت! على أي شيء تقهقهين؟

فردت عليه شميم، وهي تحاول أن تكتم ضحكاتها:

يا أبي هل ستعمل للجاموسة أربعين؟!

فسحب رمضان الأهطل خرطوم النارجيلة وقال: يا لك من مجنونة!

فقال أسلم:

لا يا أبي هي ليست بمجنونة، المجنون هو من يقول ما قلت.. هل رأينا من قبل من يقيم عزاء لبقرة أو جاموسة، أو يقيم الأربعين لوفاة حيوان ما.. لا أدري ماذا أصاب عقلك؟

حرك رمضان الأهطل رقبته مثل جمل يتمطى، بعد أن فوجئ بالسؤال، وتغير لون وجهه من فرط غيظه.. فقال أسلم مستفسرا باستخفاف:

من الواضح أن الحيوانات لن تأتي يوم الحشر ومعها كتابها، كما أنها لن تذهب لا إلى الجنة ولا إلى النار.. ولهذا..

فاستشاط الوالد من كلام ابنه، وصرخ في وجهه قائلا:

حسنا.. أنهار اللبن التي في الجنة.. يا أحمق! لبن من؟! غير لبن البقر والجاموس!!

عندئذ ضحك أسلم وشميم معا، واستمرا في الضحك حتى كادا أن يسقطا على الأرض، بينما استمر رمضان الأهطل في كلامه:

يا أيها البلهاء! لقد حصلت على شهادة الإعدادية، لو أن من الممكن لكلب أصحاب الكهف أن يذهب إلى الجنة، فلماذا لا يمكن لخليلتي، جاموستي، أن تذهب إلى الجنة أيضا؟ ذلك لأنني قرأت على روحها القرآن الكريم، وأوصلت لها الثواب!؟.

حاول أسلم أن يتماسك، ويعبر لأبيه عن رأيه في جدية تامة:

أبي، أنا أشك أن صدمة وفاة «خليلتك» قد أثرت فيك، جعلتك شبه مجنون، يجب علينا أن نطلب لك الطبيب.. نحن جميعا قلقون من أجلك.

فقال رمضان الأهطل ساخرا متهكما:

طبيب.. ماذا يفعل لي الطبيب؟ مثلما عالج الدكتور رانا محمد «خليلتي» لم تأكل المسكينة الطعام مدة شهر كامل، حتى الشرب أيضا لم تشرب شيئا، وأخذ يعطيها حقنة من بعد حقنة، وقلت له ألف مرة أن يعمل لها أشعة «إكس» حتى يمكن التعرف على المرض..

لم تتمالك شميم نفسها، وحاولت أن تكتم ضحكاتها، فوضعت طرف «الإيشارب» في فمها لتكتم الضحك، ثم أخرجته من فمها وهي تقول:

يا أبي العزيز! أشعة إكس للجاموسة؟

ثم ضغطت على أسنانها ثانية، وهي تعض على طرف «الإيشارب»، تكتم ضحكاتها، ولم يستطع أسلم أن يداري ابتسامته العريضة، لم يكن يدري هل يضحك أو يبكي على حالة والده، لكنه قال:

يا أبي! الدكتور رانا عطا محمد هو أمهر طبيب بيطري في مدينة بهاولبور، وبناء على كلامك طلبته هنا أكثر من مرة، في الحقيقة مرض «خليلتك» كان تقدم العمر ليس إلا، وهو مرض الشيخوخة..، كان عمرها أربعا وعشرين أو خمسا وعشرين سنة، كانت ستموت في يوم ما.. أليس كذلك؟! هيا يا أبي.. أمي والجميع في انتظارك.

قالت شميم وهي تخاطب حماها بهدوء وتعقل:

حسنا يا والدي! أخبرني.. إنك تحب خليلتك كثيرا، ولهذا صرت هكذا عاطفيا للغاية، ولا تفكر في الجاموسة «ميني» مع أنها ابنتها.. ربما لأن قرونها ليست مثل قرون أمها!

فقال رمضان بلهجة ممزوجة بالحزم والشدة، وهو يكركر ويسحب نفسا قصيرا:

هيا.. هيا اذهبي يا بنت، لا توجعي دماغي!!

جاء ابنه الأكبر رشيد بطعام العشاء إلى أبيه، كان مثل أبيه، لم يتعلم إلا لسنوات قليلة حصل بعدها على الشهادة المتوسطة، ولا شك أن جميع أعمال البيت تقع ضمن مسؤوليته، كانت أمه سعيدة به ومسرورة منه كثيرا، وقد زوجته في العام الماضي، حين رآه أبوه صاح فيه:

ارجع بالطعام يا رشيد! لا أشعر بالجوع.

فقال رشيد بصوت متلجلج:

ماذا!؟ إنك لم تأكل منذ ليلة أمس، قالوا لي إنك لم تأكل اليوم أيضا، وشربت كوبين من الشاي ليس إلا.. يا أبت! بالله عليك توقف عن هذا!

- أنا لن أموت، ماذا لو توقفت عن تناول الطعام عدة أيام..

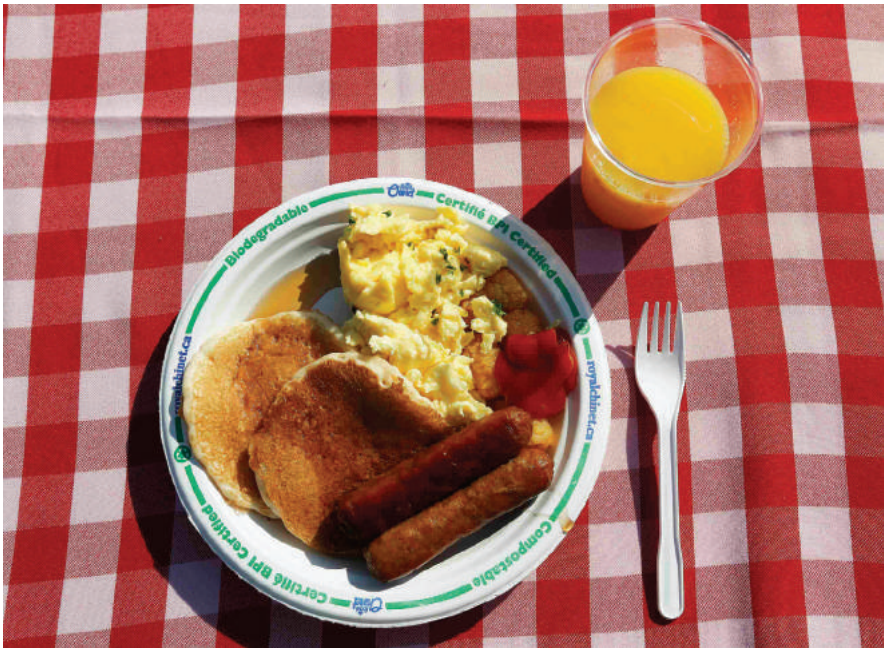

هكذا رد رمضان الأهطل على ولده..

– إن شاء الله أعداؤك يا أبي!

قال الابن هذه العبارة، ثم وضع الصينية التي حمل عليها الطعام أمام أبيه، وبدأ يكشف غطاء الطبق الأول، كان بداخله دجاج مطبوخ بالصلصلة، وكشف غطاء الطبق الثاني فكان بداخله خبز ساخن أعد في الفرن، ثم خاطب أباه قائلا:

لقد عجنت أمي بنفسها هذا الخبز، وأعدته لك في الفرن ليكون ساخنا، ويليق بهذا الدجاج اللذيذ.. هيا كُل... كُل.. ولا تخجلنا يا أبي.

فرد الأب على الفور:

ماذا يخجلكم إذا بقيت جائعا؟ ثم هل الطعام يدخل بطني أو يدخل بطونكم؟

سأل رشيد أباه بلهجة كلها مسكنة وتضرع:

يا أبي! ماذا أصابك؟ أركع أمامك راجيا عفوك عنا.. هيا معي إلى صحن الدار..

ثم أمسك بيد أبيه، يقربها من فمه، يشبعها لثما وتقبيلا..

قام رمضان الأهطل يضم إلى صدره ابنه البكر في حنان، وأخذ يمسح بيديه على رأسه، وتحركت عاطفة الأبوة بداخله فقال:

اسمع يا رشيد! هل تذكر حين أحضرت إلى البيت بطتين بناء على رغبتك، كنت في ذلك الوقت طفلا صغيرا، في الليل وضعنا البطتين في القفص، ثم أطلقنا سراحهما في الصباح الباكر، فقام ذكر البط بتحريك رقبته البيضاء، يمدها إلى الأمام، ثم انطلق يجري ورائي، في ذلك الوقت كانت «خليلتي» جاموستي تشرب من حوض الماء، وحين شاهدتني أجري في ساحة البيت، جاءت بسرعة، وضربت بقرنها ذكر البط، دفاعا عني.

فهز رشيد رأسه موافقا على قول أبيه قائلا:

نعم.. نعم يا أبي أتذكر..

فقال رمضان الأهطل:

في تلك الأيام كنت في السادسة من عمرك.. ومع ذلك فقد كنت تدرك كم كانت تحبني.. والآن ماتت.. ألا تعطونني فرصة لإقامة عزاء لها..!!

أراد رشيد أن يعيد لأبيه عقله، فقال يحاول إفهامه:

هل من الضروري أن تقيم هذا العزاء؟.. لكن يا أبي لسنا بإنجليز، نحن مسلمون، وإقامة قبور للحيوانات، وقراءة الفاتحة على أرواحها، غير جائز في ديننا، فنحن مسلمون يا أبي.

فرد رمضان الأهطل:

هذه كلها دعاية يعملها الشيخ سردار إمام المسجد!.

وبينما كان هذا الحوار يدور بين الأب وابنه، سمع صوت زينب يأتي من ناحية الشرفة، وهي تصرخ تنادي على رشيد..

فنهض رشيد وهو يخاطب أباه قائلا:

حسنا يا أبي! إن شعرت بالجوع فتناول الطعام.. أمي تنادي.. ربما تلد «ميني» عجلا صغيرا الآن. فهي في حالة المخاض..

خرج رشيد من الغرفة، بعد أن وضع صينية الطعام على طاولة مجاورة، وكانت نكهة الخبز الطازج، قد ملأت الغرفة، لكن الشعور بالجوع تلاشى تماما، وسط الحزن على «الخليلة» الوفية، لهذا لم يمد رمضان الأهطل يده إلى الطعام..

في الخارج كانت السماء صافية، وقمر ليلة الرابعة عشرة يتوسط السماء في منظر بديع، لكن نسمات الهواء غابت عن الوجود، لهذا قرر أن يقضي الليلة تحت المروحة، ورغم أن النوم ابتعد عن عينيه آلاف الأميال، مع هذا أطفأ نور مصباحين كهربائيين كانا يضيئان الغرفة، ثم تمدد على الفراش.

في البداية حلت الظلمة الحالكة جنبات الغرفة، لكن بالتدريج، بدأ ضوء القمر يتسرب رويدا رويدا إلى

داخل الغرفة، حتى صار كل ما فيها واضحا إلى حد كبير، فصدرت عنه آهة، ممزوجة بالألم والأسى، ثم أغلق عينيه..

وبينما هو كذلك تخيل صورة «خليلته» بحسنها وجمالها، بحوافر رجليها الأربعة، وذيلها الطري، وقطعة البياض البراقة على جبهتها، مع اللون الأسود البراق، والعيون الواسعة الجميلة، وجسمها المتناسق، وقوامها الجميل، كأنها «قلة» ملتانية، تروي العطشان، قرناها الملتفان إلى الداخل في شكل بديع..

كان أحيانا يتخيل أنه يحلب ضرعها، أو يغطيها، أو يقوم بإعطائها حماما باردا، يغسل عنها أيضا الأوساخ والأتربة.

ومرة قام الدكتور رانا عطا ملك بإعطائها حقنة في الرقبة، فما كان منه إلا قام بعمل مساج لها، وفي الأيام الأخيرة حين تدهورت صحة «خليلته» المسكينة، قام بتركيب «الجلوكوز» لها، لكن المسكينة أصابها الضعف الشديد، وساءت حالتها يوما من بعد يوم، وحين تخيل تلك الأيام، لم يتمالك نفسه وفتح عينيه.

وهكذا مر من الليل أكثر من نصفه، ربما حرك جنبيه آلاف المرات، لكن كيف ستمر عليه البقية الباقية من الليل، يقولون: إن النوم سلطان! لكن رمضان الأهطل استمر يستعيد ذكريات خليلته حتى غلبه النوم في النهاية.

كان من عادته طول عمره أن يفتح عينيه تلقائيا إذا ما أذن المؤذن في الفجر، فيبدأ الاستعداد

لصلاة الفجر، لكن الأمر اختلف اليوم، فلم يتمكن مكبر الصوت الذي يحمل عادة صوت الشيخ سردار إلى القرية كلها من إيقاظه، فأذناه أصيبتا بالصمم، وكأنه أصيب بصدمة مفاجئة، فظل طريح الفراش ممددا، مثل ثور أصيب بالإرهاق الشديد لا يقوى على الحراك..

كانت الشمس على وشك الظهور حين قدمت زينب ومن خلفها ولدها شميم، وصعدا إلى حيث كان رمضان الأهطل مستلقيا على الفراش..

صرخ رشيد وصاح:

أبي! استيقظ يا أبي.. انظر! ماذا أعطاك الله؟

أخذ رمضان يتمتم بكلمات غير مفهومة، ثم نهض من الفراش.. كان رشيد يحمل «زكيبة» كبيرة، وهو ينظر إليها بتمعن شديد، ففي نور الصبح الصادق منَّ الله عليهم ووضعت الجاموسة عجلا صغيرا، حمله رشيد في حضنه، وأخذه إلى الغرفة ليحاول تدريبه على الوقوف هناك، وبسرعة أضاء المصباح الكهربائي، فعم الضوء أركان الغرفة..

قالت زينب وهي مبتهجة:

يا رمضان يا أهطل! افرح.. ابسط وجهك سرورا وغبطة.. يا ظالم! انظر «خليلتك» أنجبت.. انظر إليه إنه يشبهها تماما.. الأرجل، والذيل، والجبهة تماما مثلها..

ثم أخذت زينب تتحسس كل جزء في جسم المولود الجديد..

يا أبي! انظر.. هذا مولود «ميني» ابنة خليلتك، تماما مثل خليلتك..

هكذا قال شميم لأبيه، وهو يفتح «الزكيبة» أمام أبيه:

حين يكبر سوف يلتف قرناه مثل «المشبّك» الحلو.

قفز رمضان الأهطل.. ونزل من فوق السرير، بينما كان الضيف الجديد يحاول أن يتماسك، ليقف على أرجله الأربع، في وقت غرق فيه رمضان الأهطل في عالم من الحيرة، وكأن كيس جواهر انفتح أمامه فجأة، فتلألأت الجواهر من داخله..

اندفع رمضان الأهطل إلى ولده وقد ملأ الفرح قلبه:

أوه.. يا رشيد! صحيح.. هذه خليلتي! تماما.. نفس الجبهة.. نفس الذيل.. نفس الحوافر..

وغرق رمضان الأهطل في عالم من الجنون، فأخذ يلثم كل جزء في جسم المولود الجديد، بينما امتلأت عيناه بدموع الفرح التي تساقطت على خديه كحبات لؤلؤ... وهو يقول:

أوه! لهذا كانت «ميني» قلقة مضطربة..

ثم بدأ رمضان الأهطل ينتعل حذاءه، بينما انفجرت شميم الواقفة بجواره في الضحك!■

عُزوف..

محمد أحمد فقيه - اليمن

سئمتُ العيشَ في ظلِ السقوف
ومن وجعِ الأسى عزفتْ حُروفي
وأزمعتُ الرَّحيلَ بغيرِ زاد
وأوكلتُ السَّبيلَ إلى الحتوفِ
وطافَ بي الحنينُ وقد شجاني
يُسائلُني متى يمضي وقُوفي
سأمضي في مناكبها سراعاً
وتنظمُ بعضَ أوجاعي عُزوفي..!!

العبرة من موت هرة

من شعراء دمشق، في القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي): أحمد بن الحسين الكيواني (ت ١١٧٣هـ، ١٧٥٦ م). ولهذا الشاعر ديوان مطبوع سنة ١٣٠١هـ، والديوان - وإن لم يضم شعره كله- يفصح عن شاعر متميز، في بلده، وفي زمانه (العصر العثماني). وهو - عندي – طليعة متقدمة لحركة نهضة الشعر العربي، وتمهيدٌ ذو قيمة أدبية وفنية وإبداعية لمرحلة محمود سامي البارودي (ت ١٣٢٢هـ، ١٩٠٤م).

د. محمد رضوان الداية(*) - سورية

لقد كان الكيواني، كما نقول اليوم، سابقاً لعصره، ورائد أصالة (باستيعاب التراث المبدع) وتجديد (يتجاوز الجمود الـذي غلب على الشعر منذ أواخر العصر العباسي). وكان أديباً (شاعراً كاتباً) واسع الثقافة، مطلعاً على تاريخ الأدب، ممدود اليد إلى أمهات الكتب والدواوين، حافظاً، مستحضراً عيون الشعر العربي ومختاره.

وأقف اليوم عند قصيدة للكيواني، ثابتة في ديوانه، رثى فيها هرةً كانت تعيش في داره. والقصيدة تدخل في إطار الاتجاه الوجداني الذي غلب على ديوان الشاعر من جهة، وتنفتح على جوانب أخرى نمر على ذكرها تباعاً.

تلاقت في القصيدة – وعدد أبياتها أربعة وخمسون – ملامح متعددة، فجاءت قصيدةً متكاملة الجوانب، ذات مزايا في إبداع شعري يختلف عن معظم خصائص الشعر المعاصر له الذي نعرفه في الدواوين أو كتب الأدب والتراجم.

وتظهر في القصيدة أمور طبائعية تتعلق بالمألوف من القط (مع مزايا يسبغها الشاعر بتلوين شعري على هرته: جارة بيته، وأنيسة وحدته)

وقد وصف الشاعر الهرة، وهي نوع قابل للاستئناس من فصيلة السنوريات، فوصف عينيها اللامعتين المتغيرتين مع الضوء واختلافها بين

(*) أستاذ الأدب والنقد في جامعة دمشق.

ليلٍ ونهار، ووصف لونها وأناقتها وذكر هَريرها، وتمسحها بالإنسان وتوددها له – وكأنها معه في صُحبة – وخروجها المبكر إلى طلب المعاش، والحركة في الدار وخارجها..

واختار من مزاياها – وأطال الوقوف ثمة – التسلط على الفئران المؤذية في الدُور والحقول والحوانيت وغيرها، ونبه على أذى الفئران البالغ في الأوراق والكتب والكراريس وأثر الهرة في التخلص من هذا كله.

ومع هذه الفوائد البيئية للقط فإن الشاعر أشار إلى ما يكون منه من الأذى، حين يتسلط على الطيور الداجنة وغيرها مما يحوزه الإنسان وينتفع به في الدور والمزارع.

وذكر حِدة القط وغضبته إذا اهتاج أو هيجه أحد، قال:

وتملق السنور معـ ـروفٌ وحدته شهيرَهْ
ولها إذا أغضبتَهـا أو هجْتها نفسٌ مريرَه

وأشار إلى طبع أسدي في القط :

تحكي الهزبْرَ إذا أزبـأر تْ صورةً إلا زئيـرَهْ

وذكر سمع القط المرهف وكمونه للفأر وغيره، وتماوته سياسةً ودهاءً:

كمنتْ لهن كمونَ ميت واعْجَبْ لعاقرة عقيرَهْ

فهي عاقرة: تصطاد وتفتك، وهي عقيرة (بمعنى معقورة) لأنها مخلوق، وإن قويت على أعوانها، ومآلها الموت لا محالة!

وصورة هرة الشاعر صورةٌ جميلةٌ؛ وهذا جانبٌ من مقومات تقريبه لها واهتمامه بها:

كانت تروق الناظريـ ـن بحسنِ أخلاقٍ وصُورَهْ

وهما صفتان: واحدة حسية ظاهرةٌ، والثانية صفة منقولة إليها من الصفات الإنسانية (حُسن الأخلاق)، فلما رثاها الشاعر، ذكر جانباً من صفات الإنسان:

دعْ ذا وخُذ مُلَحاً تَرُد طلائع الهم المغيرَهْ

وهي ملحٌ تأتي من جانب الهرة المذكورة.

واختلط جانبُ الوصف، بالموقف الشخصي (الإعجاب بالهرة وقدراتها) بالرؤية الفنية (حُسن التصوير) فقال:

كانت كجمرٍ مضـرم إن عانق الواني فتورَهْ
كانت لجيشِ الفأر صا عقةً مُسومةً مُبيرَهْ

واسترسل حتى قال:

كادت تصيد الفرقدَيـ ـن بوثبةٍ منها يسيرهْ
فتعلمتْ حركاتهـا شعَلُ البروقِ المستطيرَهْ

شبه حدتها ونشاطها باتقاد الجمر المضْرم، وخاصة حين تفتر همة أحدهم حتى يوصف بالواني، وشبه سطوتها على جيش الفئران بسرعة الصاعقة وهجمة الخيل المسومة، وعمل القوي المبير لأعدائه.

وبالغ –والمبالغة هنا مناسبة – لإيضاح الوصف وتحسين صورة السنور وهو يثبُ وينطلق نحو فريسته بقوة واندفاع وارتقاء وسرعة التفاتٍ والتفاف! صورة حركية حسية متلاحقة توضح المقصد، وتلون الكلام، وتمدح الهرة.

وفي القصيدة جوانب شخصية؛ فصحبة الهرة مألوفة، وهرة الكيواني أعانته على كسر حاجز الوحدة والانفراد عن الناس، وآنَستهُ بمثل ما هو مألوفٌ من جِنسها من الإيناس وزيادة، قال:

كانت لنفسي إنْ فقدت تُ مسامراً أبداً سميرَهْ
إني لأنْعتُ مقلـةً كانت بها عيني قريرهْ...
...ستر التودد شرَها وطباعُها تبدي ظهورَهْ

وارتفع الجانب الشخصي في القصيدة صوتاً وعاطفةً، وامتزج الشخصيُ بالإنساني حين نعى هرته، وقال:

أعْـزِزْ عليَ بأنْ تصا بَ وأن أضمتها حفيرَهْ
لو سامها مني الـردى ما بعتُها بخراجِ كورَهْ

لو كان أمر حياتها في يده لما فرَط فيها، أو سامه الموتُ عليها، وأغلى في الثمن – كما يفعل المشتري عادة – لما قبِل أن يُسْلِمها إليه، ولو كان الثمن عظيماً.

وتغلغل في القصيدة ملمحان آخران ظاهران: الإنساني والإسلامي، وهما يتداخلان في النص ويلتقيان، وتظهر خصوصية كل ملمح أيضاً؛ وإن كانا في الأصل لا يتعارضان.

وأظهرُ مظاهرالإنسانية في القصيدة هذا الود الذي ذكره الشاعر، وتثمينه العالي للصلة النفسية بالحيوان حين صارت العلاقة مع الإنسان صعبةً، أو منقطعة (من وجهة نظر الشاعر على الأقل)، وقد صرح الشاعرُ بأنه: لو وقعتْ مساومةٌ له، وإن كانت عاليةً غاليةً لم يكن ليفرط بالهرة. لقد كرمها ورعَاها وأحْسَن معاملتها. وانظر صفة (أسِيرة) التي وصف بها هِرته؛ والمراد أنها في رعايته وحفظه، وأنه مسؤول عنها، ومطلوبٌ منه حُسن الصحبة؛ قال:

... ولذا قنعتُ بظبية بالحب من مثلي جديرَهْ
وحشية شَرَكُ القضا ء أصارها عندي أسيرَهْ
فغدت وما هي بالمهيـ ـنة في يَديَ ولا الحقيرهْ

وفي ذِكر (الأسر) للهرة، (والحيوان الأليف للإنسان) وواجب الإنسان نحوه، ملمحٌ إنساني يلتقي مع الملمح الإسلامي.

وقد ورد في الحديث: «اتقوا الله في النساء فإنهن عندكم عوان». قال ابن الأثير: أي أسَراء أو كالأسراء.

(الفعل عَنا يعنُو، والرجل عانٍ والمرأة عانية، والجمع عَوان).

وبين الشاعر بمناسبة موت هرته العبرة من الموت، فالمُبيرُ المميت المتسلط سيكون يوماً مَيِّتاً لا حول له؛ والقويُ المتجبر مُعرَضٌ لأن يكون ضعيفاً لا سطوة له. فـ (كل شيء هالكٌ إلا وجهه) القصص /٨٨.

– قال في الظلال (صـ٢٧٦١): «...كل شيء زائل، وكل شيء ذاهب: المال والجاه والسلطان والقوة، والحياة والمتاع، وهذه الأرض ومَنْ عليها، وتلك السماوات وما فيها، ومَنْ فيها، وهذا الكون كله ما نعلمه منه وما نجهله كله. كله هالك فلا يبقى إلا وجه الله الباقي، متفرداً بالبقاء».

–وفي الأثر: «قال جبريل: يا محمد عِش ما شئت فإنك ميت، وأحببْ من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزيٌّ به». أخرجه الطبراني في الأوسط، والبيهقي في شعب الإيمان.

وقد وقف الشعراء عند هذا الملمح من حقيقة الموت، وأنه غاية كل حي كقول قطري بن الفُجاءة:

سبيلُ الموت غاية كل حي وداعيه لأهل الأرض داعِ

ولكن في الالتفات إلى الاعتبار بموت الهرة ملمحاً قل وقوفُ الشعراءعنده، على أنه تذكر قصيدة ابن العلاف الشهيرة:

يا هر فارقتنا ولم تَعُد وكنتَ عندي بمنزل الولد

وفي خبره (وفيات الأعيان ٢ : ١٠٨) أنه كان لأبي بكر هرٌ يأنسُ به، وكان يدخلُ أبراج الحمام التي لجيرانه ويأكل فراخها، وكثر ذلك منه، فأمسكه أربابها فذبحوه، فرثاه بهذه القصيدة. وهناك كلام على القصيدة المذكورة تصلح العودة إليه في وقفة خاصة.

على أن لقصيدة الكيواني الدمشقي خصوصية ظاهرة، وصلة بحياته الشخصية، فقد كان يميل إلى الوحدة والانفراد. ومن هنا كان انتباهه إلى موت هرته، وإلى ما ذكره فيها من أمور.

ووضع الكيواني في رثاء الهرة ما يضعه الشاعر في رثاء الإنسان، مع تغييرات طفيفة تقتضيها الحال، والمناسبة، ونقرأ في القصيدة:

واسمع رثاء هُرَيْـــرَة ... كانت تُرى عندي أسيرَهْ
خلسَ الحمامُ حياتَهَا ... وابتز من قلبي سرورهْ
كانت تروق الناظريـــ ... ـن بحُسن أخلاق وصورهْ
كانت لنفسي إن فقدْ ... تُ مسامراً أبداً سميرَهْ

وتلاحظ في حشد المُفردات الدالة المناسبة لسياق الرثاء ما يشحن النص بما يريد الشاعر أن يظهر للقارئ والسامع؛ فصغَر الهرة تصغير التحسين والتحبب، ووافق التصغيرُ اسماً كانت العربُ تسمى به المرأة: (هُريرة)، ومشهورةٌ مخاطبةُ الأعشى: «ودع هُريرة..» وجاء بأفعالٍ حادةِ الأداء مثل: «خلس» و«ابتز» للموت، و«تَروق» و«مسامِر» للهرة؛ حتى تؤدي أدوات التعبير المختلفة وظيفتها لإيصال الفكرة بوضوحها وحرارتها.

واسترسل في الرثاء (ومن تعريفاته أنه: مَدْح الميت) فقال:

إني لأنْعَتُ مُقلـــةً ... كانتْ بها عَيني قريرَهْ
صفراء تحسب أنهـــا ... تخضر في وقت الظهيرَهْ
أسنانها من حبة الشو ... نيز في شكل الشعيرَهْ
طوراً تطول وتـــارةً ... تبدو لعينك مستديرهْ

فهذا ثناء أساسُه الوصف، أدرجه في سياق الرثاء لتأتلف المقاصد المختلفة وتصل القصيدة إلى غايتها.

ثم أقول:

واضح من القصيدة أن الشاعر ارتقى في رثاء الهرة عن تعامل الناس مع موتِ هرة وهو يمر في العادة مروراً عارضاً. واستفاد من الحَدَث أموراً تخص الهرة نفسها، وجنسها معها، وأموراً أخرى بين شخصية، وإنسانية، وإسلامية.

والقصيدة تتناغَمُ مع نهجٍ قديمٍ في التراث العربي من وقوف الشعراء عند الملامح الإنسانية والإسلامية كما لاحظوها في الكون والإنسانِ – وسائر المخلوقات – وباقي مناحي الحياة(*) ■

(*) للاطلاع على القصيدة كاملة، انظر المجلة الإلكترونية في موقع الرابطة العدد (٣٠)، باب من التراث.

زورق

أشرف محمد قاسم - مصر

يا من بأفق الأسى يمضي بلا هاد ... يا قاهريَّ الهوى والحزن بغدادي
فتش بأدراجنا وافتح حقائبنا ... واكتب بدمع الندى تاريخ ميلادي
هذي مصابيحنا في الدرب مطفأة ... وخيمة الملتقى من غير أوتاد
عدت علينا كلاب الصيد تنهشنا ... يا أمة هرولت في إثر جلاد
هل يرحم الذئب شاة حين مخمصة ... أو تحضن الأسد طفلاً إن عدا عاد
ها نحن كالزورق الحيران تحمله ... أمواج بحر تعالت دون إرشاد

هل العقل مصدر الشعر والإلهام، أم القلب والوجدان..؟

محمد ياسر أمين الفتوى - السعودية

سأل أحدهم صديقه الشاعر، وقد رآه في خلوته الآسرة سارحا في أفقه الممتد، لا يعي شيئا، وهو مشتت النظرات مبحرا تارة في سمت ما، ثم ينقلب فجأة إلى التفاتة أخرى، يتقصى فيها أشياء، ربما لا يدرك ما هي، ولكن وهو في ذهوله جاد في استقصائه، وجاد فيما يبحث عنه.

قال له: يتردد على شفتي سؤال ويحق لي أن أسأله، كما ألح أن تجيب بنزاهة وأمانة.

فقال الشاعر: سل ما بدا لك..؟

فاستطرد يسأل: هل العقل مصدر الشعر والإلهام، أم أن مصدره هو القلب والوجدان؟!

ولم يتسرع الصديق في الرد كعادته، بل نظر إليه مليا، وبكل أناة قال: اعلم أن الأدب –في تعبير عام– هو اللسان الناطق المشذب، ينفرد به الإنسان المهذب منذ وجوده وقد تميز بدقة التعبير، وتأنق اللفظ، وجمال العرض، وعذوبة المعنى، وحلاوة الجذب والإمتاع،مما جعله ساميا راقيا عن أي كلام عام. وفي تقويمه وإظهار رفعته يحضرني قول كيبلنغ: «لو خيرت إنكلترا أن تتنازل عن الهند أو شكسبير، لما ترددت لحظة في التنازل عن الهند!» وما ذلك إلا أن الشاعر هو الكنز، وهو نبع الحب الذي لا ينضب، يفيض على بلاده والناس جميعا بالخير والجمال والسعادة.

ولولا خلال سنها الشعر ما درى
بناة المعالي كيف تبنى المكارم

ولما كان الشعر هو الأسبق في التعبير، وأكثر جذبا والتفاتا إليه بما يتضمنه من لفظ منغم، وجرس وإيقاع طروب يساعد على حفظه، وترداده في كل بادرة تستدعي تذكره واستحضاره والتمثل به،كان أسبق إيغالا في النفس، وأمضى تأثيرا بها. ولكن من الحق أن نقول: إن الشعر والنثر كليهما يسموان بعواطف الإنسان سموا كريما.

ومن الحقائق الثابتة المعروفة عن الإنسان أيضا أنه ذو حقيقتين:

أولاهما الإدراك، ومحله الدماغ، والثانية: الوجدان، ومكانه القلب.

ونعني بالإدراك الوظائف التي ينهض بها العقل، ونعني بالوجدان العواطف الدافعة والرادعة والممجدة، وهي عاطفة الحب والكراهية والتعظيم، والانبهار، وغيرها. والإنسان هذا الكائن الحي النشيط الفعال، إنما يتعامل مع الحياة وشؤونها بهاتين الملكتين، أولاهما هي التي ترسم وتخطط، والأخرى تحرك وتدفع للتنفيذ، وبعبارة أوضح وأجلى: إن العقل، وهو العروة الموثقة التي تحكم العقال والرباط في التصرفات، ما هو إلا ملكة واعية تؤدي عملها بشكل آلي، ووظيفة محددة، مهما اتسعت في مراميها ومجالاتها فلا تزيد عن كشف الحقائق الخفية، وإزالة الحجب عن القضايا الغامضة، ثم إنها لا تملك أي سلطان على السلوك، إنها أشبه ما تكون بمصابيح بيد صاحبها تبصره بطبيعة الطريق الذي يسلكه، ثم لا تزيد على ذلك..!

وأما ملكة الوجدان، فهي القوة الدافعة المتمثلة بالعواطف في حياة الإنسان، وإن كانت الحياة السلوكية تنهض على هاتين الملكتين: إحداهما تبصر وتكشف، والأخرى تقود وتدفع، ومع ذلك فإن ملكة الوجدان، هي الأسبق إلى التنفيذ واتخاذ القرار من العقل وأحكامه، لأنها تستجيب لما تكمن في دخائلها من غرائز نفسية، وعواطف حب أو كراهية جامحة، وحسبها عند ذوي النضج المعرفي أنها تنهض بما يميزها من إحسان يأسر القلب، أو جمال يأخذ بمجامع النفس، أو عظمة تبهر الوجدان! ومثالنا على ذلك بأن العقل يمتع صاحبه بمرأى قرص الزهرة، بحجم تكورها، أو انبساط تفتحها، وتناسق أوراقها، واختلاف لونها، وتأنقها مع ما يحيط بها من نباتات وأزهار جميلة.. ولكن رعشات الوجدان تضيف إلى متعة النظر الآلية هذه بأن تلفت الانتباه، وتوقظ الإحساس إلى ما تنبثق عنها من رائحة عطرية أخاذة، وما يتفجر من عبق كريم يزيد صاحبه انتشاء، ويسمو إلى أبعاد حافلة بكل معاني الجمال، وسبحات الخيال من سحر وفتنة.

وفي سياق مناقشتنا هذه عن العقل وتأثيره في حياتنا الدنيوية المعاصرة، والتزام الغربيين أو غيرهم بالتمسك به معتقدين أن العقل وحده هو

الذي أوصلهم إلى ما وصلوا إليه من هذا الرقي التقني المادي، وقد حلقوا به إلى أعلى مستويات التحليق، ولا بد أن نقرهم على تحليقهم بما زعموا به، ولكن ما هو إلا تحليق بجناح واحد، ولهذا فهو غير متوازن، وقد أفرغوه من خلجات الروح، وكنه ما فطر عليه، فأصبح معتنقوه عالما عقلانيا ماديا خاليا من ذوات الحياة الكريمة، فلذلك وبابتعاد هذه الحياة عن جوهرها الحق، وإيغالها في مادية بحتة جعلها منتقصة بكمالها، وهابطة عن أسمى ذرواتها.

فهذا العالم المادي الذي اعتبر العقل هو كل شيء، واستقطبه إلى أبعد غاياته، وجعله أقرب إلى أدوات جامدة وذوات فجة، واعتنقه مذهبا وسلوكا ومعتقدا، معتبرا أن الطبيعة هي التي أوجدته واحتضنته بكل مقوماتها ومعطياتها، فلذلك فهم اجتهدوا بمحيط ما وجدوا به، فوصلوا إلى ما وصلوا إليه، وهذا ما قادهم إلى الغلو والغرور والتشتت، وزاغوا أي زيغ باعتبارهم أن الطبيعة هي الطابعة، وهي نقّاشة ومصدر ونظام، وهي فاعلة، منكرين كل شيء آخر متمثلٍ بعوامل الوجدان والقلب والروح.

فهذه الطبيعة، واللفظ العربي يعني المطبوعة، في رأي ذوي النضج والاكتمال، والإحاطة والاستيعاب، يبرزونها كاملة مكتملة، بل يؤكدون على اعتبارها أنها مطبعة مثالية وليست طابعة، وأنها نقش لا نقاشة كما أنها هي قابلة للانفعال لا فاعلة، وهي أيضا نِظام لا نَظّام، وهي قانون لا قدرة، وشريعة فطرية لا حقيقة خارجية، وأن رؤيتها في غير ذلك جموح ومادية وخلل في تقويمها الحق المبين.

ومن ينظر إلى هذه الطبيعة المطبوعة في كونها المنظور، ويحلق في أجوائها بجناحيها المكتملين، وبالملكتين الكريمتين – العقل والقلب – وجد أن من جمّدها عند حدود العقل فقد ظلمها ظلما كبيرا، وأفقدها ماهيتها وجوهرها، فهي برأي أولئك الماديين لا تتجاوز أن بُحثت في تقلبات فصولها الأربعة كما فهموها بحدود العقل فقط! وما هي في رأيهم إلا تغيرات حسب تغير حركة الأرض حول الشمس نتيجة لاختلاف تباعدها أو تقاربها في نصفيها الشمالي والجنوبي، بينما في منظور القلب والروح والوجدان غير ذلك، فهو يضيف إلى المسلمات العقلية السابقة انعتاق الوجدان في تعبيره وتحليقه، فالربيع في مناظره الساحرة الحافلة بالبهجة والإمتاع ما هو إلا ابتداء الحياة وذروتها، حتى إذا ما طوي مع الصيف، وجاء الخريف، وأمعن أي متأمل بما يتغير على وجه الأرض فيه، وما يهيئ باستعداداته للموت، ثم ما دأبت عليه فطرة الحياة من تقلب في موت وفناء، ثم من بعث وإحياء، كما تتجدد هذه العبرة في كل يوم في منظر غروب الشمس الذي يوحي بفناء هذا اليوم، ثم بعثه في شروقها في

اليوم التالي لكان خير تعبير وجداني وروحي يفسر بأسمى معطياته نواميس فطرة الحياة.

وإذا ما تابع الانسان سياحته الكونية هذه بنظرة جامعة بوحي قلب خافق عاقل، وفكر بازغ، ووجدان حصيف لوجد هذا الكون مع تباعد أرجائه، واختلاف مادته وأحيائه، ما هو إلا شجرة متناسقة بأغصانها، زاهية بأزهارها، مثقلة بثمارها، ممتعة بنضرتها، وارفة بظلالها، تؤدي وظيفتها بدقة وإتقان.

أجـل..! فملكة القلب والـوجـدان، هـي مصدر الشعر والإلهام بلا منازع، وهي الأرجح كفة.. علما أن هذا الترجيح لا يفقد العقل من تميزه بإبداعاته، وحصافته، ولكن الانعتاق الوجداني أسبق في إيقاظ العاطفة، وأكثر إفضاء بالتعبير الرمزي الجميل، وأبعد تحليقا بجناح النور، وأبعاد الخيال، وهو في ذلك أجمل إبداعا، وأحكم أسرا.

وكيف لا..؟ أليس في عطش الرمال حنين، وفي تدفق الماء لهفة التياع، وجمر وأنـين..؟، وفي الهواء آهات موقعة، واتقاد حرقة، وتعبير حزين رزين..؟

ويستطرد السؤال، والإجابة:

بالحب.. بكل معاني الحب، بل هو هذا – شآبيب رحمة تتواصل، ولم لا..؟ فهذا الإنسان الصاعد المتسلق بشغفه وحبه، قاصدا الوصول إلى قمة جبل شاهق، وقد أعياه التعب، وأخذ منه الظمأ مأخذا عظيما، فما إن وصل إلى قمته المنشودة، وتنشق رطب هوائها، وانتشار عبيرها، وإذا به يجد بحيرة صغيرة تتوسط هـذه القمة، وقد انعكست عليها أشعة الشمس الفضية، فبدت كأنها مـرآة لامعة تتوهج ببياضها، وتنعكس على مياهها نضرة ما يحيط بها من نباتات متنوعة بألوانها، مما جعلها تتماوج بألوان مختلفة متناسقة، فجلت أكثر سحرا، وأبلغ أناقة وجاذبية، وعندما رآها الظامئ المكدود، أتراه هل أسرع إليها لينكب على مائها فيعب منه ما يروي ظمأه؟ أم تراه سعى إليها في تؤدة وأناة وانبهار سارحا مع فتنتها وروائعها الأخاذة، ولكنه حَسْبُه عند شطآنها الفضية اللازوردية هذه! فقد وقف مشدوها مأخوذا بأسراب الطيور المنتظمة في حلقات تنوع رقصاتها، وهي محومة في تشكيلات منسقة جميلة، وقد تنوعت حركاتها بتنوع إيقاع أغاريدها وهتافاتها، فأحس أن البحيرة بكل ما فيها تتجاوب مع هذه الجوقات ذات اللحن الطروب، وقد أوحى له القلب والوجدان أن هذه البحيرة بكل مقومات فتنتها ما هي إلا فكرة مجنحة الأبعاد، سامية المعاني، ووجد أن قلبه:

مذعور تهمي أدمعه، فتعب الأرض سجايا أخلاقهْ
ويوزع في أصلاب غياباتها بوح الآهات بأعمق أعماقهْ
فيهل ربيع، تخفق أضلعه بحديث يتحفنا في إشراقه.

وازداد تأملا وانسجاما، حتى أحس أنه قد صار مع ما يراه وحدة متناغمة، وأن قلبه المذعور ذاك متجاوب مع كل ذي جمال، وكأن عروق النبت تنز موضحة ما لملم ذلك القلب بأعراقه، ومع كل خفقة من قلبه المبصر تتجلى مغاز ونصوصٌ فهي منه وهو منها، فنتساءل:

أتـراه يـرفـض نـصـا تـبـدعـه آلام ممـتـعـة في إحراقه..؟

ونتساءل أيضا: هل أطفأ ظمأ من ماء البحيرة، أم ازداد وهو يتتبع كل سرب جمالي من أسراب ما يرى أو من أسراب الحياة عامة؟

ونـقـول: إن العقل يـقـوده لإرواء ظمئه من ماء البحيرة، ويكفيه ذلـك! أمـا القلب والـوجـدان ففي سبحاتهما قرائح الشعر والإلهام، تعززهما نوازع مجيـدة، تدفعه إلى زيـادة العطش والأوام، فهي مصادر إلهامه وإبداعه في أسمى عطاء.

وفي مشهد آخر: لقد أعلنت المئذنة موعد صلاة المغرب، فأسرع المصلون يتوافدون إلى مسجدهم في الحي الذي يسكنونه وهم مهطعون ترهقهم ذلة، وانكسار كريمان، ومن يتأملهم يجدهم في تسارعهم هذا يختلفون عن أي تسارع آخر في مقاصدهم لحاجات أخرى، ولكن في همم هؤلاء غايات كريمة لا تدرك أبعادها، تنطق بها شفاههم، وتلهج بذكرها قلوبهم، فتبدو في عيونهم وفي جميع جوارحهم.

ولو أمعنت النظر في وجوههم لوجدتها في إشراقها أسعد ما تكون في إشراقها الايماني، ولو سبرت ما في قلوبهم من خلجات روحية أثناء خشوعهم في صلاتهم لعجز أي عقل أو أي فكر أن يحيط بإحساسهم، بإرضاء ضميرهم الروحي تجاه خالقهم المعبود.

وبكل تأكيد إن سعيهم العظيم هذا قد جمع العقل بكل استيعابه، وواكبه متحدا مع القلب والوجدان والروح في أسمىانبثاقهم عن أكمل معنى وأجل حقيقة.

وبعد هذا.. لابد أن نصل إلى القول، كما يرجح عندي - بأن مصدر الشعر والإلهام هو القلب في انعتاقه، والأسبق في إشراقه، فهو القريحة المبدعة. وإن كان هذا الرأي هو الفصل، فهذا لا يعني أن يقلص العقل في هذا الصدد، ويكون بعيدا أو بطيئا عن الإلهام والشعر، بل له باع كريم، وحضور مجيد صقيل، فهو أسرع تناولا وفهما، وأبلغ حكمة، وخاصة في معضلات الأمور.

ولكن يبقى النثر وعاءه الحقيقي مستوعبا كل فكر، فهو حضنه البار يحقق فيه كل مراميه وغاياته.

ومع هذا فالشعر الحق هو الحس والنبض، وخفق القلب، واستجابة الدمع ،وذهول النفس وشرودها، يتسلل في صور مجنحة وردية، وتعبير رمزي واضح بعيد كليّا عن أي ضبابية أو غموض أو إسفاف، بل

يواصل انعتاقه في أجواء سحرية وشطحات خيالية، وشطط متزن، فيجعله ألصق بالنفس والروح، فهو الشعر:

الشعر يغزونا فيعتقنا رؤى
ويصير إلا القلب أن يستأثرا
بالرغم ما يشتد في نزواته
يحيا الجمال بناره مزهوهرا
وهو الطليق إذا أراد إغارة
أو مال عنا لا نراه مقصرا
فطباعه بأصولنا إن سيطرت
أو فارقت فتشف أسمى جوهرا
الشعر هذا الحب ينبت ريشنا
ويصوغنا نغما يهيم مولّها
ووراء بارقة الضحى يزجي بنا
خطوا يتيه مكرما ومدلّها
وعلى طريق الحق يرشد سعينا
ويحثنا نقفو الدروب أجلّها
ويصير يزرعنا قرنفلة العلا
ونروم أعراش الزهور أظلّها■

ذاكرة المرايا

محمد جلال قضيماتي -سورية

يا مرايا النسيان! ذي ذكرياتي
وابعثيها من خلف أسوار أمسِ
أي حلم أراه يعقد جفني
فأراها على خمائل ذاتِ
دون أن ترسم السبيل إليها
غادرتها ولم تغادر مداها
إذ أطلت على طلول انتظار
فاستراحت على مشارف رؤيا –
ذكرتها مواجد الحب يوماً
فنهتها عن الفؤاد رموشٌ
فإذا الشعر والهوى نغماتٌ
وهي تدري بأن مسرى هواها
كلما شاء أن يقول: نهاني
أسكرته انتباهة من عيون
حين راحت على البراءة تتلو
فترى في البيان روحا وراحا
يا مرايا النسيان! ها أنت ذكرى
بك مازال طيف أمسي وما زا
ذكريني –إذا نسيت– دروباً
واعرشيها بأضلع وحنايا
ثم ماذا.. وقد رسمت حياتي
يتراءى على ضفافك إما
أنت ذكرى وإن حجبت رؤاها
فتخلي عما نسيت وكوني
وأنا منك ما استطعت وصولاً
بعضها أنت والبقية مني
يا مرايا النسيان! كم ذكرياتٍ
ثم آبت وفي المشاعر نجوى
أينما كنت ثم روحك تفضي
فاكتبيني في كل لحظة شوق

فاعكسيها على صدى أمنياتي
لم تزل في غماره همساتي
تتراءى بشاطئيه حياتي
عانقت فجرها خمائل ذاتي
نفحة كان ضوعها قرباتي
سكرة الحب عن ندى زفراتي
سكن الروح لائذاً بالرفاتِ
ها مغان غريبة القسماتِ
بالذي كان مؤنس اللحظاتِ
ودعتها سلافة الكلماتِ
رددتها حرائق النغماتِ
قلب صاد مخضب العبراتِ
عن ندى الحب شاطئ الغمراتِ
قدستها سماحة الآياتِ
سورة الملك في ضحى المرسلات
يرسل النور زخرف الحجرات
شاغلت ظل صمتها صفحاتي
ل حنيني مقدس اللمحاتِ
كنت منها أنى اتجهت جهاتي
باسمها كنت تنطقين صماتي
بدخان يفضي إليه مماتي
أرهقت وجهك السني شكاتي؟
فهي ما شئت أن تبوح لهاتي
منزل الوحي في نثار شتاتي
لربوع طهورة النفحاتِ
وكلانا ضراعة المشكاة
غادرتها مرارة السكراتِ
أودعتها في الخافقين صلاتي
لطريق تسمو به طرقاتي
واقرئيني في كل ما هو آتِ

الإبداع بين الرجل والمرأة

قضية للمناقشة

محمد عبدالشافي القوصي - مصر

الواقع يحكي أن مسيرة المرأة العربية متأخرة جدا في شتى الميادين، خاصة في ميدان الإبداع الأدبي والثقافي، والدليل على ذلك أننا لم نجد المرأة الشاعرة التي يشار إليها بالبنان، حتى إن وجدت المرأة المبدعة فحظها قليل جدا في هذا المجال مقارنة بالمبدعين الرجال، بل إن المتتبع لمسيرة الأدب النسوي أو «أدب المرأة» يلحظ عليه طابع الألم، ونبرة التشاؤم والحرمان، وسحابة الحزن التي تغشاه، خاصة في كتابات أعلامه في القرن العشرين أمثال: عائشة التيمورية، ملك حفني ناصف، مي زيادة، وردة اليازجية، زينب فواز، وداد سكاكيني، وجليلة العلايلي، وسهير القلماوي، وعاتكة الخزرجي، ونازك الملائكة، وغيرهن... فهل هذا مرجعه إلى المرأة ذاتها وتكوينها الاجتماعي والنفسي – أم أنه راجع إلى طبيعة المجتمع ذاته؟ أم أن هناك أسباباً أخرى وراء ذلك؟ طرحنا هذه القضية على بعض الأدباء من النساء والرجال معاً، لنستلهم رؤاهم، ونتعرف على وجهات نظرهم.. فإلى التفاصيل:

◁◁ الرجل يضع المرأة تحت الوصاية!

في البداية تقول الأديبة نوال مهنى، عضو رابطة الأدب الإسلامي بالقاهرة: هناك علاقة وثيقة وقديمة جدا بين المرأة والإبداع، فالمرأة هي الملهمة أو المتذوقة أو المبدعة، وفي أي من تلك المراحل فهي مبدعة، والمرأة بحكم تكوينها العاطفي أقرب إلى الإبداع من الرجل، وهناك العديد من المبدعات العربيات منذ القدم مثل الخنساء، وغيرها.

أما عن سبب قلة المبدعات العربيات، فالتقاليد والعادات الاجتماعية في المجتمعات العربية هي سبب رئيس لهذا التأخر، فلا يعود إلى قصور في تكوين المرأة أو قلة في قدراتها؛ بل يعود إلى القيود والسلاسل التي منيت بها المرأة العربية منذ القدم، فهي لم تحصل على حقوقها في حين تمتع الرجل بها بشكل تام، كما أكدت على هذه النظرة المختلفة للأنثى في المجتمعات العربية حيث لا تهتم الأسرة بالفتاة كما تهتم بالذكر، ولا تشجع على تنميتها أو الالتفاف حولها، وليس هذا في مجال الإبداع فقط، ولكن في كل المجالات. بل يعطي المجتمع الرجل الحرية في تناول جميع الموضوعات دون قيود مثل الغزل والحب وغيرها، في حين يعتبرها لا تتناسب مع المرأة مع أنها مشاعر إنسانية واحدة لا تختلف باختلاف النوع.

إذن، فالرجل لعب دورا كبيرا في هذا التأخر، فهو المتحكم في الأنثى أباً أو أخاً أو زوجاً، و بالتالي فهو الذي يتخذ القرارات للمرأة في العديد من الأحيان.. فنراه يحكم قبضته عليها لتبقى دائماً تحت الوصاية!

◁◁ الظروف الاجتماعية.. هي السبب!

من جانبها، ترى د: شيرين عبد النعيم – أستاذ الأدب بجامعة عين شمس – أن الطبقة الاجتماعية عامل رئيسي لإبداع المرأة أو تأخرها، فإذا نظرنا إلى المبدعات العربيات في بدايات القرن سنجدهن ينتمون إلى طبقة اجتماعية معينة ساعدتهم على المضي قدما نحو الإبداع مثل: د. بنت الشاطئ، وسهير القلماوي، وعائشة التيمورية، وغيرهن من المبدعات اللائي وجدن تلك الظروف التي شجعتهن على الاستمرار.

وبذلك فالتأخر عن ركب الإبداع للمرأة العربية لايعود إلى نقص موهبتها، ولكنه يعود إلى الظروف الاجتماعية التي منعتها من ممارسة حقها في الإبداع ولم تعطه لها إلا منذ وقت قريب، وقد أثبتت المرأة قدراتها في ذلك، ففي هذا العصر، رأينا العديد من المبدعات اللائي يشار إليهن بالبنان مثل: نازك الملائكة، وسعاد الصباح، وغيرهن من المبدعات العربيات، وما زال الطريق ممهدا أمام المبدعات الجدد للمضي قدما نحو الإبداع النسائي.

◁◁ عصور الجهل والانحطاط

هذا، وتؤكد الكاتبة والأديبة سهيلة زين العابدين حماد أنه على مر التاريخ كان للمرأة دور رائد في الحياة الثقافية والأدبية مثل: الخنساء أو مثل سكينة بنت الحسين –رضي الله عنهما – التي كانت أول ناقدة أدبية في الإسلام، وهناك ولادة بنت المستكفي، وكثيرات غيرهن، ولو قرأت كتاب أعلام النساء ستجد الكثيرات اللاتي كان لهن دور رائد في الحياة الثقافية والأدبية.

أما في العصر الحديث، فكلنا يعرف ظروف التخلف والانحطاط التي مرت بأمتنا الإسلامية، والتي حكمت على المرأة بالحبس والجهل. والمرأة المعاصرة لم تفشل في ريادة الحياة الثقافية والأدبية، لأن مسيرتها الأدبية إذا قسناها بمسيرة الرجل جد قصيرة، فالرجل خاض ميدان الأدب قبلها بعشرات السنين، ومع هذا كانت هناك رائدات في الحياة الثقافية والأدبية.. على رأسهن د.بنت الشاطئ، كما لاننكر المكانة التي بلغتها مي زيادة، ونازك الملائكة، وعاتكة الخزرجي، وملك

حفني ناصف، وذلك في عصر عمالقة الأدب الحديث.

الإبداع النسائي في المغرب:

وتنفي الأديبة والشاعرة الجزائرية حبيبة ضيف الله تهمة ندرة الإبداع النسائي خاصة في العصر الحديث، قائلة: هناك أسماء عديدة وصل صوتها إلى خارج النطاق المحلي أمثال: أحلام مستغانمي صاحبة رواية «ذاكرة الجسد» التي ترجمت إلى عدة لغات، والشاعرة حبيبة محمدي، وآسيا جبار، وزينب الأعرج، والقاصة والأديبة زهور ونيسي، وغيرهن، وكلهن حصلن على جوائز دولية معتبرة، وهذا دليل على ازدهار المبدعات العربيات خاصة في المغرب العربي، وفي الجزائر على وجه الخصوص.

أفسحوا المجال للمرأة أولا

وتؤكد هذه الرؤية الأديبة الشاعرة د.إخلاص فخري عمارة – الأستاذ بكلية الألسن بجامعة عين شمس – فتقول: إنه لو أتيح المجال للمرأة كما ينبغي، فستظهر قدراتها الإبداعية مثل ما أظهر الرجل قدرته ومكانته في عالم الثقافة والأدب، فمثلا منذ إنشاء رابطة الأدب الإسلامي، رأينا لفيفا من الأديبات اللائي عانقن الفكرة الإسلامية بقوة، وقدمن نتاجا أدبيا

-إبداعا وتنظيرا – غاية في الجمال والبيان، وعلى رأس هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر: الدكتورة آمال لواتي، د. سميرة فياض الخوالدة، وسمية عبد الله الهاشم، د. رجاء محمد عودة، لطيفة عثماني، وسعاد الناصر، وسهيلة حماد، د. مكارم الديري، وإنصاف بخاري، وغيرهن الكثيرات من الخليج إلى المحيط.

المرأة أسهمت في صناعة هذا الواقع:

أما الشاعر محمد إبراهيم أبو سنة – نائب رئيس الإذاعة المصرية، فقد كان له رأي آخر في هذه القضية، حيث يرى أن طبيعة المرأة تتحكم في قلة الإبداع النسوي، حيث إن المرأة العربية في الغالب تهتم بالبيت والأطفال والزوج مما يحرمها من توجيه قدراتها نحو الإبداع حتى لو امتلكت الموهبة المطلوبة، وهي كذلك في كل المجالات مثل السياسة والحرب.

وقد أسهمت المرأة في تأخرها بيدها فلا يوجد مبدعات عربيات يستطعن التضحية من أجل الموهبة مثل المبدعات الأوائل «نازك الملائكة» و«سهير القلماوي» و«ملك عبد العزيز» و«لطيفة الزيات». مؤكدا نجاح المرأة مثلا في مجال العلوم والاجتماع بشكل كبير، كما أشار إلى القيود الاجتماعية التي حدت من الإبداع النسوي ولكن على استحياء.

وأكد الشاعر أبو سنة أن المرأة تحيا أزهى عصور الحرية والإبداع فعليها أن تثبت قدراتها خاصة بعد تغير الظروف.

◂◂ المرأة خلقت لرسالة أخرى!

على جانب آخر، حول سر تخلف مسيرة المرأة في عالم الإبداع والأدب عن الرجل، يقول الأديب اليمني د. عبد الولي الشميري: إن الطبيعة الفسيولوجية للرجل أتاحت له فرصة الخروج والاطلاع بما لم يتح للمرأة، أيضا لوحظ أن وجدان الرجل متميز عن وجدان المرأة، ولعل هذا التميز الخلقي في هذا الكائن الذكري أتاح له أن يكون رائدا أو قائدا لأي جنس آخر، سواء في البشر أو الكائنات الأخرى. حتى إن الله – سبحانه وتعالى – جعل القوامة للرجل على المرأة، ولم يأت هذا التفويض عبثا، وإنما لحكمة إلهية، مشيئة عليا، أوجدت في الرجل القدرة على القيادة والبحث والتمحيص، وقد يشذ من جنس الرجل عدد لا تنطبق عليهم القاعدة.

لكن المرأة خلقت لرسالة أخرى جليلة القدر، عظيمة المكانة، وهي التميز العاطفي بالرقة والحنان.. إنها وردة لا تحب الذبول أو الجفاف أو حر الهواجر، فمهمتها في الحياة تختلف عن مهمة الرجل، وبالتالي فكان حظها في صراع الوجود صراع يتناسب مع طبيعتها، ومن ثم جاء إبداع المرأة دون مستوى إبداع الرجل. إن عالم الرجل هو الصحراء والبيداء والحروب وخوض المخاطر وصناعة القرار، وغير ذلك من الصعاب وتكاليف الحياة. بينما عالم المرأة هو عالم الظل الوارف، والورد الفواح، والماء الزلال، والحنان الدائم، والأمومة الحانية.. ومن يتجاهل هذه الفوارق، فقد يتجاهل الحكمة وراء تأخر أو ندرة عطاء المرأة عن الرجل في عالم الإبداع وميدان الأدب.■

حصاد السنين

شعر محمد حسن داود – مصر

قطار العمر ولى بالأماني
وما أدركت مخبوء المعاني
كتاباتي سراب ليس إلا
وجهد ضائع عبر الزمان
وما لي حيلة هذي طريقي
فقد أخلصت لم يفتر جناني
حظوظ ما لنا فيها اختيار
وساقية بساحتها أعاني
على درب الجديد قطعت شوطاً
ومارست البلاغة في بياني
فما هش الحضور لأغنياتي
وما هتفوا لأنغام المثاني
فلا النقاد أولوني اهتماماً
وقد ذبلت شجيرات المغاني
فنون الشعر ما استعصت علينا
بسطناها أهازيج الحسان
وملحمة العبور لها هدير
من التعبير أنشدها لساني
دواويني تجلت بالقضايا
ثمانية كأزهار الجنان
أرى شمس السعادة في أفول
وعدنا دون فوز في الرهان
شربت الصبر أعواماً طوالاً
أكان ترفعي سبب الهوان
موازين العدالة لا تلبي
نداء الحر في الزمن المدان
ولكني على الأشواك أمضي
فلا يجدي الوقوف ولا التواني

إضاءة على رواية
موضي حلم يموت تحت الأقدام

د.عبدالباسط بدر

يلحظ كل متتبع للحركة الأدبية المعاصرة اقتحام الرواية لساحاتنا الثقافية بإنتاج غزير ومزاحمتها للفنون الأدبية الأخرى، واختلاط الغث بالسمين، وربما قلة السمين والمفيد أمام ركام الهابط والتافه.

ولكن ثمة تيار يشق طريقه بصعوبة وسط ذلك الركام، يحمل في طياته الإبداع الفني المتألق، والمضمون الإيماني السامي، يضعه أدباء وهبهم الله قدرات فنية عالية، ووجدانات مؤمنة تدرك أهمية الكلمة وخطورتها، وتدرك مسؤولية الأديب المسلم في إبداع أدب جميل هادف يُمتع النفس، ويعزز القيم الإيمانية في الفرد والمجتمع، ومن عطاءات هذا التيار رواية عنوانها (موضي.. حلم يموت تحت الأقدام) للأديب الدكتور محمد الحضيِّف. (نشر دار البراء، ط١، الرياض، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

تعرض الرواية بأسلوب درامي يعتمد على تداخل الأحداث وبروز المفاجآت وامتزاج الحوار الداخلي بالحوار الخارجي قصة أسرة فقيرة، تورط ربُّها في منزلق المخدرات فحكم عليه بالسجن سنوات طويلة، قضى في أوائلها، وترك زوجة شابة تنوء برعاية خمسة أبناء وبنات أكبرهن (موضي) ذات الخمسة عشر ربيعاً والطالبة في الصف الثالث المتوسط، ورغم اجتهاد الأم في تربية أبنائها وزرع القيم الدينية فيهم تتعرض (موضي) لإغواء زميلة منحرفة في صفها، تعجب موضي بما تراه عليها من ثياب وحلي صناعية، فتعطيها رقم هاتف أحد الذئاب البشرية، الذي يعدها على الهاتف أن يحقق لها كل أمنياتها من طعام وشراب وحلي، ويطلب منها أن تتخلف عن المدرسة صباحاً ليصحبها في جولة ماتعة.

وتستجيب لطلبه، وتركب معه في سيارته الفارهة، ولكنه ما يلبث أن يلحظ سيارة كبيرة خلفه، فيظنها من سيارات الجهات التي تكافح الفساد الأخلاقي، ويسرع ليفر منها فيصدم سيارة (محمد) بطل الرواية، ويحاول أن يهرب منه، لكن محمداً يتبعه بسيارته، فيزداد فزعه، ويتمهل، ثم يفتح الباب المجاور ويقذف بموضي ليتخلص من تهمة أكبر، وينطلق بسرعة هائلة.

يفاجأ محمد بالجسم الملقى ويتوقف ليسعفه، فيما تنهض موضي تلملم عباءتها وكتبها المتناثرة، وتضرع إليه أن يستر عليها، ولا يسلمها لجهة رسمية أو لأهلها، ويرق لها محمد عندما يدرك أنها فتاة بريئة اجتمع عليها الفقر والحاجة وإغراء زميلتها المنحرفة وطيش المراهقة، ويقرر الاستجابة لطلبها والتعرف على أسرتها وربطها بإحدى الجمعيات الخيرية لمساعدتها، وعندما تخبره أنها لم تأكل شيئاً من ظهر اليوم السابق يأخذها إلى مطعم عائلي، ثم يتعرف على مكان بيتها، وينزلها قرب مدرستها عند انتهاء الدوام.

وفي المساء يذهب إلى بيتها مدعياً أنه باحث اجتماعي في إحدى الجمعيات الخيرية يريد دراسة حالة الأسرة لتأمين مساعدة دائمة لها، ويطلع على أحوال الأسرة المؤلمة، ويعطيهم شطائر «برغر» لم يتذوقوها من قبل، فيتعلق به الأطفال ويحدثون في نفسه مزيجاً من الألم

والشفقة والإحساس بتقصير الميسورين – وهو منهم – في الاهتمام بالأسر المحتاجة المستورة، وخاصة التي يغيب عائلها وتفقد موجهها، وترهق الأم بتأمين حاجاتها، والمحافظة على قيمها، أمام تيار جامح من إغراءات الحياة المادية، وإفرازات البرامج والتمثيليات الهابطة والدعايات المزوقة بما تشتهيه النفس من طعام وشراب وزينة ومتارف أخرى كثيرة، تزيد الفقراء المحرومين غصة، وربما تسهل لهم الوقوع فيما كادت موضي أن تقع فيه!.

ويكرر محمد الزيارة للأسرة، ويحمل إليهم بعض الحاجيات والطعام فيزداد الأطفال تعلقًا به، ويصحبهم إلى أحد مراكز الألعاب فتتعمق في نفسه أحاسيس الشفقة على الأطفال، والألم لما يعانيه المحرومون منهم، والخوف عليهم من مستقبل مجهول لغيبة المعيل والموجه، ويدرك حجم المسؤولية الكبيرة التي تترتب على المجتمع في سد هذه الثغرة، والأخطار الهائلة التي سيواجهها إذا تركت وانحرف من انحرف من ذكور وإناث.

وتمضي أحداث الرواية في خط المفاجآت فينزلق لسان موضي وهي تشاهد مع أخواتها دعايات المطاعم، وتخبرهم أنا دخلت أحدها بصحبة محمد، ويبلغ الخبر الأم فتضربها ضربا شديداً وتمنعها من الذهاب إلى المدرسة، وترفض استقبال محمد ومعوناته، ويصدم محمد الذي تستر على موضي ليقينه أنها تلقت درساً قاسياً وأنها لن تكرر خطأها، ويضطر أمام إصرار الأم التي لم تخبرها ابنتها بحقيقة الأحداث إلى أن يحكي لها كل التفاصيل، فيتغير موقفها، وتدرك مدى نبله، وتنفجر بالبكاء أمامه، وهي في حجابها، وتطلعه على ما تتعرض له من مخاطر لتأمين معيشة أبنائها والمحافظة عليهم، وأخطرها محاولات امرأة فاسدة إغواءها لتجاريها يوماً واحداً في الأسبوع في دروب الرذيلة مقابل مبلغ يوفر لها كل حاجات أسرتها، بل وتهددها بالتسلط على ابنتها موضي بوسائلها الشيطانية وإغوائها، وتشكو إليه حاجتها إلى من يحميها ويوجهها أكثر من حاجتها إلى الطعام والشراب.

وتنتهي الرواية بمشهدين متداخلين؛ مشهد ضراعة الأم وقد أدركت سمو القيم فيه ألا يتركهم، بل وعرضها أن تزوجه موضي، وسؤال الأطفال المتعلقة عيونهم وقلوبهم: متى سيأخذهم إلى نزهة البر التي وعدهم بها من قبل.

وبعد:

فإن هذه الرواية التي أبدعها مؤلفها ببراعة كبيرة، وصاغ أحداثها بأسلوب عذب، تأخذ بمجامع النفس لأنها تصور الأشخاص والأصوات وكأنها بين أيدينا، نرى قسمات وجوههم، ونحس نبض قلوبهم، ونتلقى الرسالة التي تحملها، والمشحونة بالقيم الإيمانية والمشاعر الإنسانية، كما نحس بصدق قضيتها؛ قضية أسر المسجونين والغائبين التي فقدت العائل والموجه، والنذير الذي لا يكذب بخطورة الغفلة أو التغافل عن آثارها المدمرة.

وهذه الإحساسات -ولا شك- شهادة تقويم وتقدير لهذا العمل الأدبي الإسلامي، ورسالة إلى أدبائنا الذين يكتبون الرواية بالذات أن يغوصوا في أعماق مجتمعاتنا، ويمتاحوا منها مادة لأعمال أدبية، بل ولتمثيليات وأفلام أيضاً، وأن يعالجوها برؤى إسلامية صافية. وأنا على ثقة بأنهم سيلقون النجاح والتفوق وتقدير الجماهير، وسيلقون قبل ذلك كله، ولا أتألّى على الله، وعد الله الذي لا يخلف أبداً بأنه لا يضيع أجر المحسنين ■

جحا والسلطان

(مسرحية نثرية من فصل واحد)

نوال مهني- مصر

الشخوص:

جحا.

السلطان.

- الوزير.

ثلاثة من الوجهاء.

صاحبا جحا.

المنظر الأول

(قاعة فخمة في قصر السلطان، يتصدرها كرسي عال مذهب مزين بالزخارف، يجلس عليه السلطان بملابسه الفخمة، وعمامته الكبيرة اللامعة، وعن اليمين يجلس الوزير، وعن اليسار يجلس ثلاثة من الوجهاء جلساء السلطان).

(١)

السلطان: (**في لهجة مفخمة**) أهلا بكم أيها الوجهاء المحترمون في قصرنا.

الوزير: مولاي! لقد حضر هؤلاء الأفاضل خصيصا للتهنئة بذكرى جلوسك السعيد.

أحد الوجهاء: (**يقف وينحني احتراما، ثم يوجه حديثه للسلطان**)

مولاي السلطان المعظم، أطال الله عمرك، لقد أتينا لنهنئ بعيد جلوسك المبارك على العرش، ونغتنم الفرصة لتأكيد ولائنا وإخلاصنا لجلالتكم.

الوجيه الثاني: (**يقف ويؤدي التحية**) أصلح الله مولاي السلطان، وأطال عمرك وأدام أعيادك.

الوجيه الثالث: (**يؤدي التحية**) إننا يا مولاي نشرف بالعمل تحت قيادتكم الحكيمة، ونبارك آراءكم الرشيدة في سياسة الرعية، وخطواتك السديدة في حكم السلطنة.

السلطان: أشكر لكم إخلاصكم وولاءكم، وأدعوكم للتعاون مع رجال الحكومة، لصالح الرعية والنهوض بالسلطنة (**يلتفت إلى الوزير متسائلا**) كيف حال الرعية؟ وما أخبار السلطنة في هذه الأيام؟

الوزير: الرعية لا تكف عن الدعاء لمولاي صباح مساء، فهم ينعمون في بحبوحة من العيش! أما السلطنة فيعمها الرخاء، ويظلها الأمن والأمان، في عهد مولاي السعيد.

السلطان: ألا توجد أخبار عن أي شيء يشغل الناس؟

الوزير: لا شيء يشغل الناس هذه الأيام سوى هذا الأحمق المسمى جحا،

إنه مثار أحاديث العامة والخاصة مع اختلافهم فيه، بعضهم يراه حكيما، والآخر يراه معتوها!.

الوجيه١: إنه رجل بسيط وساذج، يضحك الناس بتصرفاته الغريبة، وكلما انشغل الناس به تمادى في سخافته، حتى أصبح حديث المدينة.

الوجيه٢: لا أعتقد أنه ساذج، إنه لئيم مخادع يسعى إلى الشهرة، وربما كانت له مآرب أخرى.

الوجيه٣: إنه شخصية مثيرة للجدل، تجمع كل النقائض، فلا يعرف إن كان كريما أم بخيلا، طيبا أم خبيثا!

الوزير: هذا صحيح يا مولاي، إنه شخص محير، فأحيانا يبدو ذكيا، وأحيانا يبدو غبيا!.

السلطان: (**وهو يصلح لحيته بيده**) هو رجل طرفة على كل حال، وأنا أرى أنه ذكي ولكنه يتغابى أحيانا!.

الوجيه١: الغريب أن الناس يحبونه ويلتفون حوله، ولا أدري لماذا؟!

الوجيه٢: والأكثر غرابة أن أهل المدينة يتعمدون الوقوف في الطرقات التي اعتاد السير فيها، لمشاهدته، والحديث معه، ولا أدري لماذا؟!

الوجيه٣: أهل المدينة يحبون المرح والفكاهة، وهم ينتظرونه حتى يتندروا عليه ويتسلوا بنوادره.

(٢)

(**طرقات على الباب ثم يدخل الحاجب مستأذنا**)

الحاجب: مولاي لقد حضر جحا كعادته ومعه صاحباه، ويقفون أمام باب القصر، ولا يكفون عن الهرج والمرج، وكلما أبعدناهم عادوا مرة أخرى وزاد ضجيجهم، وزعيمهم جحا يصر على مقابلة مولاي السلطان لأمر مهم!.

الوزير: اسمح لي يا مولاي باستخدام القوة مع هؤلاء المتنطعين، لأن زعيمهم المعتوه لن يرتدع بغير القوة، إن غباءه وحماقته يدفعانه لمناطحة الكبار، حتى إنه يطلب مقابلة السلطان لأمر مهم!!

الوجيه١: (**متعجبا**) لأمر مهم!! من يكون هذا المهرج الأحمق حتى يقابل السلطان؟ وأيّ أمر مهم يكون عند أمثاله؟!

الوجيه٢: لا بد أنه جاء يطلب عطية في عيد جلوس مولانا السلطان على العرش.

الوجيه٣: ألم أقل لكم: إنه لئيم خبيث!؟ يريد أن يظهر أمام العامة .. أنه يقابل سادة القوم حتى السلطان نفسه، إنه باحث عن الشهرة.

الوزير إذن لا بد أن يعاقب، حتى يكف عن سخافاته، ويعرف موقعه ولا يتعداه، ويكون عبرة لأمثاله.

السلطان: لا داعي لاستعمال العنف معه، ولا أرى أنه غبي أو أحمق، بل أعتقد أنه شديد الذكاء، ويدعي الغباء أحيانا، ربما لحاجة في نفسه، وسأثبت لكم ذلك الآن، أدخله أيها الحاجب.

(٣)

(**الجميع ينظرون بعضهم إلى بعض باستغراب ويلتزمون الصمت، يدخل جحا ويبدو من ملابسه وحركاته الغريبة في هيئة المهرج، فيغرق الجميع في موجة من الضحك**)

جحا: (**وهو ينحني أمام السلطان**) سلام على سلطان البلاد، ومحبوب العباد، الفقراء منهم والأسياد.

السلطان: (**يضحك بصوت عال**) طلبت مقابلتي يا جحا، فماذا كنت تريد!؟

جحا: جئت أهنئ بأسعد الأعياد، وأدعو لمولاي بالتوفيق والسداد، والنصر والإسعاد.

السلطان: حسنا حسنا، اسمع يا جحا، أريد أن أختبر ذكاءك، وسوف أعطيك عطية كبيرة، حال نجاحك في الاختبار.

جحا: أمر مولاي.. وما نوع الاختبار هذا؟

السلطان: سوف أطرح عليك بعض الأسئلة، وعليك أن تجيب عنها، أو تكمل الفكرة التي أقصدها ولكن..

جحا: (**في ترقب**) ولكن ماذا يا مولاي؟

السلطان: ولكن الأسئلة ستكون صامتة، أي أنني سأكلمك بالإشارة، فإذا فهمت مقصدي أجب بالإشارة أيضا، دون أن تنطق بكلمة واحدة، هيا استعد وانظر لحركة أصبعي.

(الجميع في ذهول، وهم ينظرون إلى الحوار الصامت بين السلطان وجحا في تعجب وترقب)

السلطان: يصوب أصبعه السبابة في وجه جحا.

جحا: يصوب أصبعيه السبابة والوسطى في وجه السلطان!.

السلطان: يشير بأصبعه السبابة لأعلى.

جحا: يشير بأصبعه السبابة لأسفل!.

السلطان: (**يصفق ضاحكا**) أيها الوزير لقد نجح جحا في الاختبار! أعطه كيسا من الذهب. (**يلتفت إلى الوجهاء**) ألم أقل لكم: إنه ذكي يتغابى أحيانا!؟

(جحا يخطف كيس النقود من يد الوزير بسرعة، فيسقط منه دينار على الأرض، فينحني ويلتقطه بلهفة ويهم بالخروج)

السلطان: (**غاضبا يصيح في جحا**) توقف أيها البخيل! ألا يكفيك كيس من الذهب؟! لماذا تخطف الدينار بهذه اللهفة؟

جحا: (**في مسكنة وتوسل**) مولاي! أنا ما خطفت الدينار بخلا مني، ولكني خشيت أن يطأه قدم وعليه اسم ورسم مولاي السلطان المعظم!.

السلطان: (**يصغي لمقولة جحا بإعجاب، وقد انفرجت أساريره ويصيح**)

يا وزير! أعط جحا كيسا آخر من الذهب!!.

الوزير: (**يقدم الكيس الثاني لجحا وهو في غيظ وحنق**) خذ أيها المنافق.

جحا: **(يتسلم الكيس من الوزير، ثم ينحني أمام السلطان شاكرا وهو يردد)**

أدام الله عز مولاي، أطال الله عمر مولاي. (**ينصرف**)

(٤)

الوزير: لم نفهم شيئا يا مولاي مما دار بينك وبين جحا، وعلام استحق هذه العطايا؟

السلطان: سأشرح لكم هذا الاختبار، فقد أشرت إليه بأصبعي.. أي إن الله واحد! فأشار لي بإصبعيه.. أي إن الله ليس له ثانٍ!! ثم أشرت بأصبعي إلى أعلى.. أي إن الله يرفع من يشاء! ففهم مقصدي وأشار بإصبعه إلى أسفل.. أي إن الله يخفض من يشاء!! ألا ترون أنه شديد الذكاء، سريع الفهم!؟.

الوزير: هذا والله أمر غريب، كيف فهم هذا الأحمق تلك الإشارات، وعرف مقصد مولاي وأجاب عن الأسئلة!؟

الوجهاء: (**في صوت واحد**) أمر غريب حقا! بل إنه أعجوبة من عجائب الزمن!.

المنظر الثاني

(خارج بوابة القصر، يقف صاحبا جحا في انتظاره، يبدو عليهما القلق، يخرج جحا من البوابة بعد أن أخفى الدنانير الذهبية في جيوبه، وبدا منتشيا يضحك تارة، ويرقص تارة، بينما صاحباه ينظران إلى جيوبه المنتفخة وهما في دهشة من أحواله المتقلبة)

الصاحب الأول: أخبرنا يا جحا عما دار بينك وبين السلطان، وعلام هذا السرور البادي عليك؟

الصاحب الثاني: حينما دخلت كنت خائفا مكتئبا، فما الذي غير حالك وجعلك تخرج مبتهجا هكذا؟

جحا: فقط كنت مرتبكا حين دخولي، وأخشى من رد فعل السلطان، عن طلب مقابلته، لكنه استقبلني بحفاوة كواحد من القادة الفاتحين أو من علية القوم، وقام من مجلسه مسلما عليّ ومرحبا بي!.

الصاحب الأول: يا سلام!! كف عن هذا الهراء يا جحا، من أنت حتى يقف لك السلطان؟

الصاحب الثاني: هل تظن أننا نصدقك فيما تدعي!؟ احك لنا أولاً ماذا حدث معك منذ أن دخلت القصر حتى خرجت إلينا!.

جحا: لقد اختبر السلطان ذكائي وسرعة بديهيتي، وسألني أسئلة صامتة، أجبت عنها إجابات صحيحة وقاطعة، فأثنى على ذكائي وامتدح مواهبي.

الصاحب الأول: أسئلة صامتة.. كيف!؟

الصاحب الثاني: ما دامت الأسئلة صامتة، إذن كيف سمعتها وفهمتها وأجبت عنها؟!

جحا: بالإشارة أيها الغبيان.. بالإشارة..! إنها أسئلة للأذكياء فقط، هل فهمتما؟ للأذكياء فقط..!

(يشير بإصبعه إلى رأسه)

الصاحب الأول: (**ساخرا**) وما هذه الأسئلة يا ترى؟ نريد أن نعرف.

الصاحب الثاني: نعم.. احك لنا هذا الاختبار العجيب، كي نرى ذكاءك.

(يقف جحا في مواجهة صاحبيه، ويشير إليهما بإصبعه ثم يتابع الحديث)

جحا: هكذا فعل السلطان، فأجبته هكذا (**يشير بإصبعيه السبابة والوسطى**)!

ثم أشار السلطان بإصبعه إلى أعلى هكذا (**يشير بإصبعه إلى أعلى**)

فأجبته على الفور هكذا (**يشير بإصبعه إلى أسفل**)!

الصاحب الأول: اللهم صبرني على هذا البلاء.

الصاحب الثاني: وما معنى هذا يا فصيح زمانك؟

جحا: (**في خيلاء**) لقد أراد السلطان أن يهددني ويقول لي: سوف أخلع عينك! فقلت له: بل أنا الذي سوف أخلع عينيك الاثنتين!! ثم قال لي: سأعلقك في السقف! فقلت له: بل أنا الذي سوف أخسف

بك الأرض!!

الصاحبان: **(ينظران إلى جحا في ذهول غير مصدقين!)**

الأول: لابد أنك فقدت عقلك، وكيف تركك السلطان تخرج دون عقاب؟

الثاني: كان يجب أن تسجن أو تقتل بعد هذه الجرأة، لقد تجاوزت كل حدود الأدب.

جحا: السلطان يعرف قدري، ومدى شعبيتي ومنزلتي عند الناس، لذا لا يريد معاقبتي كي لا تثور عليه الرعية.

الصاحب الأول: إذن لماذا لم يكافئك على ذكائك وفطنتك؟

الصاحب الثاني: لو أن ما تقوله صحيح، لتفضل عليك بشيء من المال وشملك بعطفه السلطاني.

جحا: لقد عرض عليّ المال الوفير فرفضت في إباء واعتزاز.

الصاحبان: **(في صوت واحد)** ترفض المال!! لماذا يا جحا؟ لقد عهدناك طالبا للمال دوما.

جحا: أنا يا صديقيّ كما تعرفان عني رجل عفيف النفس، ولا أحب المال الذي يأتي بغير عمل وجهد، ويهمني التقدير المعنوي والاحترام الشخصي، أما المال فهو زائل!.

(الصاحبان يتأملانه ويضحكان، بينما جحا يرقص ويدور حول نفسه، فتتناثر الدنانير الذهبية من جيوبه المثقوبة دون أن يدري، فيجمعها الصديقان ويلوذان بالهرب، وهو مستمر في الرقص، بعد فترة يلتفت حوله فلا يرى صاحبيه، ويتحسس جيوبه فيجدها خاوية، فيسقط مغشيا عليه).

– ستار –

الحل

ياسين أبو الهيثم - المغرب

ترتقي في درجات سلم العمارة فتبلغ باب شقتك. خبطت اليوم، طوال اليوم حتى تشققت قدماك. لقد ذرعت أزقة وشوارع المدينة العتيقة والجديدة بلا طائل. كنت تفكر الوقت كله في شرود وما تزال كذلك. ضغطت على زر الجرس عابثا فتنبهك رنينه إلى وجود المفتاح معك. مطت شفتيك ممتعضا فغرقت في حزنك. كررت الضغط على الزر مركزا نظريك في ثقب بالباب ستعاينك من خلاله زوجتك قبل أن تفتح لك، فلطالما نصحت لها بذلك اتقاء كل أمر منكر أو إحراج . وألفيت نفسك حيال زوجتك. كانت تحملق فيك وفمها منفغر . كان من المفروض أن ترجع في العاشرة – كما سبق أن أخبرتها – أو موعد الغداء على أبعد تقدير ، لكن نحن مساء الآن، ومن الطبيعي أن تدهش. سبقتك إلى الصالة، وعلى أريكة إزاء التلفاز المشغل رمت بجسدها . خطر لك أن تقدم العذر لها . بدا بجلاء أن الغضب بها يشيط، بيد أنه سرعان ما تاهت فكرتك وسط أفكار متداخلة سابحة في تموج. تناظرتما حينا فافترت إذ اغرورقت عيناك. وهي تعيد وضع رأسك حاولت كعادتها أن تمسد بطرف أصبعها بين حاجبيك المنزويين، لكنك أرخيته إلى بطنها المنتفخ إرخاء. ساورك شعور بالراحة ثم داهمك سبيل الألم مجددا. كانت زوجتك ترطن بكلام لم تتبينه. لوحة سوداء تكاد تستأثر بعينيك، وطنين نافذ بأذنيك . أهذا المشهد الكابوسي عابر أم أنه وجد صاحبه؟! عاودك الهدوء لما كانت زوجتك تقترح طعاما عليك. تذكرت أنك لم تتذوق شيئا منذ الصباح، ومع ذلك رفضت الاقتراح . أنت تجهل في هذا الأوان ولو باعثا واحدا على الأكل...

كم هو فظيع أن تتسبب في إيذاء الآخرين! جهدت في امتلاك شقة، وتكوين أسرة صغيرة كانت لا محالة ستكبر لولا...!

فكرت في زوجتك في ابنك القادم إلى الحياة بعد أيام . وفكرت في حلول عديدة ستحمل على اختيار أحدها حتما ■

أبو نواس يعظ

د. حيدر الغدير - السعودية

الليل ساج والدجى أستارُ ... أما نداميَ فيه فالتذكارُ
والشعر لي خل يطيب حديثه ... والصمت والأطياف لي زوار
وأنا السعيد بخلوة أشتاقها ... لتبوح لي عن كنهها الأسرار
عجلانَ جاء إليَّ طيف راعني ... ما عاقه باب ولا أسوار
من أنت؟ قلت، وهل رأيتك مرة!؟ ... فأجاب: لا، لكنها الأشعار
قد قلتُها فقرأتَها فعرفتَني ... والشعر قربى بيننا تُشْتار
قد ضمنا في خيمة أو روضة ... غناء أهداها الحيا آذار
يحلو به سمرٌ، ويصغي سامعٌ ... وكأنه بين الحضور هزار

* * *

إني النواسيُّ الذي ديوانه ... خمر على جمع العصاة تدار
يهفو لها نهم ويسرع آثم ... ويحبها المخمور والخمار
قد كنت للشيطان طوع بنانه ... فأنا له عبد وقيدي العار
ما كان يغويني لأني عن رضا ... أحببته ودعتنيَ الأوزار
والمرء إن ضل الهدى عبثت به ... حمى الجنون ولوثة وسعار
«ولقد نهزت مع الغواة بدلوهم ... وأسمت سرح اللهو» أني ساروا
«وبلغت ما بلغ امرؤ بشبابه ... فإذا عصارة كل ذاك» تبار

* * *

وأنا أحذر كل قاف سيرتي ... منها ويحمي الأذكياءَ حذار
مهما بدت فتانة فهيَ الهوى ... وشميمها الأقذاء والأوضار
والمنتهى مرض وعقل أحمق ... يشقى به أهل ويألم جار
تَعْساً لمرء يشتري من ماله ... أسواءه والشهوة السمسار
وإليك نصحي خالصاً وكأنه ... مزن الضحى ترنو له الأبصار
التوب أرجى ما يفوز به الفتى ... قبل الرحيل، فإن أبى فالنار
هي داره وخياره وقراره ... سُحْقاً له إذ ضل منه قرار
والمرء بين ثوابه وعقابه ... حر له في البعث ما يختار
والله غفار إذا هدنا له ... والعفو منه صيب مدرار
وإذا أبينا فهو أغلب غالب ... ومدى العقاب الكون والأدهار

الرؤية التنويرية في نص

وإن زحفوا فللدنيا هدير

للشاعر: محمود مفلح

إذا كانت مصطلحات النقد الثلاث (الرؤيا والمنهج والمصطلح) ما زالت على عتبات التجديف النقدي العربي فإن نصاً كنص الشاعر محمود مفلح المسمى (وإن زحفوا فللدنيا هدير)(*) قد استطاع أن يشرع أجنحته باتجاه بوصلة الرؤيا العربية الإسلامية للجهاد العربي الفلسطيني الذي يمثل نقطة الانطلاق الأولى لنبذ كل معطيات الزحف الصهيوني الصليبي الذي يحاول أن يعيد الكرّة في سيطرته على المشرق العربي، ونحن نعرف أن فلسطين هي نقطة البدء، وأن القدس هي محطة الاستراحة الأولى التي عوّل عليها أتباع الاستعمار والذين جاؤوا يحملون إلى الشرق عودة المسيح الدجال بصورته (البوشية).

شعر

وإن زحفوا فللدنيا هدير

محمود مفلح - فلسطين

إذا كانت قدور الناس تصفو ... فإن قدورنا أبداً تفورُ
و إن كانت همومهم رماداً ... فإن هموم أصغرنا سعيرُ
نغني والنوافذ مشرعات ... على دمنا و ترمقنا القبورُ
فلا الأطفال في بلدي صغار ... و لا وجه الطفولة مستديرُ
ولا فصل الشتاء به شتاءٌ ... ولا زهرُ الربيع به نضيرُ!!

* * *

لقد كبر الصغار على الأماني ... وأنضج خبزهم همٌّ كبيرُ
وصار لكل ملحمة إمام ... وصار لكل قافية جريرُ
وللزيتون في دمهم حُداء ... وللأقصى حداؤهم الأخيرُ
فناديل تسافر في دجانا ... وتصعد حين يُقلقنا المصيرُ
جبال النار تعرفهم وسفح ... به زاحت دوائرهم تدورُ
ومن قبل الصلاة لهم صلاة ... ومن بعد الطهور لهم طهورُ
أقول لجوقة الأقمار: غيبي ... فعمل سمائنا قمر منيرُ
يمر على القوافل أن ترانا ... لنا قدم لها ولنا نسيرُ!!

* * *

أيخدعنا بمنطقه غبي ... ويكبتنا الطغاة كما أرادوا
ويكبتنا الطغاة كما أرادوا ... كأنا في مهب الريح ريش
نحدق بالشموس فلا ترانا ... ويحفرنا الجناح فلا نطيرُ
ونأكل خبزنا من غير ملح ... ونمشي والسواد لنا أسيرُ!!
كأن القدس ليس لها رجال ... و شعب القدس ليس له جذورُ
و لا اكتئبت ملاحمنا مواضٍ ... و لا عشقت شواهقنا نسورُ

* * *

و أعجب كيف بعض القوم يُبْغى ... عليه فلا يغار و لا يغيرُ
و تهذ البلاء ومن عليها ... و في الحانات تهذ الخصورُ

٨٠ الأدب الإسلامي العدد ٦٤

د.حسين علي الهنداوي - سورية

إذن نحن أمام نص يرسم فيه شاعرنا رؤية جديدة قديمة لمنطلقات الجهاد ضد المستعمر، ويؤطر فيه لمعان عروبية إسلامية تستحث الخطا باتجاه العودة إلى تخليص القدس من قبضة مغتصبيها، والذين يحاولون في هذه المرة أن يهودوها ضمن أسطورة مملكة سليمان التي تمثل من وجهة نظر الآخر نقطة النهاية لتشرد اليهود الذين اقتلعوا من الأرض العربية أصحابها، وأحلوا مكانها مجموعة من الشراذم تتسافد على عتبات المسجد الأقصى معلنة عصراً جديداً.

* نشرت في مجلة الأدب الإسلامي في العدد الخاص عن القدس برقم ٦٤، ص٨٠-٨١.

نص وإن حمل بين جنبيه هموم الجهاد العربي الإسلامي الفلسطيني بشكل خاص إلا أنه عكس ذلك على عروبية هذا الجهاد الذي مثله في هذا العصر الصعب و(الذي تخلت فيه الكثير من الزعامات العربية عن مهمة استرداد ما سلب من الأرض) أطفال فلسطين، وتلك معادلة صعبة حين يتخلى الرجال وتنبري سواعد الأطفال لتعيد السليب من الأرض أو على الأقل لتثبت أقدام الأجيال القادمة على هذه الأرض لعل وعسى أن ينطلق (صلاح الدين آخر) يعيد ما سلب من كرامة وأرض وعرض.

صورة عرضها الشاعر من خلال الوهن الذي أصاب الأمة، وأخص بالذكر ما أصاب رجالاتها فأصبحت الهموم رماداً لم يبق من جمره إلا سعير الطفل الفلسطيني الذي لا يتوانى أن يشتعل في كل لحظة نارا على أعدائه ونوراً لأبناء جلدته:

إذا كانت قدور الناس تصفو

فإن قدورنا أبداً تفور

وإن كانت همومهم رماداً

فإن هموم أصغرنا سعير

نغني والنوافذ مشرعات

على دمنا وترمقنا القبور

هذه التفاؤلية التي تقفز من ذاكرة الشاعر تؤكد أن بريق الأمل ما زالت أضواؤه تتلألأ في سماء القدس التي خصها الشاعر بهذه القطعة من كبده على الرغم من الدماء التي ما زالت تثعب من الجرح الطفولي الفلسطيني الذي حول وجه الطفولة الفلسطينية إلى تجاعيد تخفي في أسرارها العزيمة والإصرار على سحق كل من يريد أن يجعل من القدس هيكلاً جديداً يغنّي أمامه نشيد الموت العربي.

وقد أوحى لنا الشاعر بذلك حين أشار إلى أن وجه الطفولة الفلسطينية لم يعد مستديراً كالوجوه الأخرى، بل أضاف إلى هذا الوجه الهمَّ الطفولي الذي توقد أتوناً مستعرة لتجعل الخبز الفلسطيني هو إزالة هذه الطغمة التي تسعى بشكل حثيث لتهويد القدس.

لقد رسم لنا الشاعر محمود مفلح كعادته صورة مسيرة الكفاح الفلسطيني الذي يبدو أنه يتعثر على أيدي البعض بحيث يرتضي هذا البعض بألقاب ونياشين يتزيا بها على حساب الملاحم العربية التي تأبى إلا أن تعيد ما استلب من الحق العربي وكأني به حين يقول:

كأن القدس ليس لها رجال

وشعب القدس ليس له جذور

ولا كتبت ملاحمنا مواض

ولا عشقت شواهقنا نسور

يريد أن يرسم صورة لهذا الوهن العربي الذي أطبق بفمه الفاغر على كل النفوس فحولها إلى ركام من الحجارة أو إلى رماد أسود، اللهم إلا أولئك الصبية الذين يسخرون من الذين يتاجرون في أسى الأم الفلسطينية وبدماء الطفولة، فيقفز إلى صورة أخرى تستلب عمق اللاشعور، وتحمَّله البعد اللامنطقي الذي يرجح معادلة الحق والباطل، ويحملها باتجاه بوصلة الموت.

وأعجب كيف بعض القوم يُبْغى

عليه فلا يغار ولا يغير

و تهتز البلاد ومن عليها

وفي الحانات تهتز الخصور

حقاً إن الخصور لتهتز في الحانات على جسد القدس، فكم من كلب عقور نهش هذا اللحم الفلسطيني! والأدهى والأمر أن تهن عزيمة بعض الفلسطينيين لتقبيل الأكف مضيعة الأمانة وراضية بسلم متوهم (صغير ساقه بطل صغير).

◁◁ البعد الفني في النص:

إذا كان الجاحظ يؤكد في رؤيته النقدية على أن المعاني ملقاة في الطرقات يعرفها العربي والأعجمي والبدوي والحضري، وإنما المعول عليه في إلباس هذه المعاني ثياباً جديدة تحمل في صورها البعد المشرق للجمالية الفنية، فإن النص الذي بين أيدينا: (وإن زحفوا فللدنيا

هدير) وإن كان لا يخرج في إطاره العام عن منهج الشعر العربي المتمثل في وحدة البيت والقافية إلا أنه يحمل إلينا في جنباته بعداً دراميا يعتمد على المفارقات التي تبرز تناقض الضعف العربي والهمجية الصهيونية:

يتاجر من يتاجر في أسانا
وينهش لحمنا كلب عقور
إلى أعناقنا مدت نصال
وأحقر ما بها نصل أجير
رجالاً أصبح الأبطال فينا
وفي قلب الصراع لهم زئير
فلا تعجب وليس لهم رصاص
إذا وقعت على الموت الصدور

وكأنا بالشاعر يؤطر لملحمة ينتهي فيها صوت الباطل، وتعلو رايات الحق حاملاً بين جنبات نصه مفردات ترسم بريشتها الألم الفلسطيني العروبي المغموس بدماء الأطفال، والذي يستمد زيته من جذور زيتون تلك الأرض.

وإذا كان الشاعر لا يتمذهب بمذهب أدبي في نصه هذا إلا أنه غمس ريشته الفنية في تجارب شعراء عظام وأخرج لنا جعبة جديدة تميز بها من خلال نصوصه المعهودة، فقد كان بحترياً في سلاسته، وتماميا في إيحائه، ومتنبيا في بنائه الشعري الذي انطلق من مقولة الحطيئة:

الشعر صعب وطويل سلمه
إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه
زلّت به إلى الحضيض قدمه

وهذه هي صورة الشاعر محمود مفلح في نصه تحمل إشراقات المستقبل مبشراً بغد جديد تخفق فيه رايات الفرح العربي على روابي القدس لأن نبت القدس كما يقول ليس له نظير.

نعم ثاروا وعدتهم حجار
ونحن - القاعدين - متى نثور
دماؤهم على الساحات مسك
ويمضي للعبير بك العبير
فنبت القدس ليس له نظير
وحاشى أن يكون له نظير ■

حمامة الحرم

خير الدين الزركلي- السعودية

ألا ليتني حول المقام حمامة
يرفرف بين المروتين جناحي
أروح وأغدو حيث شاء لي الهوى
طليقاً غُدُوّي في يدي ورواحي
أبيت قرين العين أنعم بالكرى
مسائي ممسى غبطة وصباحي
أزقُّ فراخي هاتفاً لهتافها
وأرشفها من ماء زمزم راحي
وآمن لا دهري يروع بظلمه
ولا أهله يغشونني بسلاح

صدى ذكرى

وحيد حامد دهشان - مصر

بخطى ما عادت محسوبةْ ... ما بين فخاخ منصوبةْ
وبقلب ينظر في بلهٍ ... والصورة تبدو مقلوبةْ
وتغيب معالم واضحةٌ ... عن عين ليست معصوبةْ
تتبدى أطياف شتى ... للروح وكانت محجوبةْ
وبنفس تدخل معركة ... في الوهم وتخرج مغلوبةْ
وعجيب الأمر تبسطهُ ... والأمر بسيط أعجوبةْ
والفكرة تُرفض صالحة ... والفكرة تُقبل معطوبةْ
وبكفي أمسك أوهاماً ... من كأس سراب مسكوبةْ
والنشوة تطلق في صدري ... أحلام حنين مشبوبةْ
والشعر تفيض عذوبتهُ ... بحروف ليست مكتوبةْ
تتغير أبعاد الدنيا ... بحديث حول المحبوبةْ
ما أجمل أن يغدوَ قلبٌ ... حيَّاً من بعد الغيبوبةْ!
والسحر يلامس منطقه ... فيغير توّاً أسلوبهْ
للحب أوار قد يخبو ... لكن أن يُطفأ أكذوبةْ
وقلوب لم تعرف حبّاً ... بالقطع مناكب منكوبةْ

جهود نقاد رابطة الأدب الإسلامي في نقد الشعر العربي المعاصر

رسالة دكتوراه للباحث عادل إبراهيم العدل عبدالله

تتوالى الدراسات والبحوث عن الأدب الإسلامي ونقده عامة، والجامعية خاصة في رسائل الماجستير والدكتوراه في جامعات عربية وإسلامية مختلفة. وقد أنجز الباحث عادل إبراهيم العدل عبدالله بكلية الآداب في جامعة بنها بمصر رسالة دكتوراه بعنوان (جهود نقاد رابطة الأدب الإسلامي في نقد الشعر العربي المعاصر) بإشراف د. سعد أبو الرضا عام ١٤٣٤هـ/٢٠١٢م، وفيما يأتي عرض موجز للرسالة:

عادل العدل عبدالله - مصر

تنقسم الرسالة إلى خمسة أبواب يسبقها مقدمة، ويتبعها خاتمة، وقد ضم كل باب فصلين على النحو، التالي:

◁◁ الباب الأول: الأدب الإسلامي والمذاهب الأدبية

●● الفصل الأول: الأدب الإسلامي: (المصطلح والنظرية)

وقد حوى الفصل الأول مبحثين هما: المصطلح والنظرية، عالج المبحث الأول قضية المصطلح «الأدب الإسلامي» من حيث تعريفه والتأصيل له، ومولده في أحضان الأدب العربي، وإرهاصات المصطلح في تراثنا النقدي، كما تحدث عن استقرار المصطلح أمام البدائل المقترحة، وعن الأدب الإسلامي والعقيدة، وعن الأدب

الموافق، والأدب ذي التصورات غير الإسلامية، ثم عن سمات الأدب الإسلامي.

وعالج المبحث الثاني نظرية الأدب الإسلامي، مفهومها وحقيقتها ومسوغاتها، كما تحدث عن النظرية وجدلية الشكل والمضمون، وعن منهجين لصياغة النظرية، ووثائق خمس لاستخراج هذه النظرية، ثم تعرضت لبعض آراء كمال المقابلة على الرابطة نقادها وشعرائها رافضا هذه الآراء ورادّاً عليها.

●● الفصل الثاني: المذاهب الأدبية:

وقد حوى هذا الفصل أربعة مباحث وهي: الكلاسيكية، والرومانسية ، الواقعية، والفن للفن والفن للمجتمع. وقد حرص الباحث على بيان أوجه الاتفاق والاختلاف بين هذه المذاهب وبين الأدب الإسلامي بشيء من الإيجاز كي لا يطول البحث.

◁◁ الباب الثاني: الحداثة الشعرية والقيم الشعورية

●● الفصل الأول: الحداثة الشعرية

تناول هذا الفصل الحداثة الشعرية، أطوارها، ومفهومها لدى أنصارها، ثم لدى نقاد رابطة الأدب الإسلامي، الذين لم ينكروا الحداثة، إذ التحديث لديهم مطلب حيوي لسيرورة الحياة نحو عالم أفضل. أما تلك الحداثة التغريبية التي روج لها رواد الحداثة العربية، فمفهوم غربي ونبت دخيل، يصطدم مع أصولنا وعقائدنا، ومن ثم رفضه نقاد الرابطة، ورأوه عبثا ووهما باطلا، كما وقفوا فى وجه محاولات أرباب الحداثة لتدمير قواعد اللغة وأصولها، وواجهوا دعاة العامية والنحو الساكن، منتصرين للفصحى – لغة القرآن – كما رفضوا بشدة محاولات أنصار الحداثة قطع صلة الأمة بتراثها، وبترها عن ماضيها المشرق المشرف، وهنا كانت الحاجة إلى الحديث عن الحداثة البديلة أو الحداثة المنشودة، التى تبني ولا تهدم، وتصل ولا تقطع.

●● الفصل الثاني: القيم الشعورية

ومادامت القيم الشعورية تسبق القيم التعبيرية، فإن البحث تعرض إلى بعض هذه القيم الشعورية، فتحدث عن آراء نقاد الرابطة حول التصور عامة، والتصور الإسلامي خاصة، وأهمية التصور الإسلامي للأدب والنقد، كما تحدث نقاد الرابطة عن التجربة الشعورية باعتبارها منطلق عملية الإبداع، وربطوا بين التجربة الشعورية وثقافة الأديب، وأفصحوا عن رحابة آفاق التجربة في الأدب الإسلامي، كما أبانوا عن جوانب الاتفاق والاختلاف بين التجربة الشعورية في الأدب الإسلامي، والتجربة الشعورية في الأدب العام، وركزوا الضوء على الصدق الفني باعتباره أعظم مقومات التجربة، كما قدموا بعض النماذج للتجارب الشعرية الصادقة فى الأدب عامة والإسلامي منه خاصة، ثم تعرضوا بالبحث عن العاطفة ومقاييسها، والخيال باعتباره وليد العاطفة رابطين بينه وبين الواقع، وختم هذا الفصل بالحديث عن الفكرة باعتبارها من أهم عناصر الأدب.

◁◁ الباب الثالث: الملامح اللغوية والظواهر الأسلوبية

●● الفصل الأول: الملامح اللغوية

ولأهمية اللغة الشعرية تعرّض نقاد الرابطة – شأنُهم في ذلك شأنُ غيرهم من النقاد – لبيان مفهومها، وصفاتها الإيجابية التي ترتقي بالشعر، ومن ثَمَّ دَعَوا الشعراءَ المعاصرين إلى استيعابها، لمزيد من التأثير في المتلقّين، ونفروا من القصور اللُّغوي، كما فاضلوا بين المثالية اللغوية، والواقعية اللغوية، التي قد تهبط بالقصيد، كما خبروا أسرار الجمال اللغوي بالقصيدة المعاصرة، وسبروا أغواره، فأضاؤوا غياهب توظيف الألفاظ بمختلف أقسامها «الأسماء، والأفعال، والحروف»، واستثمروا الدلالات الصوتية لها بغرض الكشف عن القيمة الفكرية التي تنطق بها النصوص الشعرية.

ودافعوا عن الجزالة، والرصانة في الشعر العربي قديما وحديثا، رافضين مبررات خصوم الجزالة، وعللهم الباطلة، وأشادوا بالرقة والسلاسة في مواضعها المناسبة، وكشفوا عن مواءمة اللفظ للمعنى، ومشاكلتهما للشعور، ولاحظوا تجاوز الألفاظ دلالاتها المعجمية المحدودة، إلى دلالات أخرى أكثر اتساعا وإشراقا، ومن ثم استنتجوا أن لكل شاعر معجمه اللغوي الخاص، واستوقفتهم الألفاظ العلمية، راصدين أثرها في النسيج الشعري سلبا وإيجابا، كما ربطوا بين عناوين بعض القصائد وموضوعاتها، وأخيرا: كانت لهم بعض المآخذ اللغوية على بعض الشعراء المعاصرين.

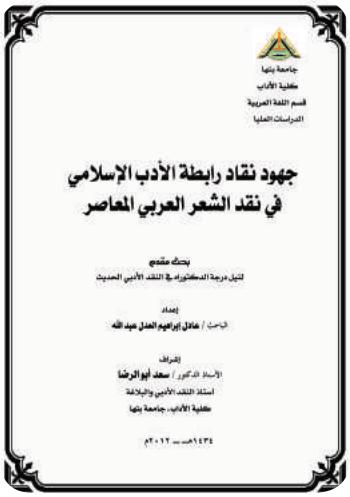

الفصل الثاني: الظواهر الأسلوبية

تناول هذا الفصل بعض الملامح الأسلوبية في الشعر العربي المعاصر، ومعالجة نقاد رابطة الأدب الاسلامي لها، ويأتي في مقدمتها التناص، حيث وقف هؤلاء النقاد أمامه محاولين تقريب مفهومه، ومقترحين بعض المصطلحات البديلة، التي ربما كانت أقوى في الدلالة على ماهيته، وأكثر اقترابا من عالمه منها الاقتراض، والاسترفاد.. كما أفصحوا عن مستويات التناص، وألوانه المختلفة، وجرهم ذلك إلى الحديث عن التضمين والاقتباس باعتبارهما من أشكال التناص، كما يفهم ذلك من تعريفات قدامى النقاد والبلاغيين العرب لهما.

ووقفوا أمام أطهر ألوان التناص، وأقدسها ألا وهو التناص مع القرآن الكريم، والحديث الشريف، فرفعوا آثاره في أشعار بعض المعاصرين – مع اختلاف مدارسهم الشعرية – كما تحدثوا عن أسباب استلهام الشعراء المعاصرين للتراث، وأسباب هذا التوظيف، وكذا تحدثوا عن توظيف التاريخ، ففرقوا بين الشاعر والمؤرخ، وتعرضوا لاستدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، ومن ثم رصدوا بعض الأقنعة الشعرية التي اختفى وراءها الشعراء ليعبروا عن أفكارهم وآرائهم.

وعالجوا ظاهرة توظيف الأسطورة في الشعر الحديث، وما علق به من نتائج بعضها إيجابي وبعضها سلبي، ودرسوا ظاهرة التكرار – باعتباره جوهر الإيقاع – فكشفوا عن أسبابه، وأبانوا أثره في إثراء الخطاب الشعري، وذكروا بعض أنواعه، كما وقفوا موقفا وسطا أمام قضية الوضوح والغموض، فرأوا أن مسؤولية الكلمة تقتضي الوضوح دون إهدار للقيم الفنية والجمالية، ومن ثم رفضوا السطحية والابتذال، كما عابوا الغموض المقيت الذي استشرى في كثير من نماذج الأدب الحديث فجعلها أشبه بالطلاسم والأحاجي، ومن ثم راحوا يحذرون شعراء الرابطة من الانزلاق في الغموض والإبهام.

وختم هذا الفصل بآرائهم حول ظاهرة توظيف الرمز في الشعر العربى المعاصر، فتحدثوا عن رسالة الرمز، وتنوعه، ورصدوا بعض الرموز التراثية والرموز الخاصة، والرموز الطبيعية، كما وقفوا في وجه تلك الرموز التي تتنافى مع عقيدتنا، ولاسيما تلك التي تؤدي إلى فساد الذوق. وتعرضوا لقضية تفاوت الشعراء فى استخدام الرمز، وقد

امتد بساطهم النقدي، فظلل الشواعر فضلا عن الشعراء، بمختلف أعمالهم، واتجاهاتهم، وكانت لهم آراؤهم السديدة في هذه الملامح مجتمعة، وهذا كله لم يضعف صوت الباحث الذي أدلى بدلوه مناقشا ومؤيدا حينا، ومخالفا حينا.

◁◁ الباب الرابع: الصورة الفنية والموسيقى الشعرية

●● الفصل الأول: الصورة الفنية

وقد تناول هذا الفصل الصورة الفنية مفهومها وأهميتها، وعناصرها وتقسيم الصورة إلى بسيطة ومركبة، كما تناول مصادر الصورة ووسائلها ومنها تراسل الحواس، والتشخيص، والتجسيم، وتعرض للعلاقة بين الصورة والتجربة، وختم بالحديث عن تجديد الصورة، والمفارقة التصويرية، وموقف نقاد الرابطة من ذلك كله.

●● الفصل الثاني: الموسيقى الشعرية

وقد حوى هذا الفصل آراء نقاد رابطة الأدب الإسلامي حول الموسيقى الشعرية مفهومها وأنواعها، وآراءهم حول الإيقاع، والقافية، والتدوير، وموقفهم من الشعر المرسل.

وتعرض الفصل لمفهوم شعر التفعيلة ورواده، وموقف نقاد الرابطة المعتدل منه وقبولهم له، بينما رفضوا النثيرة، أو ما يسمى قصيدة النثر. ولم يفت نقاد الرابطة وضع الشعراء الإسلاميين خاصة تحت مجهر العروض وأوزان الخليل.

وختم الفصل ببعض مزالق الشعراء المعاصرين العروضية، والتي كشف عنها نقاد الرابطة

◁◁ الباب الخامس: قضايا ومعايير نقدية

●● الفصل الأول: قضايا نقدية

تناول هذا الفصل ثلاث قضايا نقدية، ترتبط اثنتان منها بالنقد الأدبي عامة وهما الشكل والمضمون، والموازنات الشعرية. وترتبط القضية الثالثة بالنقد الأدبي الإسلامي خاصة، وهي: نحو مصطلحات مبتكرة للنقد الإسلامي.

وقد تناول البحث في القضية الأولى ماهية الشكل والمضمون في تراثنا النقدي، واحتفاء الأدب الإسلامي ونقده للشكل والمضمون معا، كما تعرض البحث لمآخذ نقاد رابطة الأدب الإسلامي على بعض مضامين الشعر العربي المعاصر، ولاسيما تلك النصوص المتمردة والمتطاولة على الذات الإلهية.

وفي القضية الثانية تناول الفصل موازنات نقاد الرابطة بين مطولات وقصائد الشعر العربي المعاصر.

وجاءت القضية الثالثة لتؤكد على أهمية ابتكار مصطلحات جديدة للنقد الإسلامي، وقد عرض البحث لمصطلح الاقتراض باعتباره أحد المصطلحات المبتكرة في هذا الميدان.

●● الفصل الثاني: المعايير

تناول هذا الفصل معايير نقاد رابطة الأدب الإسلامي في نقد الشعر العربي المعاصر، ومنها السبق والتفرد، والكم والكيف، والأخلاق، وهي معايير أصيلة تضرب بجذورها في تراثنا النقدي.

◁◁ الخاتمة:

وقد تضمنت نتائج البحث، ومنها:

١- طرق نقاد رابطة الأدب الإسلامي جل قضايا النقد الأدبي الحديث، كما أسسوا لنظرية إسلامية في الأدب ونقده.

٢- لفت بعض نقاد الرابطة الأنظار إلى المبادرات الناجحة في سبيل بعث الشعر الإسلامي، قبل تأسيس الرابطة، مثل رابطة الوعي الإسلامي، بمبادرة من شعراء في سورية والأردن.

٣-أرخ عدد من نقاد الرابطة للشعر العربي المعاصر في بلدان مختلفة، مثل: محمد عبدالمنعم خفاجي

في مصر وليبيا، وعبده بدوي في السودان والكويت، وصابر عبدالدايم في المهجر، وحسن الهويمل في السعودية، وغيرهم.

٤- رصد بعض نقاد الرابطة السير الذاتية لبعض الشعراء كما فعل أحمد الجدع بكتابه شعراء معاصرون من الخليج والجزيرة العربية، وشعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث في أكثر من عشرة أجزاء.

٥- سلط عدد من نقاد الرابطة الأضواء على الشعراء المغمورين كما فعل محمد رجب البيومي وصابر عبد الدايم.

٦- اهتم نقاد الرابطة بتشجيع النماذج الشعرية الشابة بما سمي الأقلام الواعدة.

٧- كشف بعض نقاد الرابطة اللثام عن أسماء بعض الشعراء الذين اضطروا في بعض الفترات إلى توقيع قصائدهم بأسماء مستعارة، من أمثال ابن الكنانة وفتى النيل.

٨- اهتم نقاد الرابطة بالأدب النسائي المعاصر، مثل الكتاب الصادر عن الرابطة بعنوان: أدب المرأة، الذي يضم بحوث الملتقى الدولي الأول للأديبات الإسلاميات.

٩- اهتم نقاد الرابطة بجمع وتحقيق وتوثيق شعر الدعوة الإسلامية قديما وحديثا، مثل: مجموعة الكتب الصادرة عن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في عدة أجزاء.

١٠ – قدم نقاد الرابطة مختارات شعرية تعد من أجمل الشعر العربي الإسلامي المعاصر، مثل كتاب: مختارات من شعراء الرابطة، وأجمل مئة قصيدة في الشعر الإسلامي المعاصر في أربعة أجزاء لأحمد الجدع.

١١- خطا نقاد الرابطة خطوات في صياغة نظرية إسلامية في الأدب والنقد، مثل: مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي لعبدالباسط بدر، ومدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي لعمادالدين خليل، وغيرهما.

١٢- ابتكر عدد من نقاد الرابطة مصطلحات أدبية ونقدية مثل: نظرية الاقتراض عند د.سعد أبو الرضا، والاسترفاد عند د.صابر عبد الدايم، والواقعية الإسلامية عند د.أحمد بسام ساعي، وغيرهم.

١٣- أسهم عدد من نقاد الرابطة في مجال الدراسات الأدبية والنقدية المقارن مثل د.حسين مجيب المصري، والطاهر أحمد مكي، وصابر عبد الدايم.

وهناك نقاط أخرى تجاوزناها طلبا للاختصار.

والحمد لله أولا وآخرا■

أطلع دمي

مصطفى عكرمة - سورية

أطلع دمي يا تراب العز أشجارا
ودعه يجري إلى العافين أنهارا

إني نذرت دمي للبيد ينبتها
رغم التصحر أعشابا وأزهارا

حتى يظل ويروي كل ذي كبد
برغم من ضل في الدنيا ومن جارا

جف الحياء من الدنيا فجف له
ضمير قوم يرون العيش إضرارا

أطلع دمي يا تراب العز عاصفة
هوجاء تذرو فلا تبقي لهم دارا

أطلعه أطلع فقد أنكرت غفوته
إن لم تهب بوجه الظلم إعصارا

طال الرقاد بقوم لو صحوا لغدا
ظلام دنيا طغاة الأرض أنوارا

إني عهدت دم الأحرار منتفضا
وإن غفا ساعةً يرتد موارا

فيجعل الصخر في وجه الطغاة لظى
والبحر يشعله في وجههم نارا

قد آن أن يستريح المتعبون، ولن
يلقوا أمانا إذا لم نغسل العارا

ومن سوانا بغسل العار ملتزم
نحن الذين رضينا العيش إيثارا

الله غايتنا نسعى بطاعته
كي لا نرى في الورى ظلما وأوزارا

نريح عالمنا من ظلم من ظلموا
فترجع الأرض جنات وأنهارا

الله بالنصر يجزي من به وثقوا
ولم يكونوا لغير الحق أنصارا

الآمال صارت آلاما

رواية للأديب التركي نور الله كنج

ترجمة: عوني لطفي أوغلو

يصور المؤلف فضاء الرواية الزماني في مفتتحها قائلا: «السنة ١٩٧٩م: غيوم الفوضى التي تلبد سماء تركيا، تمطر البلاء بدلا من الرحمة، والطلاب دفعوا إلى قلب هذا البلاء الذي عم القطاعات كافة من قريب أو بعيد. كثيرون خاضوا الأحداث، فانقلبوا أعداء لأصدقائهم، واندفعوا في هياج لمصير مجهول، لا يفكرون فيما يعملون.أمس انقضى ومضى، واليوم فقاعة بلاء، والغد مجهول!».

هذه الصورة المخيفة للوضع في تركيا تجري أحداثها الروائية في جامعة أرضروم، الواقعة في وسط الشمال الشرقي من تركيا، وهي مدينة المؤلف وجامعته التي تخرج فيها، وإذا علمنا أن ولادته عام ١٩٦٠م؛ فإنه في العام الذي اختاره لسرد أحداث روايته كان طالبا في السنة الأولى أو الثانية في الجامعة نفسها! وهذا يضع يدنا على سر صياغة المؤلف للأحداث التي نظن أنه كان في أتونها،

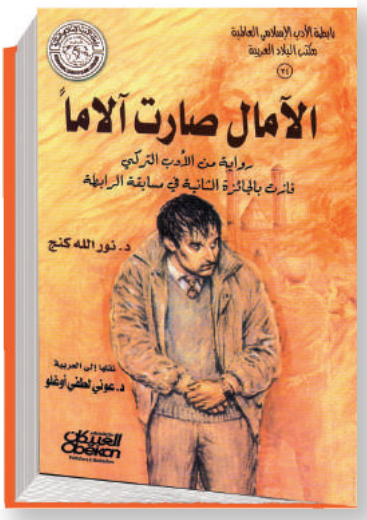

يراها ويسمعها، وربما يشارك فيها عن كثب، وقد يكون واحدا من شخصياتها الرئيسية فعلا، أو قريبا منها!!.

تدور أحداث الرواية وصراعاتها السياسية والاجتماعية بين عدد من الشخصيات أبرزهم:

١- محمد فؤاد: يمثل الشخصية الشبابية الإسلامية المتزنة في البيئة الجامعية، من مدينة أشقلة، أنهى ثانوية الأئمة والخطباء في أرضروم، وعمل إماما في مساجد نغدة ثلاث سنوات، ثم عاد إلى أرضروم للدراسة في الجامعة، لا يحشر نفسه فيما لا يخصه، ولولا هذه الصفة فيه لسقط في أحضان الفوضى.

٢- ذو الكفل يشيل يورد: من مدينة قارس، الشخصية الرئيسية الثانية في الرواية، بل يتحول إلى شخصية محورية ترتبط به الأحداث، وتتكشف المفاجآت له، وعنه، لأنه يكون صلات مع جميع الشخصيات الأخرى في الرواية.

يعاني من إحساسه بعدم الوسامة في مظهره بشكل سبب له مع فقره الشديد مشاكل كثيرة في الوصول إلى طموحاته، ودفعه إلى سرقة بعض زملائه في السكن الجامعي، واستغلاله من قبل أصدقائه المنتمين إلى الجماعات السياسية المتصارعة مثل راسم وموسى.

٣- راسم دورمز: من مدينة إسبارطة في الصف نفسه مع (ذو الكفل)، يعتاش ذو

الكفل عليه لأنه موسر، يدرس في كلية الآداب بأرضروم، ويعمل في مجال السياسة أيضا، ويخطط ليكون رئيسا لجماعته في الكلية. حاول كثيرا أن يضم (ذو الكفل) إلى جمعيته ببعض المغريات.

٤- مصطفى فندك: شخصية ثانوية يبدو في اتجاهه الفكري موافقا لمحمد فؤاد، ولكن عدم التزامه السلوكي بالإسلام بتورطه في شرب الخمر ولعب القمار؛ يسبب له مواقف محرجة، ويعترف بذلك، ويعرب عن رغبته في التخلص من سلوكياته السيئة.

٥- موسى: من مدينة باليكسر، شاب وسيم في الثانية والعشرين، يدرس في السنة الرابعة بكلية الطب، يتمنى (ذو الكفل) أن يكون في مثل وسامته. يعيش عيشة ميسورة، وينتمي إلى إحدى الجماعات اليسارية، ويدعو لفكره بنشاط، وقع ذوالكفل في شباكه بسبب إغداق المال عليه، وإغرائه بالجنس.

٦- العم صفر: في الستين من عمره، عامل بناء، لحيته بيضاء وشاربه أيضا، يكتسب مهابة في المظهر بالطول الفارع والحجم الضخم، يتحاور مع (ذو الكفل) خلال العمل في أمور الحياة والدين والناس، ويقدم له العديد من النصائح، دون جدوى.

٧- نالان: أصول عائلتها من قارس، هاجرت إلى إستانبول، لذلك تعد نفسها إستانبولية تماما، أبوها صاحب مصنع. وهي متوسطة القامة، ذات شعر أسود فاحم، عسلية العينين، صافية البياض كاللبن، ثاقبة النظرات. تدرس أيضا في كلية الآداب.

يدور الصراع في الرواية على المحور الفكري السياسي؛ الإسلامي الذي يمثله محمد فؤاد، واليساري والعلماني الذي يمثله موسى بقوة، وراسم بصورة أخف. وفي الوسط مجموعة من الشخصيات أهمها ذوالكفل ونالان.

وفي دائرة هذا الصراع الفكري ينشأ الصراع الأعنف حول الفتاة نالان الجميلة الغنية بين راسم وموسى وذوالكفل، إذ يكتشف الأخير أنها ابنة خالته التي في إستانبول، وهي نفسها تتذكر ذلك ولكنها تستبعد الأمر في البداية. وترفض كل محاولات (ذو الكفل) في التقرب منها.

وفي سبيل الوصول إلى نالان يقع ذوالكفل في العديد من المشاكل والمواقف المحرجة، وعندما ينكشف الصراع ويخرج إلى العلن يتحول إلى صدام دموي ينتهي بمقتل موسى وراسم، وإيداع ذوالكفل في مستشفى الأمراض العقلية.

محمد فؤاد الشخصية التي بدأت بها الرواية، انتهت بها أيضا، فقد كان في استقبال والد (ذو الكفل) عندما قدم من قريته ليرى مصير ابنه المحزن.

الرواية التي أعطت صورة قاتمة للوضع في تركيا في ذلك الوقت؛ انتهت بنتيجة طبيعية لما صورته في البداية، إدانة لتلك المرحلة من الحياة السياسية والاجتماعية في تركيا.

تقع الرواية في ٢٩٢ صفحة من القطع المتوسط، مقسمة إلى أحد عشر فصلا غير معنون.

رواية الآمال صارت آلاما فازت بالجائزة الثانية في مسابقة ترجمة آداب الشعوب الإسلامية في مجال الرواية في رابطة الأدب الإسلامي العالمية. وصدرت برقم (٢٤) في سلسلة إصدارات مكتب البلاد العربية للرابطة، عن مكتبة العبيكان بالرياض عام ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م ■

إعداد: شمس الدين درمش

الرياض: محمد شلال الحناحنة

جوانب من الحياة الثقافية في دمشق

استضاف المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في الرياض في الملتقى الدوري لشهر ذي الحجة ١٤٣٤هـ الدبلوماسي السعودي الشاعر خالد بن محمد الخنين، وكان حديثه بعنوان: (جوانب من الحياة الثقافية في دمشق) خلال مدة إقامته فيها من ١٤٠٩-١٤٢٥هـ، عندما كان الملحق الثقافي في السفارة السعودية في دمشق، وذلك مساء الخميس ١٤٣٤/١٢/٢٦هـ، وقد أدار اللقاء الناقد الدكتور وليد قصاب، وحضره حشد من جمهور الرابطة وروادها.

وشمل حديثه لقاءاته وعلاقاته مع رجال الفكر والأدب في سورية وغيرها، من أمثال:

بدوي الجبل، وعمر أبو ريشة، وسليمان العيسى، ووجيه البارودي، وشكيب الجابري، وشفيق جبري، وفاضل السباعي.

وتحدث الشاعر خالد الخنين عن الملتقى الأسبوعي في الملحقية الثقافية السعودية على مدى ستة عشر عاماً، وقد أخذ حديثه عن الأديب الطبيب عبد السلام العجيلي حظا وافرا، وشد إعجاب الحضور.

وتحدث الأستاذ الخنين عن الندوات، والمؤتمرات، ومعارض الكتب التي أقامها المكتب الثقافي السعودي في دمشق، بالتعاون مع الجامعات ومجمع اللغة العربية. وفي ختام اللقاء أصغى الجميع لقصائد متألقة، نالت الإعجاب منها قصيدة يا شام، وقصيدة أخرى عن بيروت.

وقد تحدث في اللقاء مثنيا ومعلقا كل من ضيف الشرف د.بكري الشيخ أمين أستاذ الأدب والنقد بجامعة حلب، ود.ناصر الخنين نائب رئيس المكتب الإقليمي، ود.عبدالقدوس أبو صالح رئيس الرابطة، ود.وليد قصاب مدير الملتقى.

العشق بين الطب والأدب

استضاف المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية بالرياض في الملتقى الأدبي الشهري الأديب الدكتور عبد الجبار دية، الطبيب الاستشاري، وذلك مساء الخميس الموافق ٢٧ ذي القعدة ١٤٣٤هـ، الموافق ٢٠١٣/١٠/٣م، وقدم المحاضر، وأدار اللقاء الأديب الناقد الدكتور وليد قصاب، الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ومدير تحرير مجلة الأدب الإسلامي.

وقد تحدث الدكتور عبد الجبار باستفاضة عن الموضوع بدءا بالأدب، وانتهاء بالطب، مستخدما جهاز العرض الضوئي. وقدم كل من الدكتور محمود عمار، والأستاذ محمد كمال، والأستاذ عبد الكريم السمك، ومدير الملتقى د.وليد قصاب مداخلات قيمة.

استلهام قصة يوسف عليه السلام لدى الشاعر أحمد الصالح

أقام المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية بالرياض في الملتقى الأدبي لشهر محرم ١٤٣٥هـ محاضرة بعنوان: استلهام قصة يوسف عليه السلام لدى الشاعر السعودي أحمد الصالح (مسافر)، ألقاها الدكتور محمود إسماعيل عمار الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وأدار الملتقى الدكتور وليد قصاب وحضرها مجموعة من الأدباء والمثقفين والمفكرين.

تحدث المحاضر د.محمود عمار أن كثيراً من الشعراء قديماً وحديثاً تناولوا مشاهد ومفردات من قصة يوسف عليه السلام في أشعارهم تباينت بين الإشارة العابرة والتسجيل المباشر إلى التوظيف الفني سواء في الأدب السعودي أو غيره.

وعن إفادة الشاعر السعودي أحمد الصالح من قصة يوسف عليه السلام، قدم مشاهد من شعره، عرض من خلالها قضايا الأمة العربية بقصد تعميق الإحساس بالواقع، وإثراء مضمونه ومعانيه؛ فامرأة العزيز رمز لدولة إسرائيل التي نازلت العرب في ثلاث حروب وقدّت قمصانهم من كل اتجاه. والسبع العجاف للتعبير عن سنوات الهزيمة التي أصابت الأمة، في نكسة حزيران ١٩٦٧م وما بعدها، والعام الذي فيه يغاث الناس هو الانتصار الذي تحقق في حرب العاشر من رمضان أو السادس من أكتوبر ١٩٧٣م، وغير ذلك من المشاهد.

وفي ختام اللقاء أجاب الدكتور محمود عمار على المداخلات والأسئلة التي أثارها د.نبراس أحمد القادري، ود.خضر عبد الباقي، وشمس الدين درمش، وأخيراً د.وليد قصاب، وقرأ مقاطع من ديوانه صفحات من سيرة عنترة.

المهرجان الثقافي الوطني للشعر النسوي في الجزائر ومشاركات لعضوات الرابطة

قسنطينة- صورية مروشي:

انعقد في الفترة الممتدة من الخامس إلى العاشر من شهر أكتوبر الجاري ٢٠١٣م المهرجان الثقافي الوطني للشعر النسوي في دورته السادسة بالمسرح الجهوي بقسنطينة، مدينة العلم والعلماء، والجسور المعلقة ومدينة ابن باديس العريقة. وقد كانت دورة هذا العام في محور (المرأة والحداثة الشعرية) وتحت شعار (أرهفت الحس.. كتبتك).

افتتح المهرجان بالنشيد الوطني، ثم ألقيت كلمات ترحيب من الجهات المنظمة للمؤتمر، تبعتها قراءات شعرية لعدد من الشاعرات. وعقدت جلسات المهرجان في المسرح الجهوي بقسنطينة، قاعة المحاضرات الكبرى لجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة، وجامعة العربي بن مهيدي بأم البواقي، ودارت في محوري المرأة والحداثة الشعرية، والرواية النسائية في ضيافة الشعر، وتضمن كل محور عددا من الفقرات. واختتم المهرجان بقراءة التوصيات وتوزيع الشهادات الشرفية. وتنظيم زيارة لمعالم تاريخية وحضارية في قسنطينة.

وشارك في المؤتمر الشاعرة نبيلة الخطيب رئيسة المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية بالأردن، والشاعرة ليلى لعوير، والدكتورة آمال لواتي، وهما عضوا هيئة التدريس بجامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة، إضافة إلى المهندسة الأديبة صورية مروشي.

مكتب الأردن - هيام ضمرة

حفل تكريم الدكتور عمر الساريسي

أقام المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية بعمان، في الأردن حفلا مهيبا لذكرى الراحل عضو الهيئة الإدارية للمكتب الدكتور عمر الساريسي -رحمه الله، يوم السبت ١٥ ذي القعدة ١٤٣٤هـ، الموافق ٢٠١٣/٩/٢١م في قاعة مؤتمرات كلية أصول الدين- جامعة العلوم الإسلامية العالمية في عمان، برعاية وزير التربية والتعليم السابق معالي الدكتور محمد جمعة الوحش.

وقد تضمن حفل التكريم، تلاوة عطرة للقرآن الكريم للقارئ عبدالله دهاك، وكلمات وقصائد، وعرض فيديو، وتقديم درعين إحداهما لأنجال الفقيد، والأخرى لراعي الاحتفال معالي وزير التعليم العالي، والذي كان أول المتحدّثين عن بعض مناقب الفقيد الذي زامله في الجامعة الإسلامية في المدينة المنوّرة في مطلع ثمانينيات القرن الماضي. وتلاه في الحديث النائب السابق الدكتور عدنان حسونة، نائب رئيس المكتب الإقليمي في الأردن، وتلاه د.عودة أبو عودة الرئيس الأسبق للمكتب.

وشارك في إلقاء الكلمات كل من د.شفيق جاسر، ود.بلال كمال رشيد، ود.محمد العجل. وألقى كل من الشاعرين سعيد يعقوب، ومحمد الخليلي قصيدة رثاء مفعمة بمشاعر الحزن.

وفي الختام تحدثت رئيسة المكتب الإقليمي للرابطة الشاعرة نبيلة الخطيب عن مناقب الفقيد؛ من التعامل الأبوي، والحرص على خدمة اللغة العربية، والأدب الإسلامي، والموروث الشعبي الفلسطيني والأردني، وأكدت عزم المكتب إقامة مؤتمر يكرّم الروّاد من أعلام الأدب الإسلامي في الأردن وفي مقدمتهم د.عمر الساريسي -رحمه الله.

وقد أدار الحفل الدكتور عبدالله الخطيب، وحضره جمع كبير من الأدباء والأساتذة والطلاب والأقارب والأصدقاء.

الوجود الإسلامي في جزر البليار للأديبة سكينة رضا الفرحان

في مبادرة جديدة على نهج الرابطة وبناء على إلحاح مجموعة من السيدات المثقفات قامت الأديبة هيام ضمرة عضو الهيئة الإدارية بتنظيم محاضرة اقتصر حضورها على النساء، واستضافت السيدة المدربة والمحاضرة «سكينة رضا الفرحان» في محاضرة بعنوان «الوجود الإسلامي في جزر البليار»، وذلك يوم الثلاثاء الموافق(٢٠١٣/١٠/٢١م)

ثم قرأت الشاعرة حكمت العزة عدداً من قصائدها المختارة بإلقائها المتميز، والشاعرة هيفاء علوان قدمت مجموعة من قصائد الطفولة الجميلة.

ونوهت الأديبة هيام ضمرة التي أدارت الأمسية أنَّ مثل هذه الأمسيات التي تلبي حاجة نسوية خالصة تأمل أن تكون إضافة نوعية إلى أنشطة الرابطة المعتادة التي تستقبل حضوراً من كلا الجنسين. والأديبة سكينة الفرحان، حاصلة على شهادات عديدة في مواضيع التنمية البشرية والأعمال الفنية والتربوية إضافة لشهادتها الأكاديمية، ولها نشاط فاعل في المجتمع السعودي حيث تعيش. وقد أثارت المحاضرة والقراءات الشعرية العديد من الأسئلة، والتعقيبات.

آفاق علمية في فهم قوله تعالى: وجعل لكم السمع

استضاف مكتب الأردن الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية عضو الرابطة المهندس سعيد مفلح الهودلي في محاضرة بعنوان: آفاق علمية في فهم قوله تعالى: (وجعل لكم السمع...) وقدمه عضو الرابطة الدكتور سليم ارزيقات، وذلك يوم السبت ١٩محرم ١٤٣٥هـ، الموافق ٢٠١٣/١١/٢٣م

وطَوَفَ المحاضر في رحاب آياتِ السمع في القرآن الكريم، وأن الله سبحانه ربط السمعَ بالعلم حينما كرر عبارة (سميعٌ عليم) ٣٢ مرةً في القرآن الكريم. وأننا نجدُ الكثيرَ من العباقرة الذين فقدوا حاسةَ البصر، بينما نجد القليل جداً ممن فقدوا حاسة السمع. وعرض المحاضرُ تشريحاً كاملاً لأعضاءِ الأذن (مستعيناً بجهازِ العرض) موضحاً بدقة إبداعَ الخلقِ والإعجاز المُعجِب في كلِ عضو، وكان اللقاءُ مفيدا وممتعا.

حفل إشهار أعمال الأدبية وإبداعية لعدد من أعضاء الرابطة

أقام المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في عمّان، حفلاً تكريمياً لإشهار بعض الأعمال الأدبية والإبداعية لعدد من أعضاء الرابطة، وذلك يوم السبت الموافق ٧ – ١٢ -٢٠١٣ في قاعة المكتب.

وتضمن الحفل إشهار ديوان «ارجع البصر» للشاعر علي فهيم الكيلاني، وكتاب «رؤى نحوية وصرفية تجديدية» للدكتور عودة الله القيسي، ورواية «لعبة الدّم» للأديب خميس النجّار، ورواية «تركت العنوان لكم» للأديبة عائشة العمَد، وتحدث كل مؤلف عن جوانب مهمة في كتابه.

وغصّت القاعة بالحضور من أعضاء الرابطة والضيوف. ودار نقاش موسع مع المؤلفين، تمت فيه تجلية بعض القضايا، والإجابة عن التساؤلات. وأدار حفل التكريم الدكتور عدنان حسونة نائب رئيسة المكتب.

أنشطة أدبية وثقافية للحقيل

شارك الأستاذ الأديب عبد الله بن حمد الحقيل في عدد من الأنشطة الأدبية والثقافية داخل المملكة، فقد حضر فعاليات سوق عكاظ لهذا العام ١٤٣٤هـ، ومؤتمر الأدباء السعوديين الرابع المنعقد في المدينة المنورة في ١٤٣٤/١٠/٢٢هـ بمناسبة اختيار المدينة عاصمة للثقافة الإسلامية لعام ٢٠١٣م، وسجل حلقتين عن أدب الرحلات والفكر والثقافة في برنامج رواد الثقافة في ١٤٣٤/١٢/١هـ. وشارك في الندوة العلمية: آثار المدينة المنورة وحضارتها وتراثها عبر العصور في ١٧محرم ١٤٣٥هـ، وشارك في الرحلة التاريخية إلى واحة الحجر (مدائن صالح)، والتي نظمتها الهيئة العامة للسياحة بدول مجلس التعاون في ١٨محرم ١٤٣٥هـ، والمؤتمر العالمي عن الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة في ٢٣محرم ١٤٣٥هـ.

مكتب السودان - أم درمان:

وقفات أدبية مع الحج والحجاج

أقامت رابطة الأدب الإسلامي العالمية مكتب السودان يوم السبت ١٨ ذي القعدة ١٤٣٤هـ، الموافق ٢١ سبتمبر٢٠١٣م، في إطار البرنامج الراتب للمكتب حلقة أدبية بعنوان: وقفات أدبية مع الحج والحجاج.

قدم الورقة الدكتور قسم الله علي المريود أستاذ الحديث والسيرة النبوية بكلية القرآن الكريم، وابتدر النقاش الدكتور عبدالحميد كمال الدين الأستاذ بكلية اللغة العربية بجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، والأستاذ مصطفى علي الحسن عضو الهيئة الإدارية مكتب الرابطة.

وقد حضر الحلقة عدد من المهتمين بالأدب والثقافة، وعدد من الطلاب ، وقد أوصت الحضور بإعداد عدد من الحلقات، عن الأدب في الحديث النبوي.

أثر المناسبات في الأدب الإسلامي (الأعياد نموذجاً)

أقامت رابطة الأدب الإسلامي العالمية مكتب السودان يوم السبت ٢٩/ذي القعدة/١٤٣٤هـ، الموافق ٥/أكتوبر/٢٠١٣م في إطار البرنامج الراتب للمكتب حلقة أدبية بعنوان: (أثر المناسبات في الأدب الإسلامي الأعياد نموذجاً).

قدم الورقة الدكتور عبداللطيف محمد سعيد أستاذ الإعلام بالجامعات السودانية، وابتدر النقاش الدكتور عباس حمزة الأستاذ بكلية الشريعة بجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، والأستاذ الدكتور محمد عثمان صالح رئيس المكتب الإقليمي للرابطة في السودان.

وقد حضر الحلقة عدد من أساتذة الجامعات، وعدد من الطلاب، وقد أوصت الحضور بإعداد عدة من الحلقات، وأن العنوان يحتاج إلى مزيد من البحث والدرس، ويمكن أن يقدم في حلقات متتالية.

حفل معايدة بوقف الأدب الإسلامي

أقام (وقف الأدب الإسلامي) بإستانبول/ تركيا حفل معايدة في اليوم الثالث من أيام عيد الأضحى المبارك ١٤٣٤هـ، في مقر الوقف بين الساعة العاشرة صباحا إلى الثالثة عصرا، حضره أعضاء الرابطة ووقف الأدب الإسلامي، وكان في استقبال الأعضاء الأديب الأستاذ علي نار رئيس وقف الأدب الإسلامي، والأستاذ الدكتور عثمان أوزتورك رئيس المكتب الإقليمي للرابطة بتركيا، وذلك بحي الفاتح في إستانبول.

مكتب الهند- نيودلهي- غياث الإسلام الصديقي الندوي:

قيم خلقية وإنسانية في الشعر الأوردي الحديث

عقد المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في الهند في مقره بنيودلهي ندوة أدبية بعنوان: القيم الخلقية والإنسانية النبيلة في الشعر الأوردي الحديث، وذلك في ٢٠١٣/١٢/٨م ، حضرها لفيف من الأدباء والمثقفين والدارسين والمدرسين من جامعات العاصمة الثلاث: جامعة دلهي، والجامعة المليّة الإسلامية، وجامعة جواهر لال نهرو، ترأسها نائب رئيس المكتب الإقليمي أ.د.شفيق أحمد خان الندوي، وقال: إنّ اللغة الأوردية مزيج من اللغات العربية والهندية والفارسية، والّتي تتوافر فيها القيم الخلقية والإنسانية النبيلة المتمثلة بوجه خاص في شعر شبلي النعماني وألطاف حسين حالي وأكبر الإله آبادي ومحمد إقبال مع جمال التعبير، وجودة التراكيب اللغوية، وقوة الفكر والخيال والعواطف الجيّاشة للإصلاح الاجتماعي العام. وألقى الباحث غياث الإسلام الصديقي الندوي (جامعة دلهي) مقالة عنوانها «هموم الأمة الإسلامية في شعر محمد إقبال من منظور قصيدتيه المعروفتين بـ: شكوى وجواب شكوى»، قال فيها: إنّ المفكر الإسلامي العملاق محمد إقبال نفخ روحا جديدة ولايزال ينفخها بواسطة شعره العام وبهاتين القصيدتين على الأخص، وشرح ذلك بأبيات ممتعة عديدة.

وتحدث الأستاذ محمد ريحان خان الندوي (جامعة جواهرلال نهرو) بعنوان: «قيم خلقية وإسلامية في شعر حالي كما تتجلّى من خلال قصيدته المطوّلة: مدّ وجزر الإسلام» وقال فيها: إنّها بمثابة نضال أدبي ضدّ الأوهام والتقاليد البالية السائدة في المجتمع، إلى جانب إبرازها ملامح الشعوب الغابرة، وواقع الحياة المعاصرة مع التركيز على استخراج خطط مستقبليّة للأجيال.

وألقى الشيخ المفتي محمد مشتاق علي الندوي (قاضي مدينة بهوبال) ضوءاً على أفكار عديد من الشعراء، مشيراً إلى جمالها الأدبي، وتأثيرها في بناء الأمة. وتقدّم الشيخ محمد وسيم الصديقي (الأستاذ بجامعة ندوة العلماء، لكنؤ) بنخبة من الأبيات الخاصة بالموضوع مع شرحها شرحا وافيا أعجب الحضور.

وشارك في الحديث والتعليق في الندوة كل من الشيخ عصمت الله المدني الكشميري، والدكتور عبد القادر خان، والشيخ أبو سحبان روح القدس الندوي (أستاذ الحديث النبوي الشريف في جامعة ندوة العلماء، لكنؤ).

الحسامي يفوز بجائزة راشد بن حميد الإماراتية للمرة الثانية

للمرة الثانية فاز د.عبد الحميد الحسامي أستاذ الأدب والنقد المشارك بجامعة إب والمتعاقد بقسم اللغة العربية بكلية العلوم الإنسانية جامعة الملك خالد بجائزة راشد بن حميد الإماراتية في دورتها الثلاثين ٢٠١٢م، عن دراسة بعنوان: «بنية المتخيل والمرجع الحي في رواية الباب الطارف لعبير العلي – قراءة سيميائية» وقد حاز على الجائزة نفسها في دورتها الثامنة والعشرين ٢٠١١م. كما حاز د.الحسامي على جائزة السعيد ثلاث مرات وهي أكبر جائزة علمية في اليمن.

إصدارات حديثة

- قسماً لن أحيد، شعر، حيدر الغدير، ط١، مكتبة التوبة، الرياض، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.
- لحن الجراح، شعر، د.أحمد الخاني، ط٢، الرياض، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.
- صرت بالله عارفاً، شعر، محمد أجران، ط١، مؤسسة آفاق للدراسات والنشر، ٢٠١٢م، مراكش، المغرب.
- فراشات مكة.. دعوها تحلق، رواية، زبيدة هرماس، نشر طوب بريس، الرباط- المغرب، ط١، ٢٠٠٩ م، صدرت الطبعة الجديدة عن وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف بالكويت.
- إحسان عباس وجهوده في نقد الشعر العربي، تأليف د.أماني حاتم بسيسو، رسالة دكتوراه. دار فضاءات للنشر والتوزيع بعمان الأردن، ط١، ٢٠١١م.
- الوحدة السياقية للسورة في الدراسات القرآنية في القرنين الثامن والتاسع الهجريين، دراسة بلاغية في التراث العربي. رسالة ماجستير، سامي بن عبد العزيز العجلان، ط١، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، الرياض.
- **صدر للكاتب حيدر قفة ثلاثة كتب جديدة في عمان – الأردن، ط١، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م، وهي:**
  - ياهذه!!، مجموعة قصصية.
  - من أجل الإسلام، محاضرات إسلامية، ج٢.
  - متابعات نقدية في الرواية العربية.
- **صدر للأديب جبران سلمان سحاري في الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م الكتب الآتية:**
  - مناظرة بين البخاري ومسلم: مادة علمية في ثياب أدبية.
  - ملحمة بدر الكبرى، رحلة أدبية تاريخية تأملية.
  - أرجوزة الرحلة الشوكانية.. رحلتي إلى مدينة شوكان في اليمن.

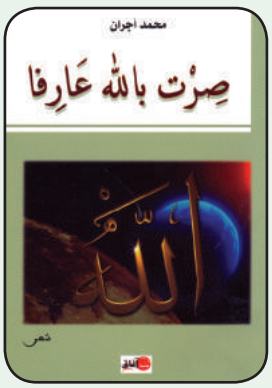

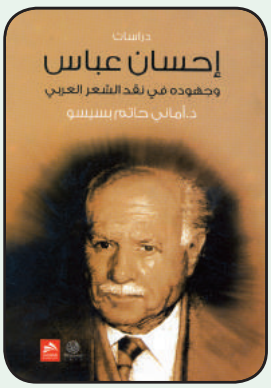

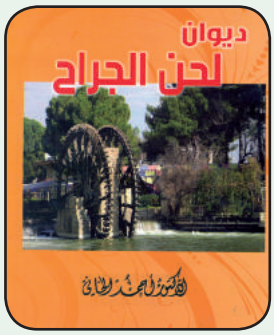

- الدالية الفقهية الغزلية، أو النظم القوي لمعارضة ابن عبد القوي.

■ أهدى الشاعر د.ظافر القرني عددا من ملفاته إلى مكتبة الرابطة ومكاتبها، وهي طبعة أولى صدرت في الرياض:

- الحزن بواعثه عند المرأة وعواقبه وعلاجه، دار الحضارة بالرياض ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.
- أسماء الأشياء والعلم والتقنية، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
- خمول في زمن الازدهار، شعر، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
- تجربتي مع التدخين من القرية إلى القرية.. دراسة علمية أدبية تربوية، ط٢، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- ثمار الإنهاك، شعر، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- الإنسان ذلك الشيء، شعر، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

■ صدر عن دار الألوكة للنشر في الرياض الطبعة الأولى عام ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م، تأليف د.وليد قصاب:

- أربعة كتب من سلسلة أعلام إسلامية في الأدب والنقد وهي: عمر بن الخطاب، ومعاوية بن أبي سفيان، وعمر بن عبد العزيز، ومحمود الوراق.
- المذاهب الأدبية الغربية رؤية فكرية وفنية.
- وصدر عن إدارة الثقافة الإسلامية في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت كتاب: الوسطية في منهج الأدب الإسلامي، ط١، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م. في سلسلة روافد برقم (٥٧).

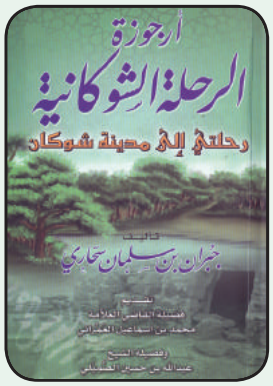

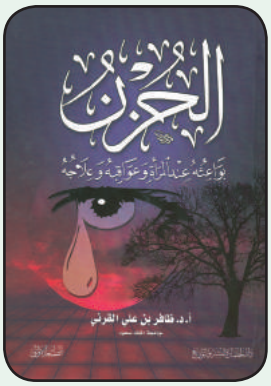

رأي في الأدب الإسلامي

إن الأدب الإسلامي كأي فن له منشؤه من قيم تصويرية تختلف باختلاف التصورات، ويقع تحت ضغوط شتى النزعات والتيارات الفكرية. وتلك علة سببها نوعية الاعتقاد بعلاقة الإنسان بالكون والحياة الأخرى.

وطريق الأدب الإسلامي كطريق الرسالات الخالدة تحفه التضحيات والمكاره والأشواك رغم اتضاح الهدف والوسيلة. ويخطئ من يظن أن الأدب الإسلامي تعوقه المسلَّمات، وتورثه الكسل والجمود، فالإيمان بالمسلَّمات أو الثوابت لا ينفي الصراعات الذاتية والخارجية. وعالم الأديب المسلم ليس حكرا على الشخصيات الملائكية، إنه عالم يغص بالآحاد أو المجموعات المتنوعة، الذي يزخر بالصالح والطالح، فالكاتب يتأثر ويؤثر، والمجتمع يتلقى ويتفاعل ويعطي، والعقيدة تغذي الوجدان؛ هذه العلاقة المركبة تجعلنا نؤمن بأن سيادة مفهوم الأدب الإسلامي وتطبيقه ليس مجرد قرار يتخذ، أو أمر يصدر، ولقد صدق الأقدمون حينما قالوا: الإناء ينضح بما فيه. والأدب الإسلامي ينبثق من التصور الإسلامي، الموجه المستمر الحركة إلى الأحسن، فإنه إيجابي متحرك.

إن مهمة الإسلام الرئيسية هي إحداث واقع معين، تفرضه قواعد معينة، تتمخض فعاليته التطبيقية بالإيحاء الدائم للحركة المنشئة للتصور الصحيح المستند إلى القيم والموازين التي أرادها الله سبحانه أن تكون للبشرية.

فالأدب الإسلامي -إذن- قد تخلص من القيم والموازين الأرضية؛ واقعية كانت أو مثالية، أو الظواهر البيولوجية. ولا يصح حصره في مسألة حركة، أو مناورة استرخائية يبث به منطق المصلحة، فالأدب الإسلامي يتسق تصوره على أساس هذا المنهج، ، فيؤدي مهمته لخدمة الإنسانية في تطوير عقليتها، والاستقامة الذاتية سواء في ضمير الفرد أو الجماعة، فيقيم في عالم النفس تصورات وقيماً جمالية وإبداعية، وعلى إبداع صور أكثر جمالاً وطلاقة، تزيد الإنسان اعتزازاً بنفسه، غني بموارد الفطرة السليمة، وتفهم أعمق لمشاكله.

ولن يصدق الأدب الإسلامي في تعبيره وتصوره إلا إذا كان الأديب متمثلا للقيم الإسلامية عن إدراك عميق، واقتناع كامل، وهذا لا يعني أن النتاج والشكل والمضمون واستخدام الأدوات القادرة على الجذب والإقناع والتأثير لا تأتي تلقائياً، فهناك استيعاب التجارب العالمية قديماً وحديثاً في مجال الأداء.

إن الأدب الإسلامي أدب فكري عقدي، وحركة تطور وإبداع، وأدب موجه بطبيعة التصور الإسلامي للحياة، وفهمه الناضج لها، وارتباطات الإنسان فيها. ونجاح الأديب يعتمد أساسا في التوافق بين هذه المعادلات الصعبة. ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي...﴾ (يوسف).

محمد الحسيني عبد الرحمن السحرتي- مصر

عدد تكريمي خاص

الدكتور عبد القدوس أبو صالح

الدكتور عبد الله العريني

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يطيب لي أن أبعث لكم من ألمانيا باسمي واسم الجمعية الألمانية «لأصدقاء الأدب الإسلامي ودراسته» تحية شكر وتقدير لقراركم الإنساني النبيل بإصدار عدد تكريمي خاص للأستاذ الدكتور جابر قميحة، أستاذي السابق بكلية الألسن جامعة عين شمس في مصر. ونرجو من الله أن يتقبل الله هذا العمل النبيل منكم في موازين حسناتكم، والذي يدل على أن المشتغلين بالأدب الإسلامي أسرة متميزة فيما بينها ترتكز على قيم لا تعرف الموت أو الزوال.

تتطلع الجمعية الألمانية لأصدقاء الأدب الإسلامي ودراسته إلى مزيد من قنوات التوأمة مع الرابطة العالمية للأدب الإسلامي ومقراتها الفرعية في جميع أنحاء العالم. كما نتطلع بصفة خاصة إلى التعاون في مجال الترجمة إلى اللغة الألمانية ولاسيما أن الحاجة في ألمانيا وباقي الدول الناطقة بالألمانية ماسة جدا إلى ألوان الأدب الإسلامي للغرض الدعوي لطريق الله المستقيم، فكم من شيخ وواعظ انصرفت عنه القلوب! وكم من أديب مؤمن أبكى العيون وجذب القلوب إلى فكرته الإسلامية جذبا!.

وتفكر بعض الجامعات الألمانية في تدريس الأدب الإسلامي، ونسعى إلى استغلال هذا الزخم

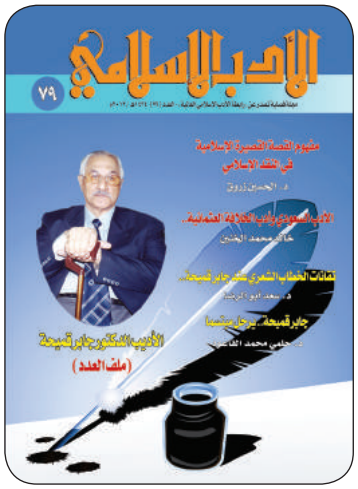

في الدعوة إلى الله بخطاب أدبي خفيف على النفوس.

فمرحبا بكم على طريق الدعوة إلى الله معنا، والله من وراء القصد وهو الغني الحميد.

والسلام عليكم.

د.عبد الحفيظ عبد العزيز مسعود

الدراسات الألمانية والإسلامية

ومدير جمعية أصدقاء الأدب

الإسلامي ودراسته

أحاديث وأسمار

إلى المفكر الأديب الدكتور عبد القدوس أبو صالح حفظه الله ورعاه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فبغاية الشكر والتقدير، ونهاية الإعجاب والتوقير تناولت هديتكم الغالية الثمينة «أحاديث وأسمار»، وقد أجلت النظر في رياضها، فألفيتها متنزهات للأفكار، ومراتع للألباب يروي سلسبيلها العذب غلة كل صاد. ولا غرو فإن البحر إنما يقذف نفائس الدرر.

فشكر الله لكم هديتكم، وأبقاكم معلما بارزا للأدب، وحصنا للغة الضاد.

والله يرعاكم دائما، وتقبلوا مني شكري وتقديري وإخلاصي ومودتي.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أحمد بن حمد الخليلي - (مفتي عام سلطنة عمان)

المزارع العظيم

محمد سعيد المولوي - سورية

ارتفعت الأسعار، وبدأت ترتقي نحو الأعلى، وزادت الضرائب، وأصبح راتب التقاعد لا يكاد يكفي للضرورات، ويكون الأمر أسوأ حينما تصدر قوائم تكاليف الخدمات من ماء وهاتف وكهرباء، أو حين نضطر لمراجعة طبيب أو شراء الأدوية، حيث لايكون في الجيوب إلا طويل العمر، ويزيد الأمر سوءا أنه لايوجد طريقة أخرى لكسب إضافي، وماذا يعمل من بلغ من العمر عتيا ؟

وزاد الأمر صعوبة بعد أن استفرغت من الوسائل ما ذكرت في الحلقة السابقة، ثم خطر لي أن والدتي تملك أرضا في غوطة دمشق لم نزرعها منذ زمن بعيد، فلم لا أزرعها ؟ والحقيقة أنه لم يخطر لي يوما أن أكون مزارعا، فالعمر لا يساعد، والخبرة مفقودة، والمال اللازم مفقود، ولكن المثل يقول: قيل للمسمار لم تدخل في الحائط؟ فأجاب من ضرب المطرقة برأسي ؟.

وهكذا تجلى قراري الإمبراطوري، فقد قررت أن أزرع الأرض، وكان لا بد أن أهيئ المال أولا، فأخذته من قريب لي، وبذلك سنؤمن البذور والشجر وأجرة العمال الذين سيعملون فيما لا أطيقه أو أحسنه.

وكان ثانيا لا بد من تأمين الخبرة، وقد حصلتها من صديق -رحمه الله- يملك أرضا واسعة في قرية مسرابا يديرها بنفسه وله خبرة عظيمة.

أما الأدوات فمنها ما اشتريته ومنها ما استعرته من الجيران أو المعارف. واجتمعت بهذا الصديق وناقشنا الأمر، وكان رأيه أن تزرع الأرض قمحا لأن مردوده سريع، ويزرع بين بذار القمح غراس أشجار كالمشمش والبرقوق والدراق..... إلخ، وبينما تستغل الأرض بضع سنوات تكون الغراس قد كبرت وأينعت وصار بالإمكان الاستفادة منها.

واستأجرت جرارا زراعيا، وحرثنا الأرض ورتبناها أقساما، وحفرنا حفرا للغراس، وبذرنا القمح، وغرسنا الغراس، وسقينا الجميع بالماء، وتم الوضع على أحسن ما يكون.

كنت كل يوم أمر على البستان أرقب حبات القمح وقد نشأت أوراقها الخضراء وبدأت تكبر، وأتفحص الغراس وقد تمكنت من الأرض، وكان شأني شأن الأم التي تراقب أولادها وتحوطهم بالعناية.

لكن ليس كل ما يتمنى المرء يدركه! فالزراعة ليست حبا يبذر وأرضا تحرث فحسب! بل هناك أمور تابعة كالسقاية

والعزق والحصاد والترجيد والدراس والحمل والتسويق. وكل هذا ما كنت أهلا له، ولو استأجرت من يقوم به لخسرت خسارة بينة، وإنما يكسب الفلاح لأنه يعمل هو وأهله بأيديهم ويوفرون أجرة العمال.

وكان لابد أن نتدارك الحاجة السريعة والملحة وهي السقاية حتى لا يموت الزرع. وفي البداية كان فضل الله ولا يزال عظيما، فقد تكفلت الأمطار بالسقاية، ولكن الله سن لنا سننا في الكون فلا بد أن يتبع الربيع الشتاء، ولا بد أن يحل الصيف حتى تجف السنابل وتصبح صالحة للاستعمال، وكان لابد من السقاية، وهيا يا أبا ياسر! شمر ثيابك وهيئ نفسك للخوض في المياه وفي الطين نهارا أو ليلا حسبما يكون دور الأرض في السقاية لأن الماء قسمة حسب مساحة الأرض، وقد يأتي موعد السقاية ليلا أو ظهرا أو عشاء، وأنت معرض في الليل للدغ الهوام والحشرات، وفي الظهر للحر الشديد الذي لا يروي المرء ظمأه فيه.

وكما يقال في المثل: (وقع الشيخ ولم يسم عليه أحد) فقد كنت كمن وصل إلى منتصف البئر، فلا هو قادر على إتمام النزول، ولا هو قادر على الرجوع! وأمضيت أواخر الربيع وقسما من فصل الصيف وأنا أخوض في المياه والوحول، وتتصبب مني قطرات العرق، وأعاني العطش الشديد، وتكاد قواي تخور لكنها تتجدد ويكبر الأمل كلما رأيت قصبات القمح تنمو وتطول.

وأصدقكم أني كنت أدخل بينها فلا أرى من طولها ذلك أني ما كنت أحرمها من موعد سقاية، أما الغراس فكانت تنمو وتطول بشكل يدفع إلى السرور، وهكذا كانت فرحتي بأغصان القمح ونمو الغراس عظيما.

وجاء موعد الحصاد وما لا أطيقه ولا أستطيعه، فاستأجرت من قام بذلك، وهيأ مكانا لدرس القمح وبقي علي الحصول على النورج وهي اللوح الخشبي الذي تدور به الدابة فوق سنابل القمح فتفصل الحب عن القش. ويسر الله الأمر فقد كان قريبا منا زميل في التعليم يملك أرضا واسعة، وقد أعارني النورج والحصان لكنه اعتذر أنه لا يوجد من يقود (الطنبر) والحصان ليوصل النورج، فتكفلت بذلك وتعهدت بإعادة الحصان.

ومن الطريف أن تراني أقود الطنبر، ولو مر أحد من تلامذتي ورآني فماذا سيقول عني؟ ومن الطريف أن الحصان كان حذي حديدا جديدا في أسفل حافره، وربما كان يطيب له أن يسمع صوت ضربات قوائمه على الأرض، وكان كلما وجهته نحو جانب الطريق الترابي أبى إلا أن يحيد إلى القسم المعبد غير عابئ بأنه سوف ينزلق على الأرض، وكان ما خشيت منه وسقط الحصان على جنبه! وقد رحمني الله أن سحبت رجلي من جانبه قبل أن يصل إلى الأرض، ولو ظلت مكانها لكسرت وأصبحت مقعدا بدلا من متقاعد، وصحت من فرحي: يا فرحي لا أزال متقاعدا!.

وهكذا تيسرت الأمور، وكان محصول القمح وفيرا، ومحصول التبن أكثر. عظم الأمل في نفسي بأنني سأحصل على مال كثير أسدد به نفقات العمل ويبقى لدي ما يكفيني، وعرضت القمح للبيع وكان السعر منخفضا لكثرة المحصول العام، واضطررت لبيعه لأني لا أملك مخزنا أخزنه فيه. وبقي التبن وعرضناه على مربي الأغنام والأبقار فما رضي أحد شراءه لأن الحيوانات لا تستطيع أكله لثخنه وقسوته، ووقعنا في مشكلة جديدة! فهذا التبن يشكل خطرا إن أصابته النار، ولم يبق لنا من سبيل الآن إلا أن نعرضه على أصحاب الحمامات العامة يسخنون به الماء للمغتسلين، والقاعدة تقول: كل معروض مكروه، ومن غير إطالة شرح: بيع التبن بأبخس الأسعار.

وحين أجريت الحساب والميزان بين ما صرفنا وما كسبنا كان الأمر مضحكا للغاية! فإن ما حصلته لا يساوي قطرات العرق التي سالت من جبيني على نظاراتي، وجلست أفكر، ووجدتني أهب واقفا كالمجنون وأنا أصيح: يا فرحتي أنا متقاعد..! وسمعت الأهل تقول: يا حسرة لقد جن الرجل■

في السيرة الذاتية

د. عماد الدين خليل - العراق

لا يزال الكثيرون من أدبائنا الإسلاميين يترددون في كتابة «سيرهم الذاتية»، معتقدين - وربما يكون الحق معهم - أن الحديث عن «الأنا» ينطوي على نوع من النرسيسية أو الإعجاب «بالذات»، فيما حذّر منه مرارا كتاب الله، وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم).

وما من شك في أن «سايكولوجية» كتابة السيرة الذاتية - إذا صحّ التعبير - تقود صاحبها، أراد أم لم يرد، بقوة الوعي أو إغراء اللاوعي، للحديث عن الحلقات المضيئة والإيجابية في حياته، وإلغاء، أو التعتيم، أو اختزال الحلقات الرمادية أو السوداء، رغم أنها ضرورية جدا لإكمال الصورة.

ولكن، ولنسأل الفقهاء، هل إن مبررات كهذه كافية للانسحاب من هذا الجنس الأدبي الأكثر استهواءً للقراء، والذي قد نتعلم منه الكثير لأنه تجربة حياة، وإلغائه من الحساب؟ وهل هي كافية لأن يمتنع أدباؤنا (الكبار) عن تقديم خبرتهم المترعة بالعطاء، والتي تنطوي على الكثير من معالم الطريق، بحجة أن السيرة الذاتية هي - بشكل من الأشكال - حديث عن النفس وإعجاب بها؟

أغلب الظن أن هذا كلّه لا يبرّر حذراً كهذا، ولاسيما إذا حاول «المتحدث» أن يعرض للأسود والأبيض في مسيرة حياته، وأن يكون صادقاً مع الله سبحانه، ومع نفسه ومع التاريخ.. ومع الآخرين.

وثمة معيار منحنا إياه الرسول المعلم (عليه أفضل الصلاة والسلام) قد يعيننا على الخروج من المأزق، إذا جازت التسمية، ذلك الذي يؤشر على «النيّة» التي تكمن وراء أي عمل يمارسه الإنسان، فإن كانت نقية خالصة لا شائبة فيها من هوى أو تحيّز أو أنانية أو ظن.. فبها.. وإلا فالتريّث والتردد والتوقف عن العمل واجب.. فـ (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى).

ويقيناً، فإن الأديب المسلم، عندما يبدأ مشروعه في كتابة سيرته الذاتية، بعد أن يكون قد أفنى عمره في تعزيز (الكلمة الطيبة) التي يراد لها أن تتجذر وتثبت في الأرض وتسمق بفروعها إلى السماء.. الأديب المسلم الذي عاش حياته صادقاً مع نفسه، ومع الله سبحانه، منافحاً بقوة الكلمة عن العقيدة التي آمن بها وانتمى إليها وضحّى من أجلها، لا يمكن أن يخطر على باله أو تخترق نيته، أي بادرة سلبية في جعل سيرته الذاتية فرصة للتغني بالذات، والاندفاع وراء إغواء النرسيسية المقيتة.

وأغلب الظن أن أديباً كنجيب الكيلاني أو علي الطنطاوي، (رحمهما الله)، ما خطر على بالهما - لحظة - وهما يكتبان سيرتهما الذاتية، إلا أن تكون «التجربة» الحياتية فرصة طيبة لتعليم الآخرين وتجنيبهم العثرات في الوقت نفسه.. وما كانا على استعداد - بأية درجة - لإحراق ثوابهما الباقي عند الله سبحانه، بعرض من الدنيا.

وإذا كانت هذه المسألة عند الآخرين يشوبها الدخل، فإنها لدى الإسلاميين تنبثق عن بداهات لا تحتاج إلى جدال.

ثمة مسألة أخرى تتحتم الإشارة إليها في مقال كهذا.. تلك هي أن على أدبائنا، وهم يكتبون سيرهم الذاتية، ألا يندفعوا باتجاه (التسجيلية) التي تلجأ إلى أقصر الأساليب وأكثرها وضوحاً وتسطحاً لسرد تاريخ حياتهم.. فتلك هي مهمة المؤرخ وهم أدباء وليسوا مؤرخين.. ولذا وجب أن «ينزاحوا» بكلماتهم وتعابيرهم عن السرد المباشر، وأن يوغلوا باتجاه العمق الحقيقي للتجربة، بأكبر قدر من الشفافية، والتعبيرية، والإيماء، وتوظيف الآليات الجمالية للغة التي يكتبون بها سيرهم.

إن «السيرة الذاتية» جنس أدبي، وليست عملاً في التاريخ، وبالتالي فإن على صاحبها أن يتحقق برؤية انطباعية للخبرات التي يسردها، وأن يجعل نبض الشعر يخترق لغته ما وسعه الجهد.. وإلا خرجت محاولته عن كونها «سيرة ذاتية» بالمفهوم الأدبي المتعارف عليه.

إنني أتذكر في هذا السياق اثنتين من السير الذاتية الغربية، إحداهما للشاعر الشيلي المعروف (بابلونيرودا)، والأخرى للروائي اليوناني الشهير (كازانتزاكي)، تنبضان بروح الشعر، وتقدمان الخبرة بأعلى درجات الشفافية، وتستدعيان كل الآليات البلاغية لصياغة العبارة وبناء التركيب.

ويتمنى المرء أن يحذو أدباؤنا الإسلاميون حذو هذين الأديبين، بغض النظر عن الاختلاف المؤكد معهما في المضامين.. فالمهم ها هنا هو المطالب الفنية للسيرة الذاتية والتي يتحتم أن تعطى اهتماما كبيراً■

يسر مؤسسة العلامة أبي الحسن التعليمية والخيرية، عليكره/ الهند عقد مؤتمر عالمي بعنوان:

موقف الشيخ الندوي من الأفكار المعاصرة

(دراسة مقارنة)

في المدة ٢٢-٢٤ من شباط (فبراير) ٢٠١٤م

في رحاب مدرسة العلوم الإسلامية عليكره الملحقة بجامعة ندوة العلماء لكناو

محاور المؤتمر:

■■ المحور الأول:

- موقف الندوي من الأدب والتعليم ونقد الحضارات.
- موقفه من المناهج الدراسية للمدارس الإسلامية في الهند
- موقفه من تربية طلاب الجامعات العصرية الدينية والفكرية.
- موقفه من الأدب.
- خدماته فى الأدب.
- منهجه في أدب الأطفال.
- موقفه من الحضارة الغربية.
- موقفه من النظام الغربي فى الاقتصاد والمعيشة.
- موقفه من النظام التعليمي في المدارس والجامعات.

■■ المحور الثاني:

- موقف الندوي من عرض الدعوة الاسلامية.
- الدعوة إلى التصلب في الدين مع الاعتدال.
- الحكمة في عرض الدعوة.
- موقفه من الخطاب إلى الملوك والرؤساء والوزراء.
- موقفه من استخدام الرسالات والخطابات والرحلات واللقاءات لعرض الفكر الإسلامي.
- موقفه من الوسطية.
- موقفه من الصحوة الإسلامية المعاصرة.
- موقفه من الحركات العالمية.

■■ المحور الثالث:

- موقف الندوي من السياسة المعاصرة والعالم الإسلامي.
- تألمه للأوضاع الراكنة في العالم الإسلامي.
- موقفه من قيادة العالم الاسلامي.
- موقفه من اختلاط الحضارات والحكومات.
- موقفه من الحوار.
- موقفه من التفسير السياسي للدين.
- موقفه من التشدد الديني والسياسي.
- موقفه من قضية فلسطين.
- موقفه من قضايا العالم العربي.

وفيما يأتي الإيضاحات المتعلقة بالمشاركة في المؤتمر:

- **تكون على المشارك نفقات السفر من خارج الهند إلى دلهي، ومن دلهي إلى عليكره تكون النفقة على المؤسسة.**
- **أما المشاركون من داخل الهند فتكون على المشاركين نفقات السفر إلى عليكره.**
- **تكون نفقات الإقامة والضيافة على المؤسسة.**
- **الرجاء من كل مشارك أن يخبر بموضوع بحثه ويرسل مقالته قبل نهاية شهر أكتوبر، ويخبر عن سفره حتما قبل نهاية ديسمبر ليسهل حجز الفندق.**

للمراسلة والاستفسار حول المؤتمر: مراسلة د.محمد طارق الأيوبي الندوي مباشرة على البريد الإلكتروني:
tariqnadwialig@yahoo.co.in-أو الاتصال به على رقم الهاتف: ٠٠٩١٩٨٩٧٧٧٦٦٥٢

وللمزيد ينظر موقع رابطة الأدب الإسلامي العالمية: www.adabislami.org

مجلة البلاغ

أسبوعية - إسلامية - سياسية
تصدر عن مؤسسة دار البلاغ للصحافة والطباعة والنشر

أسسها عبدالرحمن راشد الولايتي

عام ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م

من أبواب المجلة:

- حديث الواقع
- محليات
- خليجيات
- الرأي الآخر
- كلمة حق
- حديقة البلاغ
- لقاءات
- قضايا سياسية
- البلاغ الاقتصادي
- العالم في أسبوع
- وقفات
- الأدب
- حتى نلتقي

الاشتراك السنوي:

٢٠ دينارا كويتيا للأفراد داخل الكويت ، ٢٥ دينارا كويتيا للأفراد في الدول العربية

٥٠ دينارا كويتيا للجهات الحكومية والشركات، ٧٠ دولارا أمريكيا للدول الأجنبية

المراسلات:

هاتف: ٢٤٨١٨٨٢٠ (٩٦٥)+ - فاكس: ٢٤٨١٢٧٣٥ (٩٦٥) + - ص.ب: ٤٥٥٨ الصفاة: ١٣٠٤٦ الكويت

الموقع على الإنترنت: www.al-balagh.com - البريد الإلكتروني: albalagh5@yahoo.com

من الإصدارات الحديثة لرابطة الأدب الإسلامي العالمية عن:

- مكتبة العبيكان في الرياض

من الإصدارات الحديثة لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في قصص الأطفال عن:

- دار الحضارة .. في الرياض